www.thesdvoice.press

VOICE
of sudanese community
العدد الـ ٦٣ صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - شاملة - مستقلة - (السنة الثانية) ٢٣ صفحة
السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م أرفع صوتك هيبة وجبرة Saturday 6 DEC 2025

VISION
Creative Media Group
تصميم - طباعة - نشر 0739952763
للإعلان: info@thesdvoiceads.press

وفاة أسرة سودانية لاجئة في طرابلس نتيجة اختناق داخل منزلهم

تعرض قيادي سوداني بمنظمة التضامن المسيحي العالمي لاعتداء جسدي

الخطوط الجوية السودانية تستأنف الرحلات إلى عدد من الدول

تعميم رسمي يلزم الوزارات بمغادرة بورتسودان والانتقال إلى الخرطوم

تصاعد الاشتباكات في كردفان .. عقار: لن نمضي في أي اتفاق يعيد المليشيا إلى المشهد

ارتفاع ضحايا كلوقي إلى 80 قتيلاً بينهم 46 طفلاً

○ الفاشر – «وكالات»

● قال مدير محلية كلوقي في ولاية جنوب كردفان بالسودان للجزيرة إن عدد ضحايا قصف قوات الدعم السريع لمدينة كلوقي ارتفع إلى ٨٠ قتيلا بينهم ٤٦ طفلا، موازاة مع احتدام المعارك في كردفان وتحذير الأمم المتحدة من الوضع الكارثي جراء الحرب.

وتشهد مختلف ولايات إقليم كردفان منذ أسابيع معارك مكثفة بعدما أحكمت قوات الدعم السريع قبضتها على معظم إقليم دارفور المجاور.

وقال مفوض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فولكر تورك، الخميس، إن المفوضية أحصت «مقتل ٢٦٩ مدنيا على الأقل بسبب الغارات الجوية والقصف والإعدامات الميدانية» في شمال كردفان منذ ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول». وأضاف «إنه أمر صادم حقا أن نرى التاريخ يتكرر في كردفان بعيد الأحداث المروّعة التي جرت في الفاشر»، متابعا «ينبغي ألا نسمح بتكرار ما جرى في الفاشر» حيث وقعت فظائع نسبت إلى قوات الدعم بعد سيطرتها على المدينة. من جهتها، أفادت شبكة أطباء السودان بأن قوات الدعم السريع تحتجز أكثر من ١٠٠ أسرة من مدينة بابنوسة والقرى المحيطة بها غربي كردفان، بينهم أطفال وحوامل في ظروف إنسانية بالغة الخطورة.

على صعيد آخر، أكد نائب رئيس مجلس السيادة الانتقالي بالسودان مالك عقار أن الحكومة لا يمكنها أن تمضي في أي اتفاق، من شأنه أن يُعيد مليشيا قوات الدعم السريع إلى المشهد، يأتي ذلك بينما تتصاعد الاشتباكات على محاور كردفان.

وقال عقار في لقاء مع المبعوث البريطاني الخاص للسودان ريتشارد كراودر بمدينة بورتسودان، إن كل ما ارتكبته القوات من أفعال وادعاءات بالعمل من أجل بناء الديمقراطية، مجرد ذرائع، بينما المقصود هو احتلال جديد للسودان. وجدد عقار حرص الخرطوم على تحقيق سلام يحافظ على وحدة السودان وسيادته.

محاكمة عراقيين وسوداني في حادث غرق مهاجرين

● بدأت أمس الجمعة، ٥ كانون الأول/ديسمبر، في المحكمة الجنائية بمدينة بولوني-سور-مير شمال فرنسا، محاكمة ثلاثة أشخاص عراقيين وسوداني، متورطين في حادث غرق مهاجرين في بحر المانش، ومن المقرر أن تنتهي المحاكمة في نفس اليوم.

تبدأ المحاكمة بتوجيه تهم القتل غير العمد وتنظيم عبور غير قانوني، وذلك على خلفية حادث غرق أسفر عن وفاة ثلاثة مهاجرين في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٣. ويسلط هذا الحادث الضوء مرة أخرى على شبكات التهريب، و والمخاطر المميتة التي يواجهها آلاف المهاجرين في رحلتهم نحو المملكة المتحدة.

و يمثل أمام القضاء عراقيان وسوداني بتهم تتعلق بالقتل غير العمد وتعريض حياة الآخرين للخطر. وتوجّه النيابة الاتهام للعراقيين بتنظيم رحلة تهريب لنحو ٦٠ مهاجرا عبر قارب مطاطي متهالك ومثقوب، لم يكن صالحًا للإبحار في مياه المانش المعروفة بخطورتها.

ينفي المتهمان العراقيان أن يكونا مهربين، في حين أقرّ المتهم السوداني بقيادته القارب، مؤكدا أنه كان بدوره مهاجرا اضطر لتولي القيادة مقابل تخفيض المبلغ المطلوب للعبور.

كتّاب فويس

الناجي صالح
الدارفوريون .. البصيرة في مهب المؤثرات الغربية
2

نشأت الإمام
هل يلغي تصريح روبيو، مهمة بولس..!
11

د. طارق عبد الله
مسلسل الإسلاميين ..متى ينتهي العرض ؟!
12

د. إيهاب عبد الرحيم
نور الجامعات في عتمة ما بعد الحرب
14

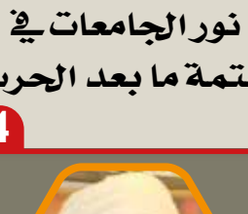

عز الدين ميرغني
أسئلة الحداثة في الرواية السودانية
18

هويدا الماحي
جماهير السودان في قطر وطنية شامخة
22

رئيس الوزراء يرفع الإيقاف عن مديرة مكتب قناتي «العربية والحدث» لينا يعقوب

○ بورتسودان – «فويس»

● أجرى رئيس مجلس الوزراء الدكتور كامل إدريس – الجمعة – اتصالاً هاتفيا بالصحفية لينا يعقوب، مديرة مكتب قناتي «العربية والحدث» في السودان، أبلغها خلاله بقراره الرسمي برفع الإيقاف الذي كانت قد فرضته وزارة الإعلام عليها قبل شهرين ونصف الشهر.

وخلال الاتصال، أشاد رئيس الوزراء بالدور المهني الذي تضطلع به الزميلة لينا يعقوب وفريقها في نقل الأحداث وكشف الحقائق، مؤكداً حرص الحكومة على دعم حرية الصحافة والعمل الإعلامي المسؤول الذي يخدم المصلحة العامة. يُذكر أن وزارة الإعلام كانت قد أصدرت قراراً في أغسطس الماضي بإيقاف لينا يعقوب عن العمل ومنعها من ممارسة النشاط الإعلامي داخل السودان، وهو القرار الذي أثار جدلاً واسعاً في الأوساط الصحفية والحقوقية.

من جانبها، عبّرت لينا يعقوب عن شكرها وامتنانها لرئيس الوزراء على هذا القرار.

ترامب يجمّد الهجرة والتجنيس لمواطني 4 دول عربية

○ واشنطن – «وكالات»

● أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الأربعاء، وقف جميع إجراءات الهجرة والتجنيس الخاصة بمواطنين من ١٩ دولة تُصنّف ضمن "دول العالم الثالث"، في خطوة مفاجئة شملت حتى المهاجرين الذين أكملوا بالفعل اختبارات المواطنة أو دخلوا الأراضي الأمريكية منذ ٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٢١.

وبحسب التوجيهات التنفيذية الجديدة، سيُعاد تقييم ملفات كل المهاجرين القادمين من الدول المشمولة بالقرار بعد تاريخ تنصيب الرئيس جو بايدن. وتشمل العملية مقابلات فردية للتأكد من عدم تشكيلهم أي تهديد محتمل للأمن القومي. كما قضت المذكرة الصادرة عن إدارة الهجرة بإلغاء حفلات منح الجنسية المقررة هذا الأسبوع، بما في ذلك للمتقدمين الذين نجحوا في جميع اختبارات التجنيس، ولن يُسمح لهم بأداء قسم المواطنة في هذه المرحلة. ويطال القرار كل شخص من الدول المعنية دخل الولايات المتحدة يوم تنصيب بايدن أو بعده.

الدول المشمولة بالقرار هي: ليبيا، السودان، اليمن، الصومال، إيران، أفغانستان، بورما (ميانمار)، بوروندي، تشاد، كوبا، جمهورية الكونغو، غينيا الاستوائية، إريتريا، هايتي، لاوس، سيراليون، توغو، تركمانستان، فنزويلا.

مدرب منتخب السودان: مواجهة العراق تحتاج جهداً مضاعفاً

● أكد الغاني كواسي أبياه المدير الفني لمنتخب السودان، أن مواجهة العراق غداً، ستكون غاية في الصعوبة أمام منتخب كبير يمتلك إمكانات مميزة، ما يحتم على جهازه الفني واللاعبين الاستعداد الجاد لهذه المواجهة.

ويواجه السودان العراق غداً السبت ضمن الجولة الثانية للمجموعة الرابعة في بطولة كأس العرب ٢٠٢٥م المقامة في قطر. وأشار أبياه خلال مؤتمر صحفي الجمعة، إلى وجود صعوبات في عملية اختيار اللاعبين، نتيجة غياب بطولة دوري منتظمة في السودان، الأمر الذي يجعل معظم الخيارات متجهة نحو لاعبي الهلال والمريخ باعتبارهم الأكثر مشاركة في البطولات القارية. وأضاف أن اللاعبين ملتزمون بتقديم أفضل أداء، ويتم تحضيرهم ذهنيًا قبل كل مواجهة لجعل السودانيين فخورين بمنتخبهم، مشيرًا إلى شعوره بالانتماء للسودان وغانا. من جانبه، شدد لاعب منتخب السودان جون مانو، على أن صقور الجديان جاهزون لمختلف السيناريوهات في المباراة المرتقبة أمام العراق، وأن لديهم طموحا واضحا لتحقيق نتيجة إيجابية تعزز فرص الفريق في المنافسات.

ترتيباتٌ جديدة لطالبي التأشيرة الى مصر

○ وادي حلفا – «فويس»

● أعلنت القنصلية المصرية في وادي حلفا، عن تنظيم جديد لمواعيد استقبال طلبات التأشيرات، وقالت إنّ الخطوة تأتي في إطار التسهيل على المواطنين وتقديم خدمة أكثر تنظيما، وتفاديا لحدوث أي تكدس أمام منافذ تقديم الخدمة إلى طالبيها.

وحددت الترتيبات الجديدة بالقنصلية أيام الأحد والاثنين والثلاثاء من كل أسبوع لاستلام الطلبات الجديدة، بعد الاطلاع على أصول المستندات واستلام صورها واستكمال استمارة الطلب.

عن أعمال عمر فضل الله الروائية 20
محمد نجيب محمد علي: كلام لي زينب بت محمود 20
بحث لطلاب يغير خريطة مكافحة الملاريا 9
وثائق أميركية : الإف بي آي توقعت سقوط النميري 6

VOICE of sudanese community

السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

رئيس تجمع روابط دارفور ببريطانيا : لندن مقصرة و عليها إبداء إرادة سياسية حقيقية لحماية المدنيين

○ لندن - مريم أبشر - «المحقق»

● وصف رئيس تجمع روابط دارفور ببريطانيا، عبد الله أبو قردة، موقف المملكة المتحدة مما يدور فى حرب السودان بالتقصير.

وقال أبو قردة فى تصريح خاص لـ«المحقق» إن بريطانيا قصّرت في أداء دورها بفعل تضليل بعض المنظمات الدولية وجهات وصفها بالسياسية، إضافة إلى رغبتها في الحفاظ على علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع دولة الإمارات، مما جعلها تتغاضى عن الإبادة الجماعية في السودان رغم التحذيرات المتكررة التي قدمتها رئاسة الرابطة.

وأضاف رئيس روابط أبناء دارفور بلندن أن بريطانيا، بصفتها الجهة الممسكة بملف السودان في مجلس الأمن الدولي، يبدو أن وزارة خارجيتها ما تزال تتعامل مع الأزمة السودانية بسلبية، في وقت تتكشف فيه الكارثة الإنسانية يوميًا في السودان ولا سيما في دارفور .

و يرى عبد الله أن التسريبات الأخيرة حول حذف تحذيرات رسمية من «إبادة جماعية» محتملة، والتي قال الإعلام البريطاني أن موظفي وزارة الخارجية البريطانية قاموا لها، تؤكد أن الحسابات السياسية طغت على الواجب الأخلاقي والقانوني.

و قال لقد حذرنا مرارًا من مخاطر الإبادة، وطالبنا بتنفيذ قرار مجلس الأمن (٢٧٣٦) الذي تبنته بريطانيا نفسها، لكن التباطؤ مستمر بينما كانت دائرة الفظائع تتسع، مشيرا إلى إنه، وحتى في اجتماع المنظمات العاملة في السودان في لندن، والذي شارك فيه تجمع روابط دارفور، اكتفت الخارجية البريطانية بإدانة ما جرى في الفاشر دون أي خطوات عملية أو التزام واضح.

وحول سؤال رئيس الرابطة لممثل وزارة الخارجية في اجتماع (الخميس) عن الجهة التي تتحمل مسؤولية الإبادة الجماعية في الفاشر رغم التحذيرات التي قدمت للحكومة البريطانية وتجاهلتها، جاء الرد بأن المسؤولية تقع على «قوات الدعم السريع».

و شدد أبو قردة على أن الإدانة وحدها لا تكفي أمام المقابر الجماعية والقتل على أساس العرق واللون واختفاء آلاف المدنيين. و قال إن المطلوب هو إرادة سياسية حقيقية تُعيد لبريطانيا دورها القيادي في حماية المدنيين ووقف الإبادة الجماعية.

ولاية سودانية توقف التعامل النقدي في المعاملات الحكومية

○ كوستي - «فويس»

● أعلن مجلس حكومة ولاية النيل الأبيض- جنوبي السودان، عن إيقاف التعامل النقدي في جميع المعاملات الحكومية بالولاية، كما أجاز نظام السداد والتحصيل الإلكتروني (إيصالي) لجميع المعاملات المالية داخل المؤسسات الحكومية بالولاية اعتبارا من الأحد المقبل الموافق السابع من ديسمبر الحالي.

وأطلقت وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي، في مارس الماضي، نظام التحصيل والسداد الإلكتروني (إيصالي)، وقالت إن ذلك يأتي اتساقا مع اتجاه الدولة نحو التحول الرقمي، وتعاقدت مع عدد من البنوك لضمان انسياب الإيرادات الحكومية عبر قناة موحدة لكل المؤسسات والهيئات.

وكان مجلس حكومة ولاية النيل الأبيض استمع في اجتماعه الدوري برئاسة الوالي الفريق الركن قمر الدين محمد فضل المولى بربك مساء أمس، إلى تقرير مفصل عن مخرجات زيارة وفد الإدارة العامة للسداد والتحصيل الإلكتروني بوزارة المالية برئاسة د. عبد المحسن أحمد محمد خير بشأن تنفيذ عمليات الدفع الإلكتروني «ايصالي» بالولاية والورش التي عقدها الوفد في المؤسسات المختلفة لإنفاذ عملية التطبيق بالصورة المطلوبة بمشاركة ممثلي البنوك وشركات الاتصال المختلفة بالولاية.

تخليص البضائع المُكدّسة بميناء عثمان دقنة بنظام التسويات

○ الخرطوم - «فويس»

● أصدر رئيس الوزراء د. كامل إدريس،، قراراً بالسماح بتخليص البضائع المكدسة بميناء عثمان دقنة بسواكن التي وصلت قبل تاريخ الأربعاء ٣ ديسمبر بنظام التسويات، على أن لا تتجاوز نسبة ٥٪ مع الإعفاء التام من أرضيات الميناء.

جاء ذلك لدى زيارته التفقدية المفاجئة التي أجراها اليوم إلى ميناء عثمان دقنة برفقة والي البحر الأحمر، الفريق مصطفى محمد نور، والتقى خلالها بمدير ميناء الأمير عثمان دقنة بسواكن ومدير الجمارك بالميناء.

ووقف ميدانيا على البضائع المكدسة بالميناء بالإرصفة، ثم عقد اجتماعا عاجلا مع الجهات المختصة لمعالجة الإشكالية.

تعميم رسمي يلزم الوزارات بمغادرة بورتسودان والانتقال إلى الخرطوم

○ الخرطوم - «فويس»

● أصدر مجلس الوزراء الانتقالي تعميمًا رسميًا بالرقم (١٨) لسنة ٢٠٢٥، وجّه فيه عددًا من الوزارات ببدء ترتيبات انتقالها من العاصمة الإدارية المؤقتة بورتسودان إلى العاصمة الخرطوم، وذلك تنفيذًا لتوجيهات رئيس الوزراء وبحسب الخطاب الذي أحالته الأمانة العامة لمجلس الوزراء، فقد شمل التوجيه وزارات: العدل، الزراعة والري، المعادن، الثروة الحيوانية والسمكية، البنى التحتية والنقل، التحول الرقمي والاتصالات، التربية والتعليم، التعليم العالي والبحث العلمي، الموارد البشرية والرعاية الاجتماعية، الشؤون الدينية والأوقاف، الثقافة والإعلام والآثار والسياحة، والبيئة والاستدامة.

سفير السودان بطوكيو يعقد اجتماعاً مع نائب وزير الزراعة والثروة السمكية الياباني

حزمة من الاتفاقيات بين وزارة الثروة الحيوانية والسمكية ودولة تركيا

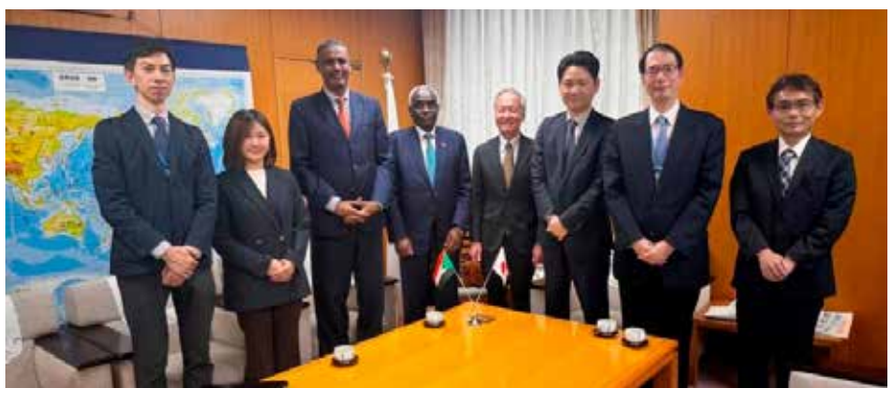

○ بورتسودان - (سونا)

● كشف وزير الثورة الحيوانية والسمكية بروفيسور أحمد التيجاني المنصوري عن حزمة من التفاهمات و الاتفاقيات المبدئية بين الوزارة و دولة تركيا الشقيقة في مجال الإستثمار الحيواني تهدف الي تطوير ورفعة القطاع والارتقاء به لخدمة الوطن و المواطن من خلال التعاون المشترك بين الدولتين مشيرا إلى اهتمام الرئيس التركي رجب الطيب اوردغان بتطوير العلاقات والاواصر بين البلدين .

واكد الوزير في تصريحات صحافية عقب استقباله بمكتبه اليوم بمدينة بورتسودان السفير التركي بالسودان فاتح يلديز بحضور وكيل الوزارة دكتور عمار الشيخ أن الاجتماع توصل الى تجديد اتفاقيات معلقة شملت مد السودان بشبكة ري لواد للهواد في ولاية نهر النيل.

وقال الوزير أن السفير التركي اقترح عدد من المشاريع التي يمكن أن تساعد فيها تركيا من ناحيه مالية وتدريبية وتقنية من ضمنها مشاريع بولاية نهر النيل.

ونقل الوزير اهتمام سفير تركيا بدعم إنشاء مدينة الإنتاج الحيواني بمدينة عطبرة والمستودعات المبردة لمد الأسواق المحلية وأسواق المنطقة الغربية بالسعودية بمنتجات طازجة .

وقال في جانب التدريب تم الاتفاق بين الجانبين علي تدريب الأطباء البياطرة السودانيين بالداخل بواسطة مدربين أتراك في مجال التلقيح الصناعي ونقل الاجنة وأضاف أن السفير التركي وعد بإنشاء عدد (١٠) مسالخ جديدة في ولايات مختلفة ومدها بخطوط مواصلات ووسائل نقل تيسر الإستفادة من ميزة نقلها طازجة للمستهلكين.

وشكر السفير التركي علي انشاء مركزالإنتاج الحيواني بولاية الجزيرة ومد جسور التعاون بين البلدين في هذا المجال لتبادل المصالح والمنافع وتطوير علاقات استراتيجية.

من جانبه عقد سفير السودان باليابان السفير الريح حيدوب اجتماعا امس مع السيد Yoichi Watanabe نائب وزير الزراعة والثروة السمكية الياباني بمشاركة مدير عام ادارة افريقيا وامريكا اللاتينية بالوزارة واثنين اخرين والمستشار بالسفارة السيد علي محمد عثمان، وذلك في إطار جهود السفارة السودانية لتعزيز علاقات التعاون المشترك بين البلدين في المجال الزراعي والحيواني والثروة السمكية

واشاد الاجتماع بالدعم التنموي الياباني المتواصل في المجال الزراعي خاصة في المشروع الناجح لانتاج سلالات من القمح المقاوم للحرارة بالتعاون بين جامعة الخرطوم وهيئة البحوث الزراعية وجامعة توتري اليابانية بدعم من وكالة جايكا اليابانية بالإضافة لمشروع تطوير الزراعة والري بولاية نهر النيل وزراعة الشعير والقمح الهوائي.

إعادة تأهيل مستشفى بحري وافتتاحه مطلع العام المقبل

السودان واليابان يخططان لإعادة إعمار المستشفيات المدمرة

○ بورتسودان، الخرطوم - (سونا)

● انعقد اجتماع بين وكيل وزارة الصحة الاتحادية الدكتور علي بابكر سيد أحمد ورئيس شركة ماتسودا العالمية وكونيكي للتشيد إسفيري، بمشاركة سفير السودان في اليابان سعادة السفيرالريح حيدوب، وبحضور عدد من قيادات الوزارة اليوم الجمعة. خلال اللقاء جرى إستعراض الأنشطة المرتبطة بالقطاع الصحي في السودان الذي تعرض لدمار واسع نتيجة إعتداءات مليشيات الدعم السريع، كما طرح مساران لتقوية النظام الصحي، الأول يهدف إلى إعادة إعمار القطاع عبر برامج إسعافية عاجلة تشمل توفير عيادات متنقلة متكاملة لتسهيل حصول المرضى على الخدمات الصحية، خصوصاً في فترات إنتشار الأوبئة مثل الكوليرا.

أما الثاني فتركز على إعادة تأهيل المستشفيات المتضررة جزئياً أو كلياً، وعلى رأسها مستشفى إبن سينا، بدعم من الحكومة اليابانية التي تسعى إلى تعزيز التنمية المستدامة في السودان. المشاركون أشادوا بالنقاشات التي تمت لما لها من دور في إستقرار الخدمات الصحية، وتم الإتفاق في ختام الإجتماع على عقد لقاء لاحق بين الجانبين لوضع خطة عملية لتنفيذها.

من جانب آخر، زار وفدٌ مشترك من وزارة الصحة الاتحادية، ممثلاً في مدير إدارة المستشفيات الدكتور عماد عبد المنعم، والمدير القطري لمنظمة سابا الدكتور فيصل أحمد نور، مستشفى بحري بالخرطوم اليوم.

وكشف الدكتور فيصل، عن مشروع تأهيل المستشفى بمبلغ ١,٥ مليون دولار، مشيراً إلى أن افتتاحه سيكون في يناير ٢٠٢٦، موضحاً أن المشروع يأتي ضمن مبادرات "عودة العافية" التي تنفذها منظمة سابا (تجمع الأطباء السودانيين بأمريكا). وأكد أن إعادة تشغيل المستشفى ستعيد في عودة المواطنين إلى ولاية الخرطوم، مقدماً شكره لوزارة الصحة الاتحادية ووزارة الصحة بولاية الخرطوم على التعاون والعمل المشترك.

من جانبه، وَعَدَ الدكتور عماد الدين عبد المنعم، بالتزام الوزارة بسد النقص في المستشفى عبر شراكة قوية مع منظمة سابا، مشيراً إلى أنّ المنظمة كانت أول من استجابت لنداء وزير الصحة الاتحادي "إيدك معانا لي مشفانا" من خلال تأهيل المستشفى السعودي للنساء والتوليد، والآن تقترب من افتتاح مستشفى بحري، مؤكداً أن جهودها ستمتد لتشمل مستشفيات أخرى.

وفي السياق ذاته، أعرب الدكتور عوض الله الكامل مدير مستشفى بحري، عن شكره لمنظمة سابا ووزارة الصحة الاتحادية على دعمهم المستمر، موضحاً أن تشغيل المستشفى سيبدأ بأقسام الطوارئ والنساء والتوليد والحروق والعناية المكثفة كمرحلة أولى، على أن تكتمل بقية الأقسام لاحقاً.

تنجية

الدارفوريون .. البصيرة في مهب المؤثرات الغربية

الناجي صالح *

● إن الغربة ليست هجراً من أرض الوطن إلى أرض الغير، بل هي هجرة الوعي من حيّز الجمود إلى فضاء الحركة، ورحيل الفطنة من سجن المحل إلى آفاق الكونية. وما أبناء دارفور في شتاتهم إلا شواهد عصر على أن الهوية لا تقاس بالمسافات، وإنما بقدرة الفكر على تجاوز الجغرافيا إلى الجوغرافيا السياسية – أي قوة الفعل السياسي التي تتجاوز الحدود المادية. أياً كان مداها.

لقد خلق التشريد الجماعي لأبناء الإقليم كياناً موازياً للدولة، ليس في السلطة وإنما في الوعي الاستراتيجي. فهم لم يحملوا معهم إلى أوروبا وإلى بريطانيا العظمى حصراً آلام الجراح فحسب، بل حملوا فوق أكتافهم رؤية نقدية للسلطة الغربية لا تملكها الدولة ذاتها. فالدولة تتعامل مع الغرب بنظرة (المستعمر) الطامع، أما تجمعات أبناء دارفور فتتعامل معه بنظرة (المواطن) الذي يمارس حقه في محاسبة السلطة، حتى وإن كانت سلطة أجنبية.

لقد أدرك أبناء دارفور في المهجر سراً فلسفياً.. أن الغرب لا يتحرك بالضمير الإنساني وحده، وإنما يتحرك بمحركين لا ثالث لهما: «الرأي العام» و«المصلحة السياسية». فالرأي العام هنا ليس مجرد «نخب» متفردة، بل هو كيان حيّ يتغذى من الإعلام ويقيم أو يغرق الحكومات. والغربة التي قد تكون نقمة على البعض، كانت على أبناء دارفور نعمة فلسفية، فهي أتاحت لهم قراءة المؤشرات الاقتصادية والإعلامية والاجتماعية التي تُحرِّك القرار السياسي، كما يقرأ الفلكي نجوم السماء.

وهذا ما تفتقده الدولة التي لا تزال تعالج العالم الخارجي بنمطية «الدبلوماسية البروتوكولية»، التي انتهى زمنها منذ أن أصبح كل مواطن دبلوماسيا بفضل تكنولوجيا المعلومات. بينما أبناء دارفور يمارسون «دبلوماسية الشارع»، و«دبلوماسية الصحافة»، و«دبلوماسية الضغط المؤسسي». فهم لا يطرقون أبواب السفارات فحسب، بل يطرقون أبواب الضمائر أولاً، ثم أبواب مراكز الدراسات الاستراتيجية، ثم أبواب الشركات التي تستثمر في دماء أبناء السودان عبر التعامل مع الميليشيات، ثم أبواب الصحف الكبرى.

خذ مثلاً عملهم في بريطانيا، تلك الجزيرة التي كانت يوماً إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، فأصبحت اليوم ميداناً لمعركة أخلاقية يخوضها السودانيون أنفسهم. لم تقف هذه التجمعات هناك عند حد «الاحتجاج» كما تفعل السفارات ببياناتها الروتينية، بل صار الاحتجاج لديهم «استراتيجية حصار» ممنهجة. فقد رصدوا كل من يمول أو يدعم ميليشيا «الدعم السريع» – تلك الآفة التي تحولت من درع إلى خنجر في خاصرة الوطن – ورصدوهم ليس بالكاميرات فحسب، بل بشبكات المعلومات وقواعد البيانات.

صحيح أن الميليشيا ببلاهة عدساتها قد صوّرت لضحاياها شواهد إدانة بأيديها، غير أن التجمعات الدارفورية لم تأخذ هذا الغباء هبة من سفه الخصم، بل حولته إلى بصيرة استراتيجية استفادت منه أقصى فائدة، ولم تقف عند عتبة المشاهدة – حيث وقف البعض – وإنما حمَلَتْ هذه الجرائم الموثقة بآلات القتل المعدود إلى قمة الهرم في مراكز التأثير البريطانية.

ثم أطبقوا عليهم بفكر قانوني رصين، فأوصلوهم إلى دوائر الشرطة البريطانية، لا كمجرمين افتراضيين، بل كمولي جرائم حرب وإبادة جماعية. وهنا يكمن الفارق الجوهري.. فالدولة تتعامل مع القضية كقضية (داخلية)، أما أبناء دارفور في بريطانيا، فتعاملوا معها كقضية (كونية) تخضع لقوانين روما وللكونفوينشز الدولية. وهذا ما أربك الحكومة البريطانية وجعلها في مأزق أخلاقي وسياسي.. فإما أن تطبق القانون وتلف حبل المشنقة على رقبة الميليشيا، أو تتغافل وتخسر شرعيتها أمام ناخبيها.

أما كيفية طرح مطالبهم، فهي درس في «فن الحرب الباردة» على الطريقة السودانية. فهم لم يكتفوا بإرسال «العريضة» كما يفعل المواطن العادي، بل صاروا هم أنفسهم خبراء إعلاميين واستراتيجيين. فقد اتصلوا بالصحف الكبرى كـ«الغارديان» و«الإندبندنت» و«بي بي سي»، ليس كضحايا يطلبون الشفقة، بل كمصادر موثوقة تملك الوثائق والشهادات والتحليلات الدقيقة.

وما كان للصحف إلا أن تفتح أبوابها لهم، لأنهم أدركوا أن «الخبر» ليس ما يحدث في الفاشر فقط، بل ما يحدث في لندن أيضا. فهم يربطون بين استثمار شركة بريطانية في الذهب السوداني المهرب عبر الميليشيا، وبين سقوط طفل في معسكر نيالا. وهذا ما يُغضب الرأي العام البريطاني.. فالمواطن هناك لا يتحمل أن تكون ضرائبه أداة لقتل طفل في دارفور.

وهنا يكمن السر.. فهم يؤثرون ليس بالبكاء في الإعلام، بل بالمنطق الاقتصادي والقانوني والأخلاقي. فهم يقولون للحكومة البريطانية: «موقفكم هذا سيكلفكم أصواتا في الانتخابات، وسيكلفكم شركات في السودان، وسيكلفكم سمعتكم في مجلس الأمن». فالخوف من فقدان المكانة أقوى من الخوف من فقدان حليف تجاري عابر.

وهذا يقودنا إلى نقطة فلسفية جوهرية.. أن الحكومات الغربية تخاف على مواقفها ليس من منظور «الضمير» فحسب، بل من منظور «السلطة». ففي عصر الإلكترونيات الاجتماعية والشفافية المؤسسية، لم تعد الحكومة تخشى المعارضة فقط، بل تخشى الفضيحة. فالفضيحة الإعلامية قد تصبح فضيحة انتخابية، والفضيحة الانتخابية قد تصبح سقوطاً سياسياً.

ولذلك، فإن كل موقف تتخذه حكومة غربية من دعم الميليشيا أو التغافل عن جرائمها، هو موقف يرصده السودانيون في المهجر، ويسجلونه ضدها في سجل التاريخ المعاصر. ولأن التاريخ لم يعد يُكتب من فوق، بل يُكتب من تحت، عبر المنشورات والتغريدات والتقارير غير الرسمية، فإن الحكومات تخشى أن تكون «ضحية» الرأي العام كما كان أبناء دارفور ضحاياه.

إن ما يفعله أبناء دارفور في الخارج ليس عملاً جماهيرياً بسيطاً، بل هو فعل كينونة في أنقى صور الفلسفة. فهم يؤكدون أن الهوية لا تُصاغ بالانتماء الجغرافي فقط، بل بالقدرة على صناعة التأثير في الزمان والمكان. وهم في شتاتهم، لم يكونوا «جاليات» تبحث عن لقمة العيش، بل صاروا «دولة فكرية» تبحث عن حق الحياة لوطن يُجرح كل يوم.

أما الدولة التي تفتقر إلى هذا الوعي، فإن عليها أن تدرك أن القوة ليست في السلاح فقط، ولا في السلطان فقط، بل في القدرة على قراءة العالم كما هو، لا كما تتمنى أن يكون. وأن أبناء دارفور في الخارج لم يكتفوا بتحمل قساوة الغربة، بل حمَّلوا الغرب مسؤولية ما يجري في دارفور. وهذا هو الفرق بين من يبكي على الوطن، وبين من يصنع للوطن مستقبلاً، وإن كان من بُعد المسافات.

فالشتات إذن ليس نقمة، بل هو نقمة على الظالمين، ونعمة على المظلومين. وما أجمل أن تكون الغربة جسراً يربط بين الموت في الداخل والحياة في الخارج، كي تبقى دارفور حية في الوجدان، شامخة في الإرادة، عصية على الاندثار. ولا ترتجف من بأس العبث ولا من كيد الغدر، مهما تمظهرت صور المكائد.

* رئيس التحرير.

VOICE of sudanese community

السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

رسالة محبة سودانية.. القاهرة تحتفي بإنشاد جمعية دنقلا الصوفي

○ القاهرة – إعلام جمعية دنقلا

● اختتم مهرجان «سماع» الدولي للموسيقى الروحية والإنشاد الديني فعاليات دورته الثامنة عشرة بنجاح باهر على مسرح السامر بالقاهرة، مطلقًا رسالة سلام عالمية تحت شعار «هنا نصلي معًا». وشهدت منصة المهرجان لحظة اعتزاز وفخر سوداني، حيث تم تكريم فرقة جمعية دنقلا للثقافة والتراث السوداني، والتي مثلت السودان بتميز في هذا المحفل الدولي الكبير.

جاء هذا التكريم، الذي تسلمه المستشار الثقافي بالسفارة السودانية بالقاهرة د. عاصم أحمد حسن من رئيس المهرجان، الفنان الدكتور انتصار عبد الفتاح، تقديرًا لمشاركة فرقة جمعية دنقلا للثقافة والتراث النوبي الروحانية والفنية المتميزة ضمن كوكبة من الفرق الدولية التي مثلت تسع دول. وأكد الدكتور عبد الفتاح أن المهرجان يهدف لمد جسور التفاهم والسلام بين الشعوب عبر الفن الروحي، وهو ما تجسد بوضوح في أداء الفرقة السودانية.

نجحت فرقة جمعية دنقلا في أن تكون سفيرًا للهوية الثقافية السودانية، معبرةً عن جانب أصيل ومهم في الوجدان السوداني وهو اللون الصوفي. وقد تجلى هذا التمثيل العميق من خلال تقديمها لمدائح نبوية حملت معها نفحات روحانية عذبة وصدى الإرث الديني والإنشاد المتنوع في السودان، نالت استحسانا وإعجابًا كبيرين من الجمهور الحاضر والزوار.

يأتي نجاح هذه المشاركة انعكاسًا للدور الريادي الذي تضطلع به جمعية دنقلا للثقافة والتراث السوداني (الجمعية الأم)، ومكتبها النشط في القاهرة. ويُشاد بجهود الجمعية الأم ورئيسها، الدكتور محمد عوض، في الحفاظ على شعلة الثقافة والتراث السوداني ونقلها للأجيال في المهجر. كما تثمن الجهود التنظيمية والإعدادية المتقنة التي قام بها مكتب القاهرة، برئاسة الدكتورة ست البنات حسن، لضمان مشاركة الفرقة بنجاح وتميز.

حظيت مشاركة الفرقة برعاية وإشراف مباشر من المستشارية الثقافية بالسفارة السودانية بالقاهرة، حيث شرف حفل الافتتاح والختام الدكتور عاصم أحمد حسن، المستشار الثقافي، ممثلاً لسعادة السفير الفريق أول ركن عماد الدين مصطفى عدوي.

أكد المستشار الثقافي، في تصريح صحفي، على التقدير الكبير للجهود المصرية وحرص السفارة على دعم ورعاية برامج وفعاليات جمعية دنقلا فرع القاهرة بشكل دائم، مما يعكس اهتمام السفارة بتعزيز التبادل الثقافي ونشر التراث السوداني في مصر. كما أشاد المستشار الثقافي بالمستوى الفني الرفيع للمشاركين، مؤكدًا أن المهرجان منصة راسخة لتعزيز مبادئ التسامح والتواصل بين الشعوب.

شارك بالحضور الدكتور حسام حسين محمد عثمان المستشار الاقتصادي بالسفارة، كما شارك بالحضور رعاة تمثل فرقة جمعية دنقلا للثقافة والتراث النوبى، المدير العام لشركة تاركو للطيران بالقاهرة الأستاذ سعد بابكر احمد محمد نور الراعي الرسمي ومكتب شركة بدر للطيران بالقاهرة، ومدرسة البيان ومدرسة مركز الرسالة النموذجي للتعليم السوداني بمصر.

إن هذا التكريم لفرقة دنقلا يتجاوز كونه اعترافا بتميز الأداء الفني، بل هو احتفاء بالهوية الثقافية السودانية وقدرتها على المساهمة الفاعلة والإيجابية في المحافل الدولية، حاملة معها رسالة محبة وسلام تتجسد في روحانية الإنشاد الصوفي السوداني. وقد اختتم المهرجان فعالياته بعد أربعة أيام من الأنغام الروحية والتنوع الموسيقي الغني، مؤكدًا على دور الفن في بناء الجسور الإنسانية.

مشاركة سودانية واسعة في معرض جدة الدولي للزراعة لجذب الاستثمارات والترويج للمنتجات الغذائية

○ جدة – «فويس»

● شارك السودان في معرض جدة الدولي للزراعة والمنتجات الغذائية، الذي انطلقت فعالياته أمس ويستمرلمدة ٣ ايام، ممثلاً في ولايات القضارف والشمالية والنيل الأبيض وسنار، وذلك عبر جناح متكامل خُصص لعرض وتسويق المحاصيل الزراعية والترويج للمشاريع الاستثمارية المطروحة.

وقال الأستاذ عمار عبدالله سليمان، وزير الإنتاج والموارد الاقتصادية بولاية القضارف، إن مشاركة السودان للمرة الثانية تهدف إلى بناء شراكات جديدة مع الدول المشاركة، إضافة إلى عرض المنتجات السودانية بصورة احترافية، مركدا أن جناح القضارف وجد إقبالا كبيرا وإشادة واسعة من زوار المعرض.

من جانبها أوضحت وزيرة المالية بولاية القضارف الأستاذة نجاة أحمد محمد، أن مشاركة وزارتها تستهدف تعريف الشركات والمستثمرين بمنتجات الولاية، مشيرة إلى أن اقتصادها يعتمد بشكل أساسي على المحاصيل النقدية.

وأضافت أن اختيار القضارف لتمثيل السودان يعود لكونها ولاية آمنة لم تتأثر بالحرب، ولتميزها بالإنتاج الزراعي الوفير. وأكدت المهندس وصال الشيخ محمد فرح، وزيرة الإنتاج والموارد الاقتصادية بولاية النيل الأبيض، أن مشاركتهم تُعد الأولى في المعرض، حيث شملت عروض الجناح منتجات الولاية من الصمغ العربي والأرز وزهرة الشمس وغيرها وكشفت عن تقديم مقترحات للدول المشاركة للاستثمار في الولاية عقب إجازة قانون الاستثمار الجديد، مشيرة إلى أن الجناح شهد إقبالا ملحوظا.

وقال الدكتور عبدالقادر أحمد محمد حامد، ممثل مشروع الجزيرة، إن المشاركة للمرة الثانية تأتي لإبراز مقومات المشروع من الأراضي الشاسعة ووفرة مياه الرى، إضافة إلى طرح الرؤى الاستثمارية لجذب المستثمرين، مشيدا بتنظيم المعرض والإقبال الكبير على الجناح السوداني.

وفي السياق ذاته، أوضح نادر الزبير ممثل شركة (زادنا للحوم الراعي والمنظم لجناح ولاية القضارف أن المشاركة السودانية هذا العام جاءت مميزة ومشرفة، ووجدت المنتجات السودانية، خاصة اللحوم، رواجا واسعا داخل المعرض.

يُذكر أن معرض جدة الدولي للزراعة في دورته الرابعة يُقام بمركز جدة للمعارض والفعاليات..

الخطوط الجوية السودانية تستأنف الرحلات إلى عدد من الدول

○ بورتسودان – «فويس»

● أعلنت الخطوط الجوية السودانية «سودانير» عن استئناف رحلاتها الجوية المجدولة إلى عدد من الوجهات الإقليمية بعد فترة من التوقف. وقالت الشركة، في بيان، إن استئناف الرحلات يأتي عقب اكتمال أعمال الصيانة لطائرتها من طراز «إيرباص A٣٢٠» في أحد المراكز المتخصصة بالهند. وكشفت مجموعة مصطفى أبوسليمان للسفر والسياحة أن نظام الحجز الإلكتروني الخاص بـ «سودانير» سيكون متاحاً لاستقبال حجوزات المسافرين بداية من يوم ١٠ ديسمبر المقبل، حيث تشمل الوجهات التي ستُستأنف الرحلات إليها مدن: جدة، الرياض، القاهرة، ومسقط، وفقا لموقع «المشهد» السوداني. وأوضحت «سودانير» أن هذا الإعلان يأتي في إطار جهود الشركة لتعزيز حضورها الإقليمي واستعادة ثقة المسافرين بعد فترة توقف لأغراض الصيانة الدورية، مؤكدة التزامها بتقديم خدمات آمنة ومنتظمة.

قنصلية السودان بجدة تدشن نفرة دعم الفاشر

○ جدة – «فويس»

● دشنت القنصلية العامة لجمهورية السودان بجدة مساء الخميس نفرة الفاشر تحت شعار:(كلنا جيش.... كلنا الفاشر) بمشاركة واسعة من أبناء الجالية السودانية بجدة والعاملين بالقنصلية.

واكد السفير كمال علي عثمان القنصل العام بجدة لدى مخاطبته حفل التدشين تضامن ابناء الجالية السودانية بجدة مع الشعب السوداني وخاصة مواطني الفاشر دعما واسنادا منذ اندلاع الحرب التي فرضت على الشعب السوداني.

و اوضح ان ليلة التدشين هي من ليالي الوطن الخالدة اجتمع فيها نفر كريم من اجل قضية الوطن لدعم القوات المسلحة ودعم الفاشر، محييا المملكة العربية السعودية قيادة وشعبا على حسن استضافتها للسودانيين ودعمها المتواصل للسودان. مما يؤكد عمق الصلات والعلاقة الاخوية بين البلدين.

واشاد القنصل العام بالانتصارات الكبيرة التي حققتها القوات المسلحة والقوات المساندة لها.

ومن جانبهم اكد أعضاء اللجنة المنظمة وقفتهم القوية مع القوات المسلحة ونصرة الفاشر مشيدين بتدافع أبناء الجالية السودانية بجدة ومشاركتهم في النفرة.

أخبار القنصلية العامة لجمهورية السودان بقوانجو-الصين

○ بكين – «فويس»

● في إطار رعاية القنصلية العامة بقوانجو للطلاب السودانيين في مقاطعة قواندونغ، شارك السيد / د. عثمان حسن عربي – القنصل العام بالانابة، في برامج التبادل الثقافي التي نظمتها عدد من الجامعات فى منطقة التمثيل خلال شهر نوفمبر ، كما شارك أيضا في اليوم الثقافي العالمى في كل من جامعة شينزن و جامعة الجنوب الطبية و حضور المؤتمر العلمي الذى اقامته كلية العلوم الطبية بجامعة الجنوب..

كما دعمت القنصلية مشاركة الطلاب السودانيين في المعارض المصاحبة فى جامعة شينزن و جامعة الجنوب وجامعة خونان بتقديم نماذج من الفكلور والوجبات السودانية . قدّم فيها الطلاب عروض ثقافية عكست الحضارة والتراث الثقاقي غير المادي الغني الذى يزخر به السودان والتعريف بموارد السودان البشرية والاقتصادية.

تعرض قيادي سوداني بمنظمة التضامن المسيحي العالمي لاعتداء جسدي

● تعرض السيد مهند النور، الذي يشغل أخصائي السودان في منظمة التضامن المسيحي العالمي الاحد الماضي لاعتداء جسدي من خمسة اشخاص أثناء إلقائه كلمة في مظاهرة في نيوكاسل بالمملكة المتحدة، والتي تم تنظيمها للاحتجاج على الفظائع التي ترتكبها قوات الدعم السريع في دارفور والدعم المستمر الذي تقدمه دولة الإمارات العربية المتحدة لقوات الدعم السريع. مما ادي لإصابته بقطع عميق في إبهامه الأيسر، وكسر شعري في عظم الزورقي الأيمن، وألم شديد في الأقراص المنزلقة الموجودة مسبقًا في ظهره، وإصابة بالجلد، وعدم وضوح مؤقت في الرؤية في إحدى عينيه نتيجة تلقيه عدة ضربات قوية على رأسه. وادانت منظمة التضامن المسيحي العالمي بشدة الاعتداء على عضوها مهند النور، وأعربت عن تضامنه معه وعائلته. وحثت شرطة نورثمبريا على إجراء تحقيق مُفصّل في هذا الاعتداء، وضمان مُعاقبة المسؤولين عنه بأقصى العقوبات

مدير «التأمين بالدبة»: توسع غير مسبوق وخدمات تصل إلى أبعد نقطة

«صندوق التأمين: خريطة جديدة للخدمات وتحديات على خط المواجهة

رسالة الشمالية

إعداد : ليلى زيادة

○ في حوار خاص، تحدّث د. أحمد البشير عبدالباقي، مدير التأمين الصحي بمحلية الدبة بالولاية الشمالية، عن الخطط والاستراتيجيات التي يعمل عليها الصندوق لتعزيز مظلة التأمين وتجويد الخدمات الصحية، كاشفاً عن توسعات جديدة وتحديات ميدانية تتطلب جهوداً متواصلة لضمان وصول الخدمة إلى المواطن أينما كان.

● **الدبة – عباس وداعة وليلى زيادة**

○ في البداية، ما الرؤية الأساسية التي يقوم عليها العمل داخل التأمين الصحي بمحلية الدبة؟

– التأمين الصحي هنا يقوم على ركيزتين أساسيتين: إدخال أكبر عدد من المواطنين تحت مظلته، وضمان تقديم خدمات صحية عادلة وذات جودة عالية. نحن نعمل باستمرار على تطوير هذه الرؤية وتوسيع نطاقها، حتى تصل الخدمة لكل من يستحقها دون تمييز.

○ كيف تُقدَّم هذه الخدمات ضمن النظام الصحي القائم؟

– الخدمة تُقدَّم عبر المؤسسات الصحية التي تشرف عليها وزارة الصحة. دور التأمين الصحي هو شراء الخدمة من هذه المرافق– سواء بالمحلية أو الولاية أو على مستوى القطر– وفق معايير واضحة. وعندما تظهر حاجة لخدمة معينة في منطقة محددة، نسارع إلى التعاقد مع الجهة التي يمكنها توفيرها للمواطن.

○ المناطق البعيدة والنائية غالباً ما تواجه صعوبة في الوصول للخدمات. ما أبرز التحديات لديكم هناك؟

– أكبر التحديات تتعلق بالوصول إلى الجزر والمناطق النائية التي تحتاج إلى دعم إضافي. حتى الآن تعاقدنا مع ثمانية مراكز صحية في مختلف الوحدات الإدارية.

كما أُدرجت جميع مستشفيات المحلية ضمن مظلة التأمين. نحن حالياً في المرحلة الثالثة من خطة استعادة الخدمات الطبية، وتشمل وحدات صحة الأسرة بعد اكتمال المرحلتين السابقتين المتعلقتين بالمستشفيات والمراكز الصحية. ورغم الظروف التي تمر بها البلاد والنزوح، نعمل على إضافة وحدتين جديدتين في القريب.

○ ماذا عن جودة الخدمة داخل المرافق التي تتعاقدون معها؟

– جودة الخدمة بالنسبة لنا خط أحمر. لا نتعاقد مع أي مركز أو وحدة صحية قبل التأكد من استيفائها المعايير المطلوبة عبر زيارات ميدانية. ثم نتابع باستمرار عبر فرق تفتيش، لضمان استمرارية الأداء بجودة عالية.

○ كيف تجري عملية الإشراف ومتابعة الأداء داخل هذه المرافق؟

– لدينا إشراف مباشر على مواقع تقديم الخدمة، إضافة إلى متابعة فنية من إدارة التخطيط، ومراجعات شهرية بالشراكة مع إدارة الشؤون الصحية. هذا يضمن الرقابة ومعالجة أي قصور فور ظهوره.

○ يتداول حديث عن تحديد أعداد محددة لمقابلة الأخصائيين. ما موقفكم من ذلك؟

– استطعنا–ولأول مرة–توفير تسعة أخصائيين داخل المستشفى المركزي بالدبة، وهو تطور كبير مقارنة بالسنوات الماضية.

بعض الإشكاليات ظهرت فيما يتعلق بتحديد عدد المرضى، ونعمل مع إدارة المستشفى على معالجة الأمر.

ولتخفيف الضغط وفرنا أخصائيين في المركز الصحي مباشرة، منهم أخصائي باطنية يومي الأربعاء والسبت، وأخصائي نساء وتوليد، وأخصّائي أطفال، إضافة إلى خدمات الموجات الصوتية والأشعة والأسنان.

وهناك أخصائيون–مثل د. هيثمة (عيون)–يقدّمون خدمات تتجاوز المسموح تقديرا لظروف المرضى.

○ **وماذا عن تغطية الأسرة وأنواع الاشتراكات المتاحة للمواطنين؟**

– التغطية تشمل الأب والأم والزوجين والأبناء. وبالنسبة للذكور بعد سن الثامنة عشرة، يكون لهم اشتراك مستقل. خيارات الدخول متعددة، منها مشروع «كافل» القائم على التكافل بين الموظفين، والاشتراك الفردي السنوي، والدعم المقدم من ديوان الزكاة والمالية، إضافة إلى الدعم الحكومي للفئات المستحقة.

○ كيف يتم التعامل مع موظفي الدولة فيما يتعلق بالتأمين؟

– القانون يلزم كل العاملين بالدولة بالاشتراك في التأمين الصحي، مع استقطاع شهري من الرواتب سواء استخرج الموظف البطاقة أم لا. بهذا تكون الخدمة المدنية بكاملها تحت مظلة التأمين الصحي تلقائيا.

○ ما الهدف الذي تسعون لتحقيقة؟

– الهدف النهائي للمنظومة هو ضمان سهولة الوصول للخدمة، وتطوير البنية الصحية، وتوسيع التغطية لتشمل جميع الوحدات والمناطق، خصوصا البعيدة منها. والعمل مستمر لتوفير التخصصات المطلوبة دون أن يتحمل المواطن عناء السفر أو التكاليف العالية.

الملتقى الشبابي الأول بالدبة..
منصة لتعزيز دور الشباب ودعم الاستقرار في الولاية الشمالية

○ **الدبة – «فويس»**

● شهدت محلية الدبة بالولاية الشمالية، يوم الثلاثاء الثاني من ديسمبر، انعقاد الملتقى الشبابي الأول تحت شعار «يدٌ تعمّر ويدٌ تحمل السلاح»، وذلك بقاعة المقاومة الشعبية، وبرعاية المدير التنفيذي للمحلية محمد صابر كشكش، وتشريف رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة بالولاية اللواء الركن د. عبدالرحمن أحمد فقيري ووفده المرافق له، بجانب حضور نائب رئيس المقاومة الشعبية بالمحلية حسن مرغني البصير، وعدد من القيادات والفعاليات الشبابية والاجتماعية.

فقيري: شباب الدبة خط الدفاع الأول

أكد رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة، اللواء الركن د. عبدالرحمن أحمد فقيري، في كلمته، أن أهالي الدبة ضربوا أروع الأمثلة في الكرم والشهامة، مستشهدًا بمواقفهم في استقبال الوافدين واستضافتهم، وبمبادرات أبناء المنطقة وعلى رأسهم أزهري المبارك الذي خصص جزءًا من أرضه الزراعية لإيواء المتضررين.

وأشاد فقيري بدور شباب المحلية الذين وصفهم بـ«النشطين والمبادرين»، مشيرًا إلى أنهم أول من أسس مقاومة شعبية على مستوى السودان، وكانوا في مقدمة الصفوف لدحر التمرد في مروي وإعلان الاستنفار نصرةً للقوات المسلحة. وأضاف أن الجيش يمتلك القدرة على إفشال خطط العدو، متوقعًا «سماع أخبار تحرير دارفور ونصر الفاشر قريبًا».

وحيّا فقيري المدير التنفيذي للمحلية محمد صابر، واصفًا إياه بـ«الشاب الناجح» الذي جمع بين الحكمة والنشاط، كما وجه تحية خاصة للزعيم أزهري المبارك ولرجال المقاومة الشعبية، وللأستاذ عزالدين السيد الوزير السابق للشباب والرياضة بالولاية.

المدير التنفيذي: آن الأوان لرد الجميل للشباب

من جهته، أكد المدير التنفيذي لمحلية الدبة رئيس اللجنة الأمنية، محمد صابر كشكش، أن هذا اليوم يمثل لحظة تقدير مستحقة للشباب، نظير ما قدموه من جهد وتضحيات في دعم القوات المسلحة ومجابهة الكوارث التي مرت بها المحلية، من فيضانات وأوبئة واستقبال النازحين. وقال إن شباب الدبة كانوا في الصفوف الأولى للاستنفار والمقاومة الشعبية، وقدّموا نموذجًا في المسؤولية المجتمعية، مؤكدًا أن المحلية ماضية في حل كل القضايا التي تواجههم، ودعم مبادراتهم، واستقبال الوافدين مهما بلغ عددهم، «لأن الهمّ واحد والوطن واحد».

المقاومة الشعبية: مستمرون حتى تحرير البلاد

وفي كلمته، حيّا نائب رئيس المقاومة الشعبية بالمحلية، حسن مرغني البصير، شهداء المقاومة وشبابها، الذين قاتلوا وقدموا التضحيات دفاعًا عن البلاد. وأوضح أن المقاومة الشعبية بدأت بـ١٢٧ معسكرًا وما تزال مستمرة «حتى تحرير الوطن من أي مليشيا أو خائن». وأكد البصير أن قيادة المحلية تقف بالكامل خلف الشباب، دعمًا ومساندة، مشددًا على أن الهدف المشترك هو «توحيد السودان، ومحاربة التمرد، وحماية البلاد من المؤامرات».

العميري: الملتقى خطوة نحو رؤية شبابية موحدة

أعلن رئيس اللجنة العليا للملتقى، د. عبدالمنعم العميري، أن هذا التجمع يأتي ضمن سبعة ملتقيات تقام في كل محليات الولاية، بهدف الاستماع لقضايا الشباب، وإدماج توصياتهم ضمن الخطة التشغيلية لعام ٢٠٢٦. وأشاد العميري بشباب الدبة، واصفًا إياهم بأنهم «قادرون على تقديم رؤية قوية تقود بقية المحليات».

اللجنة المنظمة: الشباب عماد البناء

رحّب رئيس اللجنة المنظمة، زكريا عيد سعيد، بالحضور، مترحمًا على شهداء البلاد، ومشيدًا بالدور التاريخي للشباب في الجهاد والإعمار منذ عهد الصحابة. وأكد أن شباب الدبة قدموا مجهودات مشهودة، متمنيًا أن يحقق الملتقى أهدافه في خدمة قضاياهم.

توصيات الملتقى

قدّم رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة سابقًا، الأستاذ عزالدين محمد السيد، ورقة التوصيات التي شملت مجموعة من المقترحات، أبرزها:

- إنشاء مركز شباب نموذجي بالمحلية.
- تأسيس مراكز شباب في الوحدات الإدارية: الغابة – التضامن – الدبة.
- تمكين الشباب ثقافيًا ورياضياً وتعليميًا.
- توفير فرص عمل ومشروعات تحقق الاستقرار للشباب.
- تشجيع الزواج وتقديم مبادرات اجتماعية داعمة.
- إقامة مشروعات استثمارية لتمويل الأنشطة الرياضية.
- تشجيع القطاع الشعبي والمنظمات على دعم الشباب ومحاربة الظواهر السالبة
- تفعيل المناشط الرياضية وتدريب الكوادر وتوفير الدعم اللازم.
- تدريب الشباب على الأجهزة المتقدمة في المجال الرياضي.
- تطوير قدرات الشباب في التخطيط السليم.
- إقامة دورات متخصصة للتعامل مع الوسائط الرقمية الحديثة.

واختُتم الملتقى وسط حضور واسع من قيادات المقاومة الشعبية ومنظمات العمل الشبابي بالمحلية، مؤكدين أن الدبة ستظل نموذجًا في التكاتف ووحدة الصف ودعم الاستقرار، وأن الشباب سيبقون في مقدمة مسيرة البناء وحماية الوطن.

VOICE of sudanese community

السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

رحلات بحرية غير آمنة كثيراً ما تتحول إلى مقابر مفتوحة

«ممرات الموت» .. لسودانيين فارين أقل خطراً من حياة بلا أمان

○ تقرير - إسراء الشاهر «إندبندنت»

● «الأزمة ليست مادية فحسب، بل نفسية أيضاً، فالمراهقون الذين قابلناهم يتحدثون عن شعور عميق بالفقد، فقدوا منازلهم، ومدارسهم، وأصدقاءهم، وفي حالات كثيرة فقدوا أحد الوالدين. فهذا الإحساس بالعجز، مع غياب أي أفق للمستقبل، يجعل خيار الهجرة يبدو لهم أقل خطورة من البقاء. وبالنسبة إليهم الحياة داخل السودان لم تعد حياة».

منذ اندلاع حرب السودان في أبريل (نيسان) ٢٠٢٣ تحول البلد إلى ساحة نزوح جماعي غير مسبوق على مستوى دول العالم، إذ يقدر عدد النازحين داخل البلاد بنحو ١٢,٧ مليون شخص معظمهم نزح مرات عدة وبات بلا مأوى.

في حين فر أكثر من ٢,٧ مليون إلى خارج الحدود بحثاً عن الأمان والحياة، منهم أعداد ضخمة لجأت إلى دول الجوار، بخاصة مصر وأوغندا وتشاد وإثيوبيا.

من بين هؤلاء مراهقون غامروا بحياتهم في «رحلات الموت» عبر المتوسط أو عبر الصحراء هرباً من جحيم الحرب وما صاحبها من انهيار للدولة. ففي عام ٢٠٢٣ فحسب، وصل نحو ٥٨٨٧ سودانياً إلى إيطاليا عبر البحر، وهو رقم يعكس تزايد الهرب عبر المسارات البحرية، بحسب تقارير لمنظمات دولية.

الصبي السوداني آدم (١٦ سنة) حاول العبور من ليبيا إلى أوروبا قبل أن يعاد إلى السودان عبر إحدى عمليات الترحيل، قال «سافرت من نيالا بإقليم دارفور إلى الحدود الليبية مع سبعة فتيان في مثل عمري، حيث قضينا يومين بلا ماء في الصحراء، وكان المهرب يقول لنا إن الماء باهظ الثمن. وعندما وصلنا إلى المخزن قرب الزوارة، كانوا يضربون الناس بالعصي، وكنا نسمع الصراخ طوال الليل. صحيح كنت أعلم أن الطريق صعب، لكنني لم أتوقع أن يكون قريبا من الموت إلى هذا الحد».

تجربة آدم هي نموذج لآلاف الصبيان والشباب الذين يقعون في فخ مهربين يرسمون لهم أحلاما وردية للعيش في دولة أوروبية بعيدا من نكد الحياة في بلاد مثل السودان، حيث لم تمنع حوادث الغرق المتكررة في البحر الأبيض المتوسط هؤلاء المغامرين من تجنب ركوب قوارب الموت.

موت بطيء

يقول المتخصص في شؤون الهجرة والاتجار بالبشر الهادي بشارة «رقعة الحرب في السودان واتساع الانهيار الخدمي دفعت آلاف المراهقين إلى الهرب، إلا أن المسارات التي يسلكها المراهقون السودانيون اليوم ليست طرق هجرة، بل هي ممرات خطرة تمزج بين العنف، والاستغلال، والموت البطيء. فمعظمهم يخرج عبر ثلاثة محاور رئيسة هي: مسار دارفور - ليبيا وصولاً إلى المتوسط، ومسار يبدأ من شرق السودان إلى مصر، إضافة إلى طريق تشاد - النيجر والذي ازداد نشاطا منذ بداية الحرب. فكل هذه الطرق تتقاطع في مناطق خارجة تماماً عن سيطرة الدولة، وتخضع لشبكات تهريب متشابكة مع جماعات مسلحة».

وأضاف بشارة أن «القُصّر يواجهون أخطاراً متراكمة منذ اللحظة الأولى للمغادرة، ونحن نتحدث عن أيام طويلة من الجوع والعطش داخل الصحراء، واحتجاز داخل مخازن مكتظة، وعنف جسدي، وطلب فدية من الأسر، وانتهاء برحلات بحرية غير آمنة، إذ كثيرا ما تتحول إلى مقابر مفتوحة. فالمهربون يستغلون المراهقين تحديداً، لأنهم الأقل قدرة على التفاوض والأكثر استعدادا للمخاطرة». وأشار إلى أن البيانات الدولية تكشف عن قفزة لافتة في محاولات العبور خلال العامين الأخيرين، «ففي عام ٢٠٢٣ وحده، وصل أكثر من ٥ آلاف و٨٠٠ سوداني إلى السواحل الإيطالية، ونسبة ملحوظة منهم كانوا دون الـ١٨. هذه الأرقام لا تعكس الصورة كاملة، فهناك آلاف المحاولات التي انتهت في عمق الصحراء أو لم يسجل وصولها إلى أي نقطة. نحن نرى فقط من نجحوا في الوصول، ولا نرى من ابتلعتهم الطرق».

ويمضي المتخصص في شؤون الهجرة والاتجار بالبشر قائلاً، «المراهقون الذين يخوضون هذه التجارب لا يبحثون عن أوروبا فحسب، بل عن منفذ للحياة. هم جيل فقد المدرسة، وفقد الأمن، وفقد البيت، وأصبح يشعر أن البقاء داخل السودان أشبه بالموت البطيء. لذلك، على رغم كل الأخطار، لا تزال هذه الطرق تستقبل موجات جديدة من الشباب الذين لا يملكون خياراً آخر».

دوافع الهرب

الباحث الاجتماعي المتخصص في قضايا النزوح والهجرة سليم طارق يقول «خروج المراهقين السودانيين عبر طرق غير نظامية بات انعكاسا مباشرا لانهيار البيئة الحياتية داخل البلاد، فخلال العامين الأخيرين انهارت المنظومة التعليمية في معظم مناطق السودان، وتوقفت آلاف المدارس عن العمل بالكامل، مما ترك أعدادا كبيرة من المراهقين خارج أي إطار حماية أو تعليم. كثير منهم يعيشون اليوم في مخيمات نزوح تفتقر إلى أبسط مقومات الأمان والاستقرار، ويشهدون العنف بصورة يومية. فهذه البيئة وحدها كافية لدفع أي فتى للبحث عن مخرج، حتى وإن كان عبر الصحراء»

وتابع طارق «الأزمة ليست مادية فحسب، بل نفسية أيضاً، فالمراهقون الذين قابلناهم يتحدثون عن شعور عميق بالفقد، فقدوا منازلهم، ومدارسهم، وأصدقاءهم، وفي حالات كثيرة فقدوا أحد الوالدين. فهذا الإحساس بالعجز، مع غياب أي أفق للمستقبل، يجعل خيار الهجرة يبدو لهم أقل خطورة من البقاء. وبالنسبة إليهم الحياة داخل السودان لم تعد حياة».

وواصل «قصص الهجرة الناجحة قليلة لكنها مؤثرة تؤدي دورا محفزا، فهناك روايات كثيرة يتداولها الشباب عن أقارب أو أصدقاء وصلوا أوروبا وبدأوا حياة جديدة. وعلى رغم أن الواقع مختلف تماما، فإن هذه القصص تخلق وهما جماعيا بأن الطريق القاتل قد يكون فرصة ذهبية. وبعض الأسر، تحت ضغط الفقر وانعدام الأمان، تشجع أبناءها على المغادرة أملاً في دعم لاحق».

وأردف، «ما نراه اليوم ليس مجرد هرب، بل انهيار عام لشعور الأمان وانعدام البدائل. لكن السؤال لم يعد لماذا يهرب المراهقون؟ فالسؤال الحقيقي هو ما الذي تبقى لهم ليبقوا من أجله؟».

وبين الباحث الاجتماعي أنه «حين يفقد الفتى مدرسته وطفولته ومستقبله في وقت واحد، يصبح الطريق الأخطر أقل رعباً من الواقع الذي يعيشه. وهذا هو جوهر مأساة الهجرة الحالية بين المراهقين السودانيين».

فقر ويأس

من جانبه أوضح الباحث في شؤون الهجرة محمد عبدالهادي يقول إنه، «مع تفاقم الحرب وانهيار مؤسسات الدولة في مناطق واسعة من السودان، ازدهرت شبكات التهريب المنظمة وغير المنظمة، مستغلة فراغ القانون والفقر واليأس لدى السكان، خصوصاً المراهقين. فهذه الشبكات تعمل في مناطق معقدة أمنياً، وتتعاون أحيانا مع جماعات مسلحة لتأمين المرور، أو تفرض رسوم عبور باهظة وأحيانا تنتهك حقوق القاصرين جسديا ونفسيا».

واستطرد عبدالهادي، «بحسب تقارير منظمات حقوقية، تتنوع أشكال الاستغلال، بدءاً من دفع مبالغ مالية كبيرة مقابل العبور، وصولاً إلى الابتزاز الجنسي أو الاستغلال في أعمال شاقة، إضافة إلى التعرض للعنف في المخازن أو أثناء التنقل عبر الصحراء. فكل ذلك يجعل الرحلة أشبه بممر موت أكثر من كونها طريقا».

وزاد «ما نراه في السودان اليوم ليس مجرد تهريب للهجرة، بل صناعة متكاملة للاستغلال. فالشبكات تستهدف القصر على وجه الخصوص، لأنهم أكثر عرضة للضغط، وأقل قدرة على المطالبة بحقوقهم. وفي بعض المناطق يعمل المهربون بالتنسيق مع مسلحين محليين أو عناصر من الميليشيات لتأمين المرور، ويصبح المراهق رهينة لأي خطأ صغير».

وبيّن أن الرحلة تبدأ غالباً بوعد وهمي بحياة أفضل في أوروبا، لكنها تتحول بسرعة إلى سلسلة من الانتهاكات، وحرمان من الطعام والماء، والضرب، والحبس داخل مخازن مكتظة، وحتى الابتزاز الجنسي. فكل خطوة في الطريق تحمل خطورة حقيقية على حياة الفتى أو الفتاة.

ولفت الباحث في شؤون الهجرة إلى أن «هذه الشبكات لا تعمل في فراغ، فهي جزء من اقتصاد الحرب داخل السودان. فكل حادثة وفاة أو اختفاء لقاصر تضيف قيمة لمن بقي منهم على الطريق. وللأسف، حتى المنظمات الإنسانية لا تستطيع دائما التدخل بصورة مباشرة في مناطق السيطرة غير الرسمية، مما يترك المراهقين عرضة للخطر من البداية وحتى النهاية.

مستقبل الهجرة

مع استمرار الحرب وتفاقم الأزمة الإنسانية في السودان، يبقى سؤال: إلى متى تستمر موجات الهجرة؟ فالبيانات الدولية تشير إلى استمرار خروج آلاف المراهقين سنويا، بينما تتفاوت إجراءات الدول المجاورة وأوروبا في الحد من التدفق.

وعلى رغم تشديد مراقبة الحدود في مصر وليبيا، وزيادة عمليات ترحيل طالبي الهجرة غير الشرعية، فإن الواقع يشير إلى أن المراهقين يجدون طرقا بديلة، غالبا أخطر لعبور الحدود. ويؤكد المتخصصون في هذا المجال أن توقف النزوح يتطلب أكثر من سياسة أمنية، بل حلولاً سياسية واقتصادية وإنسانية داخل السودان أكثر من الحلول الأمنية مثل توفر الحماية، والتعليم، واستقرارا للأطفال والشباب.

المتخصص في شؤون الهجرة حسام الدين أحمد يقول «حتى اللحظة، لا توجد مؤشرات إلى تراجع موجات الهجرة غير الشرعية طالما النزاع لا يزال مستمراً، فضلاً عن عجز الدولة عن توفير الأمن والخدمات الأساسية، بالتالي سيواصل المراهقون المخاطرة بحياتهم للبحث عن الأمان، إذ إن الهجرة بالنسبة إليهم ليست اختياراً، بل حل موقت للهرب من موت بطيء».

وتابع أحمد «البدائل الممكنة محدودة، مثل تأهيل المخيمات، وإيجاد برامج لحماية القصر، وتوفير فرص تعليمية واقتصادية محلية، فكلها خطوات حاسمة، لكن من دون اتفاق سياسي شامل يوقف الحرب، فإن كل إجراءات ضبط الحدود ستكون مجرد حلول موقتة، ولن توقف تدفق الشباب المراهقين».

وأردف أحمد «البدائل الممكنة محدودة، مثل تأهيل المخيمات، وإيجاد برامج لحماية القصر، وتوفير فرص تعليمية واقتصادية محلية، فكلها خطوات حاسمة، لكن من دون اتفاق سياسي شامل يوقف الحرب، فإن كل إجراءات ضبط الحدود ستكون مجرد حلول موقتة، ولن توقف تدفق الشباب المراهقين».

وأردف أحمد «الأرقام الحالية لا تعكس سوى الجزء الظاهر من المشكلة. فآلاف المراهقين لا يصلون إلى أي من وجهتهم المقصودة، حيث يختفون في الصحراء أو البحر. لذلك، كل خطة لمعالجة الهجرة يجب أن ترافقها خطة إنسانية داخل السودان، تضمن حياة وأمان هؤلاء الأطفال قبل التفكير في منعهم من التحرك».

وفاة أسرة سودانية لاجئة في طرابلس نتيجة اختناق داخل منزلهم

○ **طرابلس - (وكالات)**

● أفادت أربعة مصادر متطابقة في العاصمة الليبية طرابلس بوفاة عدد من أفراد أسرة سودانية لاجئة مساء الأربعاء، إثر اختناقهم داخل منزلهم نتيجة استخدام مدفأة تعمل بـ"كانون الفحم"، في حادثة مأساوية أعادت تسليط الضوء على مخاطر وسائل التدفئة التقليدية بين اللاجئين في ليبيا خلال فصل الشتاء.

تفاصيل الواقعة

وبحسب بلاغ رسمي صادر عن مركز شرطة بدر بطرابلس، موقّع باسم مدير القسم الرائد حمزة أمحمد أكاش وموجّه إلى السفارة السودانية في ليبيا، فقد توفي سبعة أشخاص من أسرة واحدة، بينهم الأب معتز بابكر بلة سليمان البالغ من العمر ٤٧ عاما، وأطفاله سنهوري (٧ سنوات)، وأبوبكر (٥ سنوات)، وعبدالرحمن (٦ سنوات)، وعبير (عامان). وأوضح الخطاب أن الشرطة اتخذت الإجراءات الأولية فور تلقي البلاغ، حيث جرى نقل المتوفين إلى دار الرحمة بمستشفى تيجي لاستكمال الإجراءات القانونية والطبية اللازمة لإتمام عملية الدفن.

تحذيرات الجالية

قال أحمد محمد خالد، أحد أعضاء الجالية السودانية في ليبيا، إن تزايد حالات الوفاة نتيجة الاختناق يعود إلى ضعف الإلمام بطرق استخدام وسائل التدفئة وغياب الوعي بمعايير الوقاية. وأشار إلى أن معظم اللاجئين يواجهون صعوبة في التأقلم مع الأجواء الشتوية الباردة والرطوبة العالية، ما يدفعهم إلى شراء المدفآت دون الالتزام بتعليمات الاستخدام. وحذر خالد أفراد الجالية السودانية من ترك المدفآت، خصوصاً تلك التي تعمل بالفحم، مشتعلة أثناء النوم، داعياً إلى الاعتماد على البطاطين كخيار أكثر أماناً في الوقت الراهن.

حوادث سابقة

وفي مطلع يناير من العام الجاري، شهدت مدينة بنغازي حادثة مشابهة أسفرت عن وفاة خمسة أفراد من أسرة سودانية في منطقة سيدي خليفة، بينما نجا الوالدان وطفل صغير بعد اختناق ناتج عن استخدام "كانون الفحم" داخل غرفة مغلقة تماماً في ظل انخفاض درجات الحرارة إلى ما دون عشر درجات مئوية. كما أعلنت السلطات الصحية المحلية في بلدية أجدابيا شرقي ليبيا في ديسمبر الماضي العثور على جثث خمسة أفراد من أسرة سودانية داخل منزلهم، بعد وفاتهم اختناقاً نتيجة استخدام مدفأة كهربائية في غرفة مغلقة بلا نوافذ.

أعداد اللاجئين

وبحسب آخر إحصائية صادرة عن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في سبتمبر الماضي، تستضيف ليبيا نحو ٣٥٧ ألف لاجئ سوداني، من بينهم ١٩٣ ألفاً يقيمون في بلدية الكفرة الحدودية مع السودان، و٨٠ ألفاً في العاصمة طرابلس، و١٠ آلاف في بنغازي. كما تستضيف مدينة مصراتة أكثر من ٧,٢٤٨ لاجئاً، والزاوية ٦,١٩٠، والجفارة ٢٠,٤٤٣. وفي شرق البلاد، تحتضن درنة ٥,٦٤٢ لاجئاً، وطبرق ٥,٧٦٨، والجبل الأخضر ٣,٨٢٢، ما يعكس حجم التواجد السوداني في ليبيا وظروفه المعقدة في ظل الأوضاع الإنسانية الصعبة.

الصحفي محمد علي صالح يكتب من واشنطن وثائق أمريكية عن نميري (٦٠)

الاستخبارات الأمريكية توقعت سقوطه

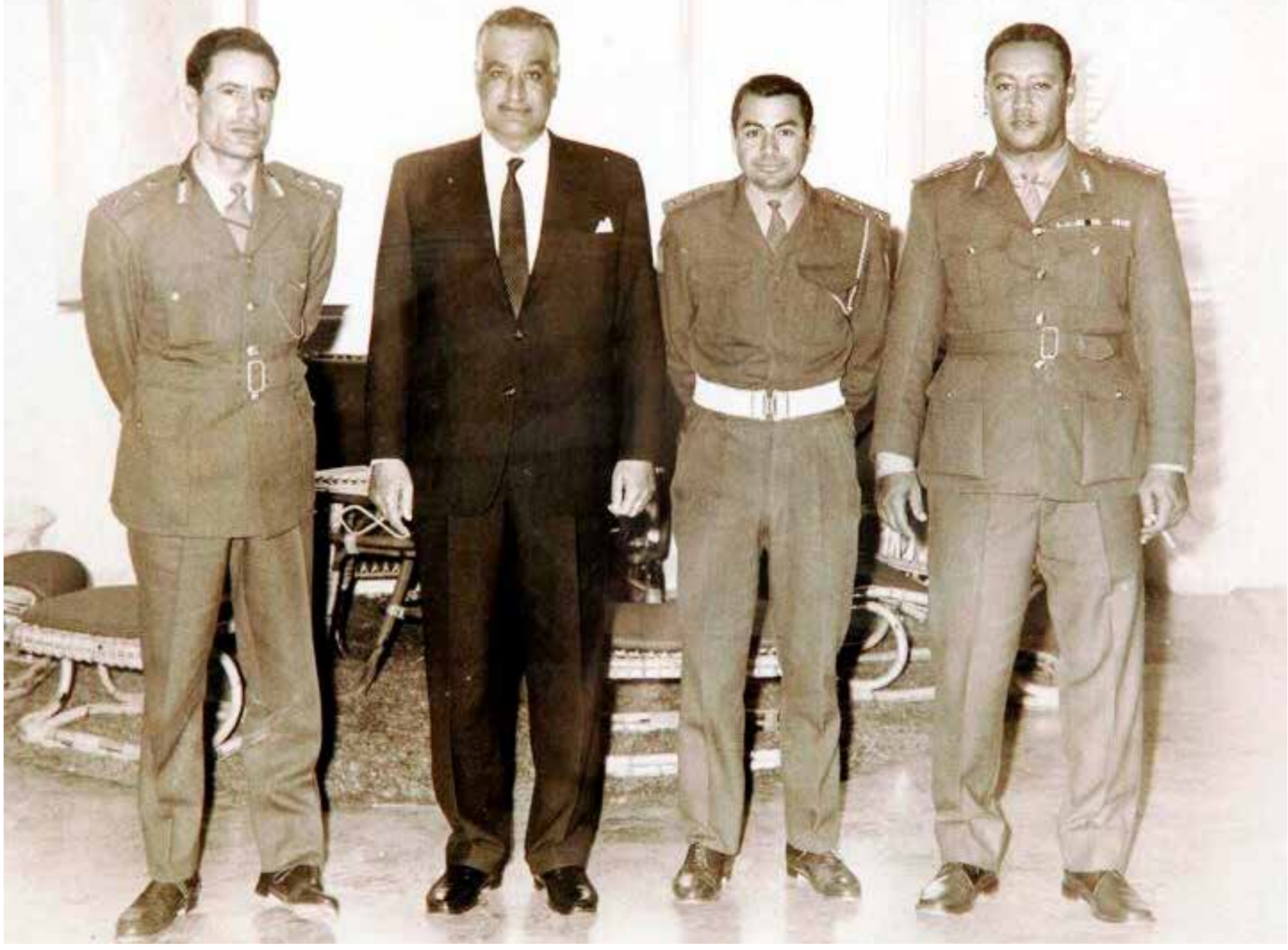

محمد علي صالح - واشنطن

● توقفت هذه الوثائق لسنوات كثيرة، لأن وزارة الخارجية الأمريكية توقفت عن كشف وثائق الدول الإفريقية بداية من سنة ١٩٨٠. وقالت إنها ستكشفها بعد سنتين أو ثلاث سنوات.

وقالت دار الوثائق المركزية، التي تحتفظ بالوثائق، أنها تنتظر قرار الخارجية. وقالت إنها تحتفظ بوثائق من أماكن أخرى، مثل وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه)، ومكتبات الرؤساء: ريغان، وبوش، وكلينتون.

تبدأ وثائق وكالة الاستخبارات سنة ١٩٨١، وتنبأت بسقوط الرئيس المشير جعفر نميري قبل أربع سنوات من سقوطه (في عام ١٩٨٥).

عنوان الوثيقة: السودان: «نميري: مشاكل أكثر، وخيارات أقل»

التاريخ: ١٠-١١-١٩٨١

يتولى الرئيس جعفر نميري الحكم منذ عام ١٩٦٩، وهي أطول فترة حكم لأي زعيم سوداني منذ استقلال السودان (عام ١٩٥٦). نميري، الضابط السابق في الجيش والمشير الآن، يبلغ من العمر ٥١ عاما. حتى الآن، نجا من ثلاث محاولات انقلاب، ومن مظاهرات واسعة ضده في عام ١٩٧٩

وسبب طول حكم نميري هي قدرته على المحافظة على ولاء الجيش.

وإلى مهاراته السياسية في التعامل مع مختلف الجماعات السياسية والقبلية.

وإلى أسلوبه القيادي البسيط والمتواضع.

لهذا، فضله كثير من السودانيين على شخصيات أكثر إثارة للجدل على الساحة الوطنية.

لكن، أجبرت سكتة دماغية أصابت نميري على تخفيض نشاطاته في العام الماضي، وانتشرت شائعات بأنه لن يقدر على الاستمرار في الحكم.

كان نميري خضع لعملية جراحية في عام ١٩٨٠، لكن في عام ١٩٨١ استأنف أعماله بصورة كاملة.

عقائديا، كان نميري من أتباع الاشتراكية العربية اليسارية ذات الطابع الناصري، لكنه تحول، فجأة، إلى اليمين بعد انقلاب فاشل بقيادة الشيوعيين في عام ١٩٧١. ومنذ ذلك الوقت، صار نميري قوة معتدلة في المنطقة، وصار عقبة أمام توسع الشيوعيين في السودان وفي المنطقة.

القذافي:

أيد نميري اتفاقية «كامب ديفيد» بين مصر وإسرائيل في عام ١٩٧٨. وبسبب ذلك، غضب عليه الرئيس الليبي معمر القذافي، الذي عارض «كامب ديفيد» معارضة قوية. وبدأ القذافي يقدم الدعم المالي والتدريب العسكري للمعارضين السودانيين، وأواهم، وأطعمهم، وأسقاهم، وسلحهم.

قبل ذلك بسنوات، كان القذافي دعم محاولات انقلابية يمينية ضد نميري في عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦.

أيضا، زاد غضب القذافي على نميري بسبب دوره، في عام ١٩٨١، في حملة دبلوماسية لإجبار القذافي على سحب قواته من تشاد.

وبسبب شتائم نميري ضد القذافي (رد عليه القذافي بشتائم عنصرية).

وبسبب سماح نميري استخدام السودان قاعدة لقوات الزعيم التشادي حسين حبري، المعارض للقذافي.

رداً على غزوات حبري في تشاد، شنت طائرات من ليبيا غارات على مناطق تمركزه في السودان، بين أوائل سبتمبر ومنتصف أكتوبر من هذا العام.

الآن، نتوقع أن يُخفف الانسحاب الليبي من تشاد من مخاوف نميري من القذافي. وفعلاً، بعد الانسحاب، طلب نميري من حبري وقف عملياته من الأراضي السودانية

في نفس الوقت، كان انسحاب ليبيا من تشاد بسبب آخر، وهو رغبة القذافي في تجنب المزيد من الإدانات الدولية، وخوفه من عمليات عسكرية أمريكية وفرنسية ومصرية. لكن، لم يتغير عداء القذافي لنميري وكراهيته له. مرة، أعلن نميري أن القذافي خطط لشن هجوم عسكري ضده عبر حدود السودان مع تشاد، ثم تصل القوات إلى الخرطوم. لكن لم يكن ذلك صحيحا. كان مجرد خوف من القذافي.

ظل نميري يخاف من القذافي لأكثر من سبب:

- خطط لاغتياله، مع مسؤولين حكوميين آخرين.

وخطط تخريب مؤسسات اقتصادية كبيرة.

وخطط شن غارات من تشاد على مدن في غرب السودان، وربما على الخرطوم.

منقستو:

منذ عام ١٩٨٠، كانت علاقات نميري مع منقستو لا بأس بها بعد الاتفاقية بينهما حول إريتريا، وهي اتفاقية «تحك ظهري، وأحك ظهرك».

في جانب، قلل نميري الدعم السوداني والعربي للمتمردين الإريتريين.

في الجانب الآخر، فرض منقستو الحظر على المعارضين السودانيين في إثيوبيا.

كان من أسباب تعاون نميري مع منقستو انتقال الحرب من إريتريا إلى أراض سودانية على الحدود. لهذا، أمر نميري بنزع سلاح مقاتلي جبهة تحرير إريتريا، وجبهة تحرير شعب إريتريا، وبطردهم من الأراضي السودانية.

لكن، كانت عند منقستو أهداف أخرى.

قارن بين تعاونه مع نميري وتعاونه مع القذافي، وفضل التعاون مع القذافي لأنه يملك أموالاً كثيرة من عائدات البترول، ولأنه يقدر على مساعدته اقتصاديا.

أيضا، من البداية، بسبب تحول نميري من الشرق إلى الغرب، كان متوقعا أن يميل منقستو اليساري المتطرف إلى القذافي الذي يواجه حملات من الغرب.

وهكذا، عاد منقستو، وقرر التعاون مع القذافي لإسقاط نميري. في عام ١٩٨١، تم التوقيع على اتفاقية الصداقة بين ليبيا، وإثيوبيا، واليمن الجنوبية (اليسارية). وخاف نميري خوفا حقيقيا. لقد صار بين كفين مفترسين.

حسب معلوماتنا، ربما سيسمح منقستو للقذافي باستخدام المعارضين السودانيين في إثيوبيا ضد نميري. يرسل لهم الأموال والأسلحة والمدربين

منقستو.

الصادق المهدي.

حسن الترابي.

أحاط بنميري عدوان: منقستو والقذافي

> خدع نميري الصادق المهدي ولم يشاركه الحكم

محاولة الانقلاب الشيوعي عام ١٩٧٦. وفعلاً تمكن نميري من إقناع الأنصار، والإخوان المسلمين، بالتخلي عن خططهم لإسقاطه، مقابل إشراكهم معه في الحكم.

في الوقت نفسه، استخدم نميري الجيش وقوات الأمن لتحييد الأحزاب التي استمرت تعارضه، مثل الحزب الاتحادى الديمقراطي، وحزب البعث، والحزب الشيوعي.

عرف نميري أن طائفة الأنصار تظل قوة مؤثرة على الساحة السياسية في السودان، رغم ضعفها ضعفا كبيراً بعد هزيمتها في الجزيرة أبا، معقلها القوي. وعرف نميري أن الأنصار يشكلون ما يقرب من خُمس سكان السودان البالغ عددهم ١٨ مليون نسمة.

في عام ١٩٧٧، عاد الصادق المهدي، زعيم الأنصار، من منفاه بموجب شروط المصالحة الوطنية. وأشركه نميري في الاتحاد الاشتراكي السوداني، الحزب الوحيد الحاكم. لكن، شعر المهدي بالإحباط، لأن نميري خدعه، ولم يقدم له دورا رئيسيا في الحكم الفعلي. فانسحب.

في نفس الوقت، كانت مجموعة صغيرة من الأنصار، بقيادة ابن عم الصادق، ولي الدين الهادي المهدي، ترفض المصالحة مع نميري.

عودة إلى القذافي. حسب معلوماتنا، قد يتعاون مع الأنصار لأسباب كثيرة:

منها عدم ثقة الأنصار التاريخية في المصريين، الذين يكرههم القذافي. ومنها قوة الأنصار وسط الشعب السوداني. ومنها عدم رضى كثير من السياسيين السودانيين على ميل نميري الكبير جدا نحو المصريين.

في الجانب الآخر، حسب معلوماتنا، ربما يقبل الأنصار التعاون مع القذافي مرة أخرى، وكانوا تعاونوا معه قبل خمس سنوات، في الغزو الليبي الذي أفشله نميري.

الإسلاميون:

أما الإسلاميون الآخرون، الإخوان المسلمون، ظلوا يتآمرون لاستغلال نميري لخدمة أهدافهم الإسلامية المتطرفة، بالمقارنة مع إسلام الأنصار المعتدل.

منذ بداية سياسة نميري في المصالحة الوطنية، شارك الإخوان المسلمون مشاركة قوية في الحكومة. وكان ذلك جزءا من خططهم للتمكين إذا سقط نميري.

بصفتهم الأكثر إسلامية في السودان، استفادوا من قاعدتهم الأساسية وسط هيئة التدريس والطلاب في جامعة الخرطوم. لكن، من مشاكل الإسلاميين قلة عددهم وسط الشعب السوداني (خارج جامعة الخرطوم). ويُقدّر عددهم بين ٦٠ ألفا و٣٠٠ ألف. وهذه نسبة قليلة جدا.

لكن، في الجانب الآخر، يستفيد الإسلاميون من جاذبية السودانيين للإسلام بصورة عامة.

ويستفيدون من خطبهم في المساجد حول العودة إلى إسلام السلف الصالح. ويستفيدون من معارضتهم لما يراه كثير من السودانيين من تفشي التفكك والانحلال والإباحية الغربية المستوردة.

ويستفيدون من استعدادهم لاستخدام الإرهاب لتحقيق أهدافهم.

منذ عام ١٩٦٩، عمل الإسلاميون كمنظمة سرية بعد أن منع نميري جميع الأحزاب السياسية. لكنهم، في عام ١٩٧٧، قبلوا عرض نميري للمصالحة.

الآن، رغم أن زعيمهم حسن الترابي يشغل منصب النائب العام في حكومة نميري، يشك فيه كثير من المسؤولين عن الأمن والاستخبارات، ويعتبرونه تهديدا للنظام، ويراقبونه وجماعته، بالليل والنهار.

الاتحاديون:

أما الحزب الاتحادي الديمقراطي فهو أكبر الأحزاب التي تسعى سعيا قويا لإسقاط نميري. هذا الحزب يعكس آراء رجال الأعمال، وموظفي الخدمة المدنية، والمهنيين الأكثر تعليما والأكثر عقلانية.

ويعكس آراء المعتدلين واليساريين الذين يعارضون القوى المحافظة التي يمثلها الأنصار والإخوان المسلمون.

ويعكس آراء المتفلسفين الذين يؤمنون بأن العسكريين يجب ألا يحكموا، ويجب أن يبقوا في الثكنات.

في الماضي، استمد الاتحاديون كثيراً من قوتهم من طائفة الختمية الإسلامية الموالية للمصريين، وهي المنافس الرئيسي لطائفة الأنصار (المعارضة للمصريين). لكن الآن، ينعزل الاتحاديون عن طائفة الختمية التي تقودها عائلة الميرغني، بعد أن أسست حزب الشعب الديمقراطي (حليف المصريين). لكن، ينقسم الاتحاديون بين معتدلين ومتشددين. يقود المتشددين الشريف الهندي، الزعيم الحالي للحزب. ويميل الهندي نحو ليبيا، ربما أكثر من ميل الاتحاديين التاريخي نحو المصريين، إذ لم تكن ليبيا جزءا من الحركة الوطنية السودانية التي قادها الاتحاديون.

انحاز الهندي نحو القذافي، وتلقى منه مساعدات كثيرة منذ عام ١٩٨٠. لكن، مع ذلك، يبدو أن القذافي خاب أمله في الهندي، لأنه فشل في كسب تأييد كبير داخل السودان. حسب معلوماتنا، قرر القذافي تحويل مساعداته إلى ضابط سابق في الجيش السوداني يُدرب معارضين سودانيين في ليبيا (لم تذكر الوثيقة اسمه).

> خدع الإسلاميون نميري .. انتظاراً لسقوطه

مشكلة أخرى يواجهها الاتحاديون بسبب زعيمهم الشريف الهندي، وهو أنه يتودد نحو العراق. ومثل ليبيا، لم يكن العراق جزءا من تاريخ الاتحاديين في الحركة الوطنية.

اليساريون:

كان الحزب الشيوعي السوداني، أكبر الأحزاب اليسارية في السودان، في وقت من الأوقات، أيضا، أكبر حزب شيوعي في إفريقيا. لكنه صار ضعيفا بسبب قمع نميري له. أولا بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل عام ١٩٧١، ثم بعد اضطرابات عام ١٩٧٩، التي لعب فيها الشيوعيون دورا كبيرا.

رغم ذلك، يتمتع الحزب بقاعدة جماهيرية كبيرة في الحركة العمالية وبين الطلاب. ورغم أنه ليس قادرا على تحدي نميري بشكل مباشر، إلا أنه لا يزال قادرا على إثارة الاضطرابات، وتنظيم المظاهرات، وتخويف نميري من محاولة انقلاب أخرى قد تنجح هذه المرة.

وسط اليساريين الآخرين، لا يضم حزب البعث سوى بضع مئات من الأعضاء، ولا يشكل خطرا حقيقيا على نميري. ينشط الحزب بشكل رئيسي في جامعة الخرطوم، لكنه يخضع لمراقبة دقيقة من قبل مسؤولي الأمن والاستخبارات.

ووسط اليساريين، أيضاً، يوجد الناصريون. وهم أقل عددا وتأثيرا من البعثيين، ويمكن القول إنهم جناح يساري وسط حزب الختمية الموالي للمصريين.

العسكريون:

بطبيعة الحال، تشكل القوات المسلحة القاعدة الرئيسية لحكم نميري:

أولاً، ساعدته على الوصول إلى الحكم في عام ١٩٦٩.

ثانيا، أثبتت ولاءها له خلال الصراع مع الأنصار عام ١٩٧٠.

ثالثا، انحازت إلى جانبه ضد الشيوعيين خلال الانقلاب الفاشل في عام ١٩٧١. حتى إذا كان الشيوعيون نجحوا، كان لا بد أن ينقلب عليهم الجيش.

هكذا، يبدو أن الروح المعنوية في الجيش عامل رئيسي في دعم نميري. يقدم نميري لجنوده رواتب معقولة، لكنهم، طبعا يريدون أكثر. وفي كل الحالات، نجح نميري في خلق روح معنوية عالية وسط جنوده.

وإذا نجح نميري في الحصول على أسلحة من الولايات المتحدة، سيزيد ذلك من رفع معنويات الجنود، ومن رفع تأييدهم له.

لكن، يظل الجنود، مثل عامة المواطنين، يريدون تحسين أوضاعهم الاقتصادية. لهذا، فشل نميري في تحسين الظروف الاقتصادية يؤثر على تأييد المواطنين له، بما في ذلك الجنود. وأثبتت الأحداث أن تأييد العسكريين له ليس شيئا مؤكدا:

مثلاً، خلال محاولة الانقلاب التي قادها الأنصار بدعم من القذافي عام ١٩٧٦، انضم بعض الضباط إليهم. وغاب آخرون عن وظائفهم، وفضلوا الانتظار ليعرفوا إذا كان نميري سيسقط أو لا.

لهذا، منذ ذلك الوقت، عمل نميري جاهداً لضمان ولاء الجيش. كما قلنا، نحو ٦٠ في المائة من الجنود من غرب السودان، موطن معظم الأنصار. وفي وقت من الأوقات، حاول نميري زيادة تجنيد الشماليين. رغم ذلك، يظل العدد الكبير لأبناء الغرب وسط الجيش موضوعا حساسا، إذا لم يكن موضوعا خطيرا.

(الحلقة القادمة: نميري يغضب الجنوبيين)

MohammadAliSalih@gmail.com

نقلاً عن «السوداني»

استثنائية سودانية في العلاقة بين الأمة والهوية

محمد الشيخ حسين
mohed1618@gmail.com

● غريب هو حالنا في السودان، خصوصاً عندما يحاول المرء النظر في شكل التركيبة الطبقية والمجتمعية أو حتى تفسير الذوبان السريع للطبقة الوسطى واختفاء أية بارقة أمل معها بانتقال صفوة هذه الطبقة لمرحلة تشكيل حالة وطنية قادرة على تشكيل حالات الوعي التنويري وإسقاطه على مجمل تفاصيل المشهد السياسي والمجتمعي.

خطر داهم

لندع هذا الحال الغريب جانبا، هل نكون محقين إن جاءت مطالعتنا لكتاب الدكتور منصور خالد الذي صدر قبل ٦٠ عاما (حوار مع الصفوة)، أن النخبة السودانية لم يعد لها دور في صنع القرار، وبعد ذلك تهدمت صورتها المثالية وفقدت بمرور الوقت قيمتها التأثيرية على الجماهير التي تدرك أن القيمة الإنسانية الحقيقية، ليست في هالة المكانة الأكاديمية ولا المعرفية ولا الثقافية المفرغة اليوم من كل معاني القيم، ذلك أن العديد من الأحداث الوطنية أظهرت غياب النخبة المثقفة وقطيعتها مع المجتمع وانفصام كثير منها عن الواقع عن سر هذا الغياب أو التغييب، تناول الدكتور منصور خالد في حواره مع الصفوة، مسألة تتعلق بممارسة النخبة قد أدت إلى (خلق شعور غريب على المجتمع السوداني .. شعور الاستعلاء الطبقي الذي تبدو مظاهره ليس فقط في أسلوب الحياة، بل وفي قيم الحكم التي نسعى جاهدين لغرسها)، منتهيا إلى أن هذا (خطر كبير داهم).

> العديد من الأحداث الوطنية أظهرت غياب النخبة المثقفة وقطيعتها مع المجتمع

مشاركة العمال

على أن المهم في خواطر الدكتور منصور خالد تأكيده على أن أهم حدث سياسي عقب ثورة أكتوبر ١٩٦٤، تمثل في مشاركة العمال والمزراعين في الحكومة. واستند في هذه الأهمية إلى أن الوسط السياسي في السودان يحسب أن الحكم في أحسن الأحوال، تكليفا لصفوة تنتمي لطوائف اجتماعية أو تشريفا لا يستحقه من ينتمون لطبقات بعينها.

و رغم أن عمر هذا التأكيد تجاوز الـ ٦٠ عاما، إلا أنه صالح في التجريب على كل الأنظمة السياسية التي سادت في البلاد خلال الستين عاما، وربما كانت النتائج كارثية، بغض النظر عن نوع الحكم الذي تجرى عليه التجربة.

تحليل اجتماعي

يبدي الدكتور منصور خالد تواضعا في الخاطرة السابقة، فحواه أنه يقوم بتحليل اجتماعي لحقيقة تاريخية ولا يصدر حكما سياسيا. غير أن هذا التواضع يقودنا إلى أن نظرية النخبة السياسية صارت من أهم موضوعات علم الاجتماع السياسي. وقد يذهب أنصارها إلى أنها حقيقة موضوعية، لأن الشواهد التاريخية وواقع المجتمعات السابقة والمعاصرة، تتميز بوجود أقلية حاكمة، محتكرة لأهم المناصب السياسية والاجتماعية، وبيدها مقاليد الأمور، وأغلبية محكومة منقادة وليس لها صلة بصنع القرار السياسي بشكل عام.

> العديد من الأحداث الوطنية أظهرت غياب النخبة المثقفة وقطيعتها مع المجتمع

ورغم أن (النخبة السياسية) أصبحت تحظى باهتمام كبير من طرف الباحثين في مجالي السياسة والاجتماع، إلا أن الغموض يكتنف جوانب كثيرة ومهمة، مثل: علاقتها مع النظم شمولية: كانت أم ديمقراطية، آليات اختيار وعمل النخبة، العلاقة بين النخب السياسية والاجتماعية، وهلمجرا.

التحول الديمقراطي

لا أتفق مع نظريات الثقافة السياسية التي تعتبر أثر القيم الاجتماعية السائدة على السلوك السياسي عاملا رئيسيا في حسم مسألة نجاح التحول الديمقراطي أو فشله. وقد يحتاج الأمر إلى معالجات متعمقة، لكن ما يمكن أن نضيفه لحوار الدكتور منصور خالد مع الصفوة التأكيد على أن ثمة (استثنائية سودانية) ليس على مستوى تطور العلاقة بين الثقافة والديمقراطية، بل على مستوى تطور العلاقة بين الأمة والهوية القومية. وكتب التاريخ تفيدنا أن عدم حسم هذه العلاقة، يؤدي إلى تفتيت الكيانات الوطنية القائمة، ويساهم أيضا بطرق متعددة في عرقلة التحول الديمقراطي، لأنه يكرّس (السلطة)، وليس (الدولة) كضمان لوحدة الكيانات السياسية، في مقابل صراع الجماعات ما تحت القومية.

الجماعة الوطنية

واقع الحال أن الساقية مدورة، والشيء بالشيء يذكر، فإن أكثر ما يميز المشهد السياسي على مدى الستين عاما التي أعقبت كتاب (حوار مع الصفوة)، هو غياب أية حالة من حالات الجماعة الوطنية الراعية لأي مشروع قومي سوداني حقيقي، على الرغم من أن ظهور هذه الجماعة في سياقها التاريخي يمثل أهم عوامل التغيير المجتمعي.

طبقة الصفوة

القراءة المنطقية لطبيعة تشكل طبقة الصفوة الصاعدة يوضح أن ظهور هذه الطبقة في سياقها التاريخي يمثل واحدا من أهم عوامل التغيير المجتمعي الذي يؤدي إلى ولادة حواضن مجتمعية لكثير من المشروعات الوطنية التي تغير شكل وتركيبة واقع الكثير من الدول.

ليس من ثمة شك، في أن الصفوة السودانية تربت في ظل ثقافة سياسية وأدبية مزدوجة، وعاشت في كنف حكومات مزدوجة تعلن عن الحرية والديمقراطية ثم تمارس القمع والاستبداد والقهر لكل من يخالفها الرأى. وهنا يثور سؤال ما هي المشكلة فهذه تربية تعرضت النخب في معظم دول العالم الثالث؟ المشكلة أن هذه النخبة هي المسؤولة عن تشكيل الرأى العام في البلاد، فهى تحتل أغلب المناصب العليا فى مجالات السياسة والثقافة والأدب، وهي تعلي من شأن من نسميهم كبار السياسيين، الذين يلعبون مع هذه النخبة الدور الرئيسى فى إنتاج وإعادة إنتاج الازدواجية الفكرية والسياسية والأخلاقية في حياتنا العامة والخاصة.

ثلاث وصفات

هذه القراءة تعيدنا إلى كتاب (حوار مع الصفوة)، ذلك أن الحوار القديم الذي طرحه الدكتور منصور خالد قبل ٦٠ عاما، يقدم للصفوة الآن روشتة صغيرة تحتوي على ثلاث وصفات يمكن أن نستشفها في المجالات التالية:

* آن الأوان أن نفكر فيما لا نجرؤ أن نفكر فيه.
* آن الأوان للتحلل من محاذير كثيرة طالما أعاقت قدرتنا على التصور. لم نعد نملك أن نفكر بعقلية القرون الوسطى، حيث هناك محاذير على الفكر، لأن هناك محاذير على القول.
* آن الأوان ألا تقتصر محاور المستقبل على محاور الماضي، وألا نرفض مسبقا ما لا يستمد أحقيته أو شرعيته من أوضاع استقرت في الماضي.

> آن الأوان للتحلل من محاذير كثيرة طالما أعاقت قدرتنا على التصور

على أن مستقبل القضايا التي تواجه الشعب لا يمكن استشرافها لو قصرنا الرؤية على مجريات تطور هذا الشعب وحده، واسقطنا التطور العالمي في عالم يتمدد إلى غير حد.

مقام السبق

رغم أن الدكتور منصور خالد له مقام السبق في إثارة دور الصفوة عبر الحوار، فقد أمضى زهرة شبابه متعاليا على مجايليه بأناقته، والبكور في الكتابة والنقد، والرحيل لأوروبا، إلا أنه قد بز مجايليه في طرح الشأن السياسي الطازج من خلال الركض في بلاط صاحبات الجلالة، وهذا يعطي الرجل حقه في أن يكون أكثر إبهارا؟

وهذا الإبهار يدفعنا إلى القول إن الدكتور منصور خالد مصاب بنار تقيم في داخله ولا تنام. يريد أن يذهب أبعد. يريد أن يكون مميزا ومختلفا اخلاصاً منه للعنة الأنقياء والأقوياء. لم يسمح لقفازات الديبلوماسية أن تغتال قدرته على الغضب حين يسترسل الظلم في غيه. ولم يسمح لانشغالات الوزير أن تدفع المفكر إلى النسيان والكاتب إلى التقاعد. وببراعة صاغ ميزان التعايش في شخصه بين انشغالات واهتمامات واختلاجات. ميزان التعايش بين جدوى الواقعية وجدوى التمسك بالأحلام.

بصمة أم درمان

يبدو أن نشأة الدكتور منصور خالد في أم درمان، في المدينة ذات الألق الخاص، جعلته مصابا بلعنة اللامعين. يريد أن يترك بصمته إينما حل. بل جعلته مصابا بسلوك العاشق، وبهاجس الإنجاز. تضاعف التحديات من عزمه وألقه. يهوى الإقامة في عين العاصفة. ويستريح متصالحا مع نفسه. ولا يخشى أن يكون أول من يبادر وإن تكاثرت عليه السهام.

مشروع وطني

على مدى الستين عاما التي أعقبت حوار الدكتور منصور خالد مع الصفوة، يتساءل الكثيرون منذ ذلك الوقت وحتى اليوم عن مستقبل أي مشروع وطني، وسر غياب الصفوة عن تبني مشروعات وطنية أو احتضانها؟.

وفي مقام السعي للبحث عن إجابة دعونا نتفق أن الدكتور منصور خالد ابتدر السير في طريق وعر وشاق، لكن ينبغي أن نتفق أيضا أن نمطية تطور المجتمع السوداني قد أسقطت في حيثياتها مسمى الصفوة عن كل أصحاب المال في السودان من عابري السبيل إلى العائلات التي تحاول تعبئة غياب الصفوة الوطنية في بعض المفاصل، لكن ضمن مشاريع (مقزمة) تهدف إلى الحفاظ على ديمومة الواقع النفعي والعلاقة المصالحية ما بين السلطة وماكينة صنع المال وتدويره.

غياب المشاريع

صحيح أن هناك محاولات كثيرة جدا سعت إلى تعويض فكرة غياب المشاريع الوطنية أو حواضنها الطبيعية من حالات الصفوة الوطنية، لكن في النهاية كانت الخلاصة واحدة مشروعات: إعلامية (مشوهة)، حزبية (اقصائية)، تظاهرات استعراضية (مضحكة) لولادة تيارات تقدمية يسعى كل من يقف خلفها لتضليل الرأي العام أو المراقب الخارجي بفكرة وجود حراك راق يمتلك رؤية سياسية أو مشروعا وطنيا تقدميا يختفي بمجرد انتهاء الحاجة أو وقف التمويل.

حواضن طبيعية

السودان أمام تحديات ولادة مشروع وطني حقيقي يلبي طموح السودانيين، ويكسر نمطية إدارة الدولة والاستعراضات غير المقنعة، ويضع حدا لتضخم صورة الاغتراب بين السوداني ودولته.

لسنا مضطرين اليوم لمناقشة أسباب غياب ما يمسى الصفوة الوطنية عن تفاصيل المشهد السياسي، لكننا مجبرون على أن نبحث عن حواضن وطنية حقيقية قادرة على إنجاح كثير من المشاريع الوطنية بدءا من مشاريع التنمية الحقيقية القادرة على إضفاء تغيير حقيقي على حياة السودانيين ووصولا إلى مشروع سياسي مستقبلي يجنب السودان الارتهان لحالة الفراغ والتفريغ التي يعاني منها المشهد السياسي السوداني اليوم في تفاصيله كافة، وياسادتي جبر الله مصابكم في الصفوة السودانية.

«نقلاً عن موقع المحقق»

دور أوروبا السري في مساعدة «الدعم السريع»

زينات آدم *

● كان السودان يقف على حافة أزمة طويلة قبل أن تندلع الحرب علنا في أبريل/نيسان ٢٠٢٣. فقد خلفت عقود من الحكم الاستبدادي تحت قيادة عمر البشير اقتصادا هشا، وقوات أمنية مجزأة، وهياكل شبه عسكرية متجذرة.

وبعد الانقلاب الذي أطاح بالبشير عام ٢٠١٩، فشل الترتيب الانتقالي الهش بين المدنيين والعسكريين في توحيد الفصائل المتنافسة. وتصاعد عدم الاستقرار السياسي والتمردات المحلية والتنافس المستعر بين القوات المسلحة السودانية (SAF)، وقوات الدعم السريع (RSF)- النسخة الجديدة لقوات الدفاع الشعبي، وهي المليشيا المدعومة حكوميا والمعروفة باسم الجنجويد التي ارتكبت جرائم حرب في دارفور مطلع الألفية - إلى صراع شامل.

وبحلول منتصف ٢٠٢٣، كان السودان قد انقسم فعليا إلى مناطق متنازع عليها، فيما تحولت مراكز حضرية رئيسية مثل الخرطوم وأم درمان إلى ساحات قتال، ونزح ملايين المدنيين داخليا أو فروا عبر الحدود كلاجئين.

وعلى الرغم من البعد الجغرافي، لعب الاتحاد الأوروبي دورا مؤثرا في هذه التطورات. فعلى مدى قرابة عقد، انتهج إستراتيجية لـ «تدويل» إدارة الهجرة، موجها مساعدات وتدريبا ومعدات إلى دول أفريقية بدعوى الحد من الهجرة غير النظامية باتجاه أوروبا.

وفي السودان، خلقت هذه المقاربة عواقب غير مقصودة ومدمرة، لم يحاسَب الاتحاد الأوروبي عليها حتى الآن. فالأموال التي وُصفت بأنها مخصصة لـ «إدارة الهجرة» و«بناء القدرات» تداخلت مع تدفقات سلاح غامضة، ورقابة ضعيفة.

وقد تكون الأموال والمعدات الأوروبية- التي كان يُفترض أن تسهم في استقرار السكان وفرض سيطرة حدودية للحد من الهجرة- قد عززت إمكانات نفس الجهات التي ترتكب جرائم الحرب اليوم في السودان.

واصلت الحكومات الأوروبية وخاصة البريطانية إصدار تراخيص جديدة لمصدري الأسلحة، رغم معرفتها أن معدات منها وصلت إلى قوات الدعم السريع

تمويل أوروبي بمئات الملايين

بين عامي ٢٠١٤ و٢٠١٨، ضخ الاتحاد الأوروبي أكثر من ٢٠٠ مليون يورو (٢٣٢ مليون دولار تقريبا) في السودان عبر «صندوق الطوارئ الأوروبي لأفريقيا» (EUTF) ومبادرة «الإدارة الأفضل للهجرة» (BMM).

وقد هدفت هذه البرامج رسميا إلى تعزيز السيطرة على الهجرة وأمن الحدود ومكافحة الاتجار بالبشر. لكنها في الواقع رسخت التعاون بين الاتحاد الأوروبي وهياكل الأمن السودانية، بما في ذلك وحدات اندمجت لاحقا في قوات الدعم السريع.

وفي وقت مبكر من عام ٢٠١٧، نشر مشروع «إيناف» (Enough Project)- وهو منظمة معنية بالنزاعات والفساد وحقوق الإنسان- تقريرا بعنوان «مراقبة حدود من الجحيم» يحذر من أن:

«أخطر ما في الشراكة الأوروبية الجديدة مع السودان هو أن قوات الدعم السريع- إحدى أكثر الجماعات شبه العسكرية انتهاكا في البلاد- قد تستفيد من التمويل الأوروبي».

وبعد ذلك بعامين، اضطر الاتحاد الأوروبي إلى تعليق عدة أنشطة متعلقة بالتحكم في الهجرة في السودان؛ بسبب مخاوف من إمكانية «تحويل الموارد لأغراض قمعية»، وفق وثيقة رسمية أوروبية نقلتها دويتشه فيله.

ومع ذلك، جاء في نشرة معلومات بعنوان «ما الذي يفعله الاتحاد الأوروبي فعليا في السودان»، نشرت على موقع الاتحاد عام ٢٠١٨ ما يلي:

«الاتحاد الأوروبي لا يقدم أي دعم مالي لحكومة السودان.. قوات الدعم السريع لا تستفيد بصورة مباشرة أو غير مباشرة من التمويل الأوروبي».

هذه التناقضات تطرح سؤالا جوهريا: إذا كان الاتحاد الأوروبي يعلم بمخاطر التحويل، فلماذا استمر في ضخ مئات الملايين في سياق من الواضح أن الرقابة فيه ضعيفة على استخدام التدريب والمعدات والأموال؟

والأسوأ من ذلك، أن دور الاتحاد الأوروبي لم يقتصر على توفير التمويل الذي يمكن إساءة استخدامه، بل شمل أيضا- وإن بطرق غير مباشرة- توفير الأسلحة.

أسلحة أوروبية في ساحات السودان

مع تعمق الصراع، بدأ المحققون بالعثور على أسلحة وذخائر أجنبية- بعضها أوروبي المنشأ- تنتشر بين قوات الدعم السريع. وقد كشفت صور موثوقة وتحليل المصادر المفتوحة وتتبع الأرقام التسلسلية وجود أنظمة تصنيع أوروبي في ساحات القتال.

وفي نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٢٤، نشرت منظمة العفو الدولية تحقيقا يُظهر أن ناقلات الجند المدرعة «نمر عجبان» كانت مجهزة بأنظمة دفاعية من تصنيع شركة غاليكس الفرنسية. وقد تحققت المنظمة من الصور ومقاطع الفيديو من مواقع سودانية متعددة، وخلصت إلى أن نشر هذه الأنظمة في دارفور سيُعد خرقا لحظر الأسلحة الأممي المفروض على الإقليم منذ سنوات طويلة.

وفي أبريل/نيسان، ربط تحقيق أجرته فرانس ٢٤ ووكالة رويترز قذائف هاون عيار ٨١ ملم- عُثر عليها في قافلة تابعة لقوات الدعم السريع في شمال دارفور- بدولة بلغاريا. وقد طابقت العلامات الموجودة على الذخيرة قذائف صنعتها شركة بلغارية.

وفي أكتوبر/تشرين الأول، ذكرت صحيفة الغارديان أن معدات عسكرية بريطانية- بما في ذلك أنظمة استهداف أسلحة خفيفة ومحركات مدرعات- استخدمتها قوات الدعم السريع في السودان.

وعند جمع كل هذه المعطيات، يتبين نمط واضح: أسلحة أوروبية الصنع، أعيد توجيهها لاحقا إلى ساحة الحرب في السودان، رغم الحظر والضمانات. وهناك دولة إقليمية -تنفي أي دور في الصراع- وثقت تقارير عديدة استخدامها كمنصة وسيطة لإعادة تصدير الأسلحة. ومع ذلك، يظل على موردي السلاح الأوروبيين، المقيدين باتفاقات المستخدم النهائي وأطر الرقابة على التصدير، مسؤولية ضمان الالتزام.

وبحسب اللوائح البريطانية والأوروبية، يتعين على الحكومات رفض أو إلغاء التراخيص حينما يكون هناك خطر واضح من تحويل الأسلحة إلى مناطق صراع أو جهات منتهكة. وبالتالي، يتطلب استخدام الأسلحة الأوروبية في السودان إعادة تقييم صارمة لآليات المتابعة بعد الشحن وطرق إنفاذها.

ومع ذلك، واصلت الحكومات الأوروبية وخاصة البريطانية إصدار تراخيص جديدة لمصدري الأسلحة، رغم معرفتها أن معدات منها وصلت إلى قوات الدعم السريع.

جنوب أفريقيا ليست استثناء

ليست الدول الأوروبية وحدها من تفشل في ضمان عدم تحويل أسلحتها إلى مناطق حرب مشمولة بالحظر

فبلدي، جنوب أفريقيا، واجه انتقادات بشأن ضعف الرقابة على شحنات الأسلحة الخاصة به أيضا. ففي منتصف العقد ٢٠١٠، خضعت «اللجنة الوطنية للرقابة على الأسلحة التقليدية» (NCACC) لتدقيق دولي ومحلي بعد تقارير تفيد باستخدام أسلحة وذخائر جنوب أفريقية في اليمن.

نتيجة لذلك، في عام ٢٠١٩، أخرت اللجنة أو علقت الموافقات على التصدير، خصوصا للأصناف «الأشد فتكا»، وسط نزاعات حول بنود التفتيش المحدثة ومخاوف حقوق الإنسان.

وطالبت السلطات الجنوب أفريقية بمنحها حق الوصول إلى منشآت في دول الاستيراد لضمان الالتزام بشروط «المستخدم النهائي»- وهو ما رفضه عدد من الدول المنخرطة في النزاع. وبحلول ٢٠٢٢، تمت الموافقة على شحنات كانت معلقة سابقا بعد إعادة التفاوض على شروطها.

واليوم، تشير أدلة إلى احتمال تحويل أسلحة جنوب أفريقية إلى السودان أيضا. إذ قال محققون ومحللون مفتوحو المصدر إنهم حددوا ذخائر تتوافق مع التصنيع الجنوب أفريقي في مناطق سودانية.

تُظهر هذه الحالة أن الالتزام السياسي وحده لا يكفي لضمان حسن تنفيذ اتفاقات المستخدم النهائي؛ فالتطبيق صعب لكنه ضروري وأساسي ضمن جهود بناء السلام.

ما المطلوب الآن؟

إذا أرادت الحكومات الديمقراطية استعادة مصداقيتها، فعليها أن تجعل مراقبة المستخدم النهائي ملزمة وقابلة للإنفاذ، لا مجرد إجراء بيروقراطي.

على كل من اللجنة الوطنية للرقابة على الأسلحة في بريتوريا (NCACC) وسلطات الرقابة على الصادرات في بروكسل وصوفيا وباريس ولندن، أن تنشر تدقيقات شفافة لتراخيص الماضي، وأن تحقق في حالات التحويل الموثوقة، وأن تعلق الموافقات الجديدة حيثما لا يزال الخطر قائما.

وفي الوقت نفسه، يجب على الاتحاد الأوروبي ضمان ألا يُعاد توظيف تمويل إدارة الهجرة من قبل جهات مسلحة. فبدون هذه الإجراءات، ستظل سياسة الهجرة الأوروبية والتجارة الدفاعية لجنوب أفريقيا واقعتين في تناقض مأساوي: مبادرات تدعي حماية الأمن، لكنها تزرع انعدام الأمن.

* دبلوماسية جنوب إفريقية سابقة. ومحللة في العلاقات الدولية

ماذا يعني تولي ترامب ملف إنهاء الحرب في السودان بنفسه؟

○ الخرطوم، واشنطن - فتح الرحمن شبارقة ومحمد المنشاوي

● أثار إعلان وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو، تولي الرئيس دونالد ترامب شخصيا ملف إنهاء الحرب في السودان، موجة من ردود الفعل المتباينة داخل الأوساط السودانية.

فبينما رأى البعض في هذه الخطوة فرصة لإحداث اختراق في النزاع المستمر منذ أبريل/نيسان ٢٠٢٣، اعتبر آخرون أن تدخّل ترامب قد يزيد الأمور تعقيدا، لا سيما مع الرغبة الأميركية في السيطرة على البحر الأحمر واحتواء النفوذ الصيني والروسي في المنطقة

من جانبه، أكد مستشار رئيس الوزراء السوداني، محمد محمد خير، أن تدخل ترامب في الملف السوداني لا يُعد قرارا شخصيا بقدر ما هو انعكاس لرؤية الدوائر الأميركية الفاعلة التي ترى أن الحرب في السودان لم تعد مجرد صراع داخلي محدود، بل تجاوزت نطاقها المحلي إلى مسائل إستراتيجية كبرى.

وأشار محمد خير في حديثه للجزيرة نت إلى أن التدخل المباشر للرئيس الأميركي سيكون لصالح الدولة السودانية وضد مصالح قوات الدعم السريع، مشيرا إلى أن دوافع ترامب لإدارة هذا الملف بنفسه تتطلب وجود دولة يمكن التعامل معها مستقبلا، وليس مليشيات تبحث عن مصالحها الخاصة.

وأضاف أن تولي ترامب الملف يضع المقترحات السابقة التي قدمها المبعوث الأميركي مسعد بولس على المحك، وربما لا تُؤخذ بعين الاعتبار.

تقييم إيجابي

وفي سياق متصل، أعرب السفير الخضر هارون، القائم بالأعمال الأسبق في سفارة السودان بواشنطن، عن تفاؤل حذر بشأن اهتمام ترامب الشخصي بالملف السوداني. وقال للجزيرة نت «لو نتج عن هذه الخطوة فتح المجال أمام نظرة ودراسة جديدة للحرب، فسيكون ذلك تطورا في الاتجاه الصحيح».

لكنه أشار أيضا إلى أن ترامب منشغل بقضايا أخرى، مثل الوضع في فنزويلا، وليس لديه معرفة واسعة بالسودان، كما أن احترامه للدول النامية محدود.

وأضاف هارون أن خطوة إبعاد المبعوث الأميركي السابق مسعد بولس، «الذي قدم ورقة حلول غير ناجحة»، قد تكون مفيدة إذا استمر التعاون بين الولايات المتحدة والسعودية لإنهاء الحرب بعد توضيح حقيقتها بأنها «عدوان وليس نزاعا بين جنرالين».

ويرى هارون أن إعلان روبيو عن تولي ترامب الملف يعكس ما سماه «نوعا من الحساسية والغيرة المهنية»؛ إذ إن مسعد بولس لم يكن له خلفية في السياسة الخارجية، بل عمل في مجال السيارات المستعملة في غانا، في وقت توجد فيه إدارة شرق أفريقيا بوزارة الخارجية الأميركية التي يُعد السودان جزءا من نطاق مسؤولياتها، «لذلك، من غير المقبول للبعض أن يأتي شخص لا علاقة له بالملف ليكون مسؤولا رئيسيا عنه».

تحدي التنسيق

وبشأن ما يمكن أن يقدمه تدخل ترامب لإنهاء الحرب في السودان، لم يستبعد مراقبون أن يمارس ضغوطا ويلوّح بحوافز في الوقت نفسه، بينما أشار المستشار الإعلامي السابق في السفارة السودانية بواشنطن، مكي المغربي، إلى إمكانية استخدامه سلاح العقوبات.

ورأى المغربي، في حديث للجزيرة نت، أن تدخل ترامب يعبر عن زحزحة في الموقف الأميركي وليس تغييرا جذريا فيه.

وأوضح أن الرئيس الأميركي قد يستخدم ضغوطا أو حوافز مختلفة، وربما يلجأ إلى فرض عقوبات «على الدول أو الشخصيات الضالعة في الصراع»، مع التأكيد على ضرورة تعليق العقوبات الأميركية عن الرموز السيادية لضمان فعالية التدخل.

وأضاف أن الموقف الأميركي الجديد يقترب من الموقف السعودي لكنه لن يتطابق معه تماما، ما يضع السودان أمام تحدي التنسيق بين اللاعبين الإقليميين والدوليين لضمان تحقيق النتائج المرجوة.

تدخل محدود

لم يكترث الرئيس ترامب بالسودان، وباعترافه نفسه، لم يكن الصراع السوداني ضمن «مخططاته للمشاركة في حله»، وقال «كنت أظن أن الأمر مجرد شيء مجنون وخارج عن السيطرة».

لكن ذلك كان قبل قمة البيت الأبيض التي جمعته بولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، والذي أطلعه على التطورات داخل السودان، وطلب منه التدخل. بعد ذلك، قال ترامب «سنبدأ العمل على السودان».

وفي الواقع، كانت الولايات المتحدة قد شاركت بالفعل في المفاوضات كعضو في اللجنة الرباعية، التي تضم السعودية ومصر والإمارات إلى جانب واشنطن، لكن ترامب لم يمارس نفوذا مباشرا على الأطراف الداعمة للصراع بالمال والسلاح.

ويهدف تدخل ترامب إلى تأمين اتفاقيات سلام على مستوى عالمي، وتقديم معالجة للمعاناة الإنسانية الكبيرة في السودان، لكن الإدارة الأميركية ترغب في الحفاظ على علاقاتها الوثيقة مع الدول الداعمة للأطراف المتقاتلة، بدون الرغبة في تعقيد هذه العلاقات من أجل السودان وحده.

ويشكك بعض المراقبين في واشنطن في امتلاك إدارة ترامب أدوات عملية لوقف الحرب على الأرض، أو خططا واضحة لممارسة الضغط على طرفي النزاع.

من جانبه، أكد ديفيد شين السفير الأميركي السابق في إثيوبيا وبوركينا فاسو، ونائب رئيس البعثة الأميركية السابقة في السودان، أن المفاوضات اليومية وتفاصيلها لا تزال في يد المبعوث الأميركي مسعد بولس، بينما يوجّه ترامب السياسة العامة تجاه السودان.

VOICE of sudanese community
السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

«القروب الكشفي» يحوّل الحناء إلى أمل

بحث لطلاب يغير خريطة مكافحة الملاريا

□ في خضم التحديات الصحية، يظل البحث العلمي هو شعلة الأمل نحو حلول مستدامة ومحلية. وفي هذا السياق، تبرز جهود باحثين شباب وضعوا أقدامهم بثبات على طريق الابتكار، خاصة في مواجهة أمراض مثل الملاريا، التي لا تزال تهدد ملايين الأرواح، وتتطلب حلولاً جديدة بسبب المقاومة المتزايدة للأدوية التقليدية.

ضيفنا لهذا الأسبوع هو الشاب الواعد مهند حسن الحاج الطاهر، القادم من أمدرمان، منطقة الجزيرة إسلانج، خريج «جامعة الشيخ عبد الله البدري - كلية العلوم الصحية»، ومتخصص في تخصصي الكيمياء السريرية والأنسجة المريضة.

يمثل مهند هنا «القروب الكشفي»، وهو فريق بحثي يتألف من طلبة تخصص الكيمياء السريرية والأنسجة المريضة، ضم كلًا من: حياة خليفة حسن، ندى أمير يوسف، نعيمة يوسف حسين، نهال محمد مختار، شيماء محمد عوض، وصابر على بابكر، ووفاق الهادى محمد، تحت إشراف كل من: د. هشام عبد الحميد ود. مصعب نور الدين. وقد شارك هذا القروب في إعداد دراسة علمية مثيرة بعنوان: «التأثير القوي المضاد للبلازموديوم لمستخلص نبات الحناء (*Lawsonia inermis*) ضد أنواع البلازموديوم في المختبر».

هذا البحث أثبت فعالية مذهلة، حيث بيّنت النتائج قدرة مستخلص الحناء على تحقيق تثبيط كامل لنمو طفيلي الملاريا (*Plasmodium*) في المزارع المختبرية، بما في ذلك الأنواع الخطيرة مثل المتصورة المنجلية (*P. falciparum*). ويشير البحث إلى أن آلية عمل المستخلص تكمن في القضاء على الطفيلي وتثبيط نموه، مما يفتح آفاقاً جديدة أمام استخدام هذا النبات المحلي والمتوفر كمصدر واعد للأدوية المضادة للملاريا.

في هذا الحوار نتحدث مع الباحث مهند حسن الحاج الطاهر، ممثل القروب الكشفي، في كواليس هذا الإنجاز العلمي الذي يفتح آفاقاً واسعة لاستخدام العلاجات النباتية المحلية السودانية في مكافحة أخطر الأمراض، فإلى الحوار.

□ حوار: طارق عبدالله علي

● الملاريا أحد أهم التحديات الصحية في السودان. كيف ترى أن هذا البحث يساهم في الجهد الوطني لمكافحة المرض؟

– إن الملاريا في السودان لا تزال تمثل تحدياً صحياً بالغاً، حيث تتكرر الإصابات رغم توفر العلاجات. ويكمن السبب الأساسي في هذا التحدي في أن طفيلي الملاريا أصبح يتمتع بمقاومة عالية لأغلب الأدوية القياسية المستخدمة حالياً، مما أدى إلى تراجع فعاليتها بشكل ملحوظ.

من هنا انطلقت فكرة بحثنا؛ للبحث عن نمط علاجي جديد يعتمد على مصادر طبيعية محلية، يكون قادراً على التغلب على مشكلة مقاومة الأدوية، وبالتالي خفض معدلات العدوى. هذا الدافع هو المحرك الرئيسي لدراسة التأثير المضاد لطفيلي الملاريا باستخدام مستخلص نبات الحناء.

● بما أن الحناء نبات متوفر في السودان، هل يمكن أن يمثل هذا البحث نموذجاً للتصنيع الوطني بدلاً من استيراد الأدوية؟

– في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة، أصبح الاتجاه نحو الأبحاث التي تعتمد على الموارد المحلية ضرورة حتمية، بدلاً من استيراد أدوية باهظة الثمن.

نبات الحناء هو نبات سوداني أصيل، متوفر بكميات كبيرة ومعروف للمجتمع. لذا، فإن تطوير علاج منه يمثل خطوة استراتيجية وذكية ومفيدة للبلاد. إن استخدام مواردنا المحلية سيمكننا من توفير دواء متاح التكلفة لكافة شرائح المجتمع السوداني، ويقلل من اعتمادنا على المستورد. ورغم الصعوبات، تمكنا من تحقيق نتائج مبشرة، وكل ذلك بمواد ومعامل متوفرة داخل السودان، مما يشجع على التوسع في البحث ليشمل نباتات أخرى وتقوية الفعالية.

● هل تمت مقارنة مستخلص الحناء مع أدوية الملاريا القياسية؟ وما النتائج؟

– بسبب صعوبات الحصول على بعض الطفيليات والأدوية القياسية في السودان، لم نتمكن من القيام بمقارنة شاملة حتى الآن. ومع ذلك، النتائج الأولية أظهرت أن مستخلص الحناء لديه قدرة عالية جداً على تثبيط الطفيليات، مما يشجعنا على مواصلة العمل والتوسع في الاختبارات مستقبلاً.

● بصفتك خريجاً من جامعة الشيخ عبد الله البدري، كيف يعزز هذا الإنجاز مكانة البحث العلمي السوداني؟

– هذا البحث يؤكد أن المؤسسات التعليمية السودانية، مثل جامعة الشيخ عبد الله البدري، لديها القدرة على إنتاج علوم ذات قيمة عالمية وإقليمية، حتى في ظل الإمكانات المحدودة. لقد وفرت لنا الجامعة البيئة والمعامل المناسبة، وكان المشرفون شركاء حقيقيين.

هذا الإنجاز يرفع من مكانة البحث العلمي السوداني، لأنه يقدم حلولاً مبتكرة تعتمد على مواردنا المحلية، وتستجيب بشكل مباشر لاحتياجات المجتمع الملحة، مما يعكس جودة المخرجات التعليمية والبحثية.

> **تمكنا من تحقيق نتائج مبشرة وكل ذلك بمواد ومعامل متوفرة داخل السودان**

● ما رسالتك للشركات الوطنية ورجال الأعمال لدعم البحث للوصول إلى التجارب السريرية؟

– هذا المشروع هو في الأساس مشروع وطني. إذا تم دعمه، يمكن أن يصبح أول دواء سوداني بالكامل لمكافحة الملاريا. لذا، ندعو الشركات الوطنية ورجال الأعمال للاستثمار فيه، لأنه يمثل استثماراً مباشراً في صحة المواطن، ويعزز من السمعة العلمية للسودان، ويؤسس لاقتصاد قائم على الصناعات الدوائية المحلية. إن التجارب السريرية تتطلب تمويلاً كبيراً، لكن مردودها الصحي والاقتصادي سيكون هائلاً على المدى الطويل.

● هل تمت مقارنة مستخلص الحناء مع أدوية الملاريا القياسية؟ وما النتائج؟

– بسبب صعوبات الحصول على بعض الطفيليات والأدوية القياسية في السودان، لم نتمكن من القيام بمقارنة شاملة حتى الآن. ومع ذلك، النتائج الأولية أظهرت أن مستخلص الحناء لديه قدرة عالية جداً على تثبيط الطفيليات، مما يشجعنا على مواصلة العمل والتوسع في الاختبارات مستقبلاً.

● كيف ساهمت جامعة الشيخ عبد الله البدري وكلية العلوم الصحية في توفير البيئة المناسبة؟

– لقد كان الدعم العلمي محورياً. أخص بالذكر د. هشام عبد الحميد ود. مصعب نور الدين، اللذين كانا داعمين قويين ومحفزين لنا، خصوصاً في مواجهة العقبات اللوجستية والمعنوية.

واجهنا تحديات ضخمة في تأمين أجهزة (مثل بايوكابينت والكاندلجار) والحصول على وسط زراعة (الميديا) اللازم لتزريع الطفيلي، والذي كان مكلفاً وتلف في البداية. في ظل فقدان الأمل والتكلفة العالية، كان دعمهما هو القوة الدافعة لنا. بفضل هذا الدعم، وبإصرارنا، تمكنا من تأمين المواد الضرورية، وتوفير معمل في الجامعة وتجاوز الصعاب لإكمال البحث بنجاح.

● كيف يمكن تحويل نتائج المختبر إلى دواء حقيقي متاح للجمهور؟

– لتحويل نتائج المختبر إلى دواء متاح للجمهور، يجب اتباع الخطوات التالية:

١-تنقية المركبات الفعالة: عزل المادة النشطة في مستخلص الحناء.

٢- اختبارات السلامة والسمية: التأكد من أن المستخلص آمن للاستخدام البشري.

٣- التجارب قبل السريرية: اختبار الدواء على نماذج حيوانية.

٤- التجارب السريرية: اختبار الدواء على متطوعين، وهي المرحلة الأكثر تكلفة وتعقيداً.

نحن نعمل حالياً على استخلاص المادة الفعالة، بهدف إنتاج دواء آمن وفعال ومُنضبط علمياً لمكافحة الملاريا، مع التأكيد على الفرق بين هذا الاستخدام العلمي والاستخدام الشعبي العشوائي.

● ما رسالتك للطلاب والباحثين الشباب في السودان؟

– رسالتي لا شيء مستحيل إذا كان الهدف واضحاً.

على الرغم من صعوبة الظروف والتحديات الضخمة التي واجهناها في تجهيز المعمل وتأمين الأجهزة والمواد المكلفة، إلا أننا أثبتنا أن التعاون والعمل الجماعي يمكن أن يصنع فارقاً كبيراً. بالابتكار والإصرار، نجحنا في صناعة بدائل يدوية للأجهزة غير المتوفرة.

أدعو الطلاب والباحثين الشباب إلى البدء بالموارد المتاحة حولهم، والتركيز على حلول لمشكلات المجتمع الحقيقية. إن بلدنا بحاجة ماسة لمثل هذه المبادرات العلمية، والعمل على علاجات محلية سيسهم بشكل مزدوج في صحة المواطنين ويدعم اقتصادنا الوطني.

> **إذا تم دعم المشروع يمكن أن يصبح أول دواء سوداني بالكامل لمكافحة الملاريا**

VOICE of sudanese community

السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

قلم تصحيح

ما نيل المطالب بالتمني.. ولكن

محمد المهدي الأمين *

● يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:
وما نيل المطالب بالتمني...
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
إن مـا يتمنّاه الإنسـانُ ويشـتهيه لن يتحقق لمجـرد التمنّي، ولكن لا بدّ من بذل الجهد والتعب، والسّعي والمنافسة من أجل تحقيق هذه الأمنيات، فالدنيا تؤخذ بالمنازعة والمنافسة
ولا بدّ للإنسان من الاجتهاد في سبيل تحقيق أهدافه، بالرغم مما يمكن أن يواجهه من تعب ومشقة أثناء ذلك، إلا أنّ ثمار الجد والاجتهـاد تنسـي الفرد ما عانـاه خلال رحلته، وتدفعه لتحقيق أمنياته.
فكل شخص يحقق ما يريد بالعمل الجاد والمواجهة والتحدي، وليس بالجلوس وانتظار تحقيق الأهداف.
ويؤكد شوقي أن الوصول إلى الأهداف وتحقيق الطموحات لا يكون بمجرد الأماني والرغبات من دون عمل.
«ولكـن تؤخـذ الدنيـا غلابـا»، فالطريقـة الصحيحـة لتحقيق الأهـداف هـي أن تُؤخذ الدنيا وتُنتزع بالجهد الشـديد والمغالبة والقوة.
إذ يجـب علـى الإنسـان أن يعمـل بجد ومثابـرة، وأن يتحدى الصعـاب ليحقـق مـا يصبو إليـه، لأن الدنيـا لا تمنـح خيراتها بسهولة للمتكاسلين.
هـذا مـا قاله أمير الشـعراء في شـأن المطالـب الدنيوية، أما المسـلم فهدفـه الأسـمى وغايته الكبـرى العمل لآخرتـه والفوز بالجنة.
قال النَّبي صلّى اللهُ عليه وسلمَ: (الكيِّسُ مَنْ دَانَ نفْسَه، وعَمِلَ لمـا بعدَ الموْتِ، والعاجزُ مَنْ أتْبعَ نفسَـه هواها، وتمنى على اللهِ الأمانيِ).
فالكيِّس هـو الإنسـان الحازم، الـذي يغتنم الفـرص، ويتَّخذ لنفسه الحيطة حتى لا تفوت عليه الأيام والليالي فيضيع.
وقوله صلى الله عليه وسـلم: (مَنْ دانَ نَفْسَـه) تعني حاسَـبها ونظـرَ مـا فعل من المأمورات، وماذا ترك مـن المنهيات: هل قام بمـا أمرَ بـه، وهل ترك ما نُهي عنه، فإذا رأى مِنْ نفسـه التفريط في الواجب اسـتدركه إذا أمكن اسـتداركه، وإذا رأى من نفسِه انتهاك محرَّم أقلع عنه ونَدِم وتاب واستغفر.
فالإنسان يُعمِل للآخرةِ، لأنَّه يمر بهذه الدنيا مروراً، والمآل هو مـا بعد الموت، فإذا فـرَّط ومضت عليه الأيام، وأضاعها في غير ما ينفعه في الآخرةِ فليس بكيِّس.
لأن الكيِّس يعمِل لما بعد الموتِ، والعاجزُ من أتبع نفسه هواها، وصار لا يهتم إلا بأمورِ الدنيا، فيُتبع نفسه هواها في التَّفريطِ في الأوامـر، وفي فعل النَّواهي، ثم يتمنـى على الله الأماني، فيقول: الله غفور رحيم، وسـوف أتوب إلى الله في المسـتقبل، وسـوف أصلـحُ من حالي إذا كبرت، وما أشـبه مـن الأماني الكاذبة التي يمليها الشيطان عليه، فربما يدركها وربَّما لا يدركها.
وكلمات شـوقي تتطابـق مع هذا الحديث الـذي يحث على أن يدع الإنسان الكسل والتُهاون والتمني، فإنَّ التَّمني لا يفيد شيئاً.
قالَ الحسـن البصري – رحمه الله: (ليس الإيمان بالتَّمنِّي ولا بالتَّحلِّي، ولكن الإيمانُ ما وقرَ في القلبِ وصدَّقته الأعمال).

* مستشار التحرير وكاتب صحفي.

مداد أخضر

«واا شوقي»

م. معتصم تاج السر *

● يا السودان...
أقابلـك فـي زمنٍ ماشـي وزمـنٍ جاي
وزمن لسه
أراك فـي كل لحظـة أسـترجع فيهـا نفسـي، وفي كل رعشـة حنين تتسلل إلى القلب بلا استئذان.
لأنك الذاكرة التي لا تُمحى، والنسـخة الأصلية من كل ما أحبّ وما أفتقد.

يا السودان...
أراك فـي ملامح الصبـاح حين يتثاءب النيل ويعانق ضفافه بكسل محبب.
أراك في هدير السـوق الشـعبي، وفي خطـوات النـاس التـي تشـبه القصائـد العامرة بالبساطة والكرم.
أراك المُتـكأ الـذي ترتـاح فيـه روحي مهما طال السفر وتاهت الطرق.
تحاصرنـي صورتـك حين يثقـل الليل بالوحدة...
حين يمر طيف «أمي» وهي تناديني من آخر الحوش.
وحيـن أتذكـر أن أبناءنا وهـم يكبرون علـى أرض لـم تمشـي عليهـا قدماي في طفولتـي، وأنهم لم يتنسّـموك فرحاً، ولن يعفروا أقدامهم في ترابك الطاهر.
لا شـيء يوجـع مثـل البُعد ولا شـيء يداوي مثلك.

يا السودان...
أراك في كل الأزمنة التي عبرتُها، وفي تلك التي لم أبلغها بعد.
تغدو حاضري رغم غيابي، ومسـتقبلي رغـم خوفـي، وماضيّ الذي لا يـزال حيّاً ينبض كنبض قلب شقيٍّ بالحُبِّ..
أحبك لأنك تشبّهني...!
تشبه فوضاي، طيبتي وغضبي، صمتي وأحلامي المؤجلة.
أحبـك لأن فيـك أماناً لـم تمنحه لي أي أرض أخرى، ودفئاً لا يعرفه بلد غيرك.

يا السودان...
أعـود إليك كل ليلة كعاشـقٍ لا فكاك له من وجعه.
أعـود إليك في الحنين، وفي الرسـائل غير المكتوبة، وفي الحكايات التي أحكيها لنفسي قبل أن أنام.
أعود إليك لأنني مهما ادّعيت القوة...!
أظـل طفـل الأمس الذي يتبـع خطواتك أينما ذهبت.

يا السودان...
سـألقاك في زمنٍ ماشـي وزمـنٍ جاي وزمن لسه.
سألقاك حين تتفتح جراح الوطن وتبرأ، وحين يعود ضحك الناس إلى الشـوارع، وحيـن نحمل من جديد أحلامنا الصغيرة ونمشي بها على ترابك الطاهر.
سـألقاك لأن اللقـاء وعـدٌ مكتـوب في الروح قبل أن يكتبه القدر على الورق.

يا السودان...
يا أجمل أزمنتي،
يا وطن تبدأ فيه الحكايات ولا تنتهي.
أبقى طيب...
وأبقى عاتي...
إلى الملتقى محبتي واعتزازي.

* كاتب صحفي.

شبابيك

غربة الذات في قلب الوطن

طارق عبدالله علي *

● تغشـانا أحيانـاً لحظـات مـن الإنهـاك الروحـي والفكـري، تستهلك من رصيدنا المعنوي الكثير، بسبب ثقل الأعباء والاجتهاد علـى التحمـل، لتلقي بنا في عصف ودوار عميـق من فرط التركيز والمواجهـة للـذات. هـذه اللحظات القاسـية هي حالة تتفشـى في نفوس الكثيرين، لا سـيما في ظل تعقيـد الأحوال الراهنة واهتزاز الاستقرار الذي فرضته ويلات الحرب.
أصبحنـا بين مطرقة النزوح الذي فرض علينا، وسـندان فقدان التفاصيل التي كانت تشـكل سنداً لحياتنا. والأكثر إيلاماً من ذلك كلـه، الانتقـال المفاجئ من واقع مألوف ومسـتقر إلى واقع مغاير تماماً، يختلف في طبيعة الحياة التي اعتدناها؛ حياة كانت محكومة بأفضليات واضحة، ومحاطة بدوائر اجتماعية متينة ومكونة بعناية، كانـت بمثابة انعكاس لهوية الشـخص متآلفة مـع توجهاته الفكرية والعاطفية.
إن هـذه الجزئيـة المعقـدة يمكننـا تسـميتها ب «الغربـة داخل الوطن» أو «اغتراب الذات». وهي حالة لا تبتعد كثيراً في جوهرها عـن مفهـوم «الغربة عن الوطن»؛ فكلا المفهومين يعبر عن انفصال الفـرد الموجع عن بيئتـه الحاضنة التي اعتـاد التعايش والتفاعل ضمنها. ولكن، الأشد والأقسى أن تكون هذه الغربة قابعة في قلب موطنـك! أن تنفصـل عـن أدق التفاصيل التي اعتـادت روحك أن تتنفسها وتتعايش في معانيها.
إن هـذا التحول الصعب الـذي يفصل الفرد عن بيته، وعن روح المـكان الـذي احتضن تشـكل ملامحه الداخلية، وصـاغ علاقاته الاجتماعيـة، ورسـم حـدود الدوائـر المعينة والمحـددة التي كان يتواصل معها، هذا التحول هو أصعب ما يمكن أن يمر به الإنسان. إنـه تحـدٍ كبير يدعونا لإعـادة بناء الثقة المفقـودة؛ تلك التي كانت تسـير أمورنا وتبسـط مشـاويرنا في الحياة التي كنا قـد ألفناها وتعودنا عليها.
على أنقاض هذا الاغتراب الداخلي، تتجلى القسـوة الأشـد في طبيعـة الانقطاع ذاته. فالنزوح يتجاوز كونه انتقالاً مكانياً، ليصبح حالـة من التعلق المؤلم بين الماضي العالق والحاضر المربك. في تلك اللحظات الفاصلة من التخلي، لم تختتم الأمور بطريقة منظمة، لتبقـى كل الأشـياء حولنا شـاهدة علـى التوقف المفاجـئ للزمن. باتـت كل زاوية تهمس بحكايات الغياب، مذكرةً إيانا بما لم نودعه. والكتب مفتوحة على صفحة لم يمهل القارئ ليتمها.
إنهـا متلازمة «الصفحـة ٢٥»؛ الرقم الذي أصبح رمزاً لقصص حيـاة كاملـة، فـرض عليها الإيقـاف المؤقـت دون الوصـول إلى خواتيمها الطبيعية. وكل روح مشـردة تحمل معها «صفحتها ٢٥» الخاصـة؛ قد تتجسـد في مشـهد وداع، في مواعيـد منتظرة، في صباح كان مألوفاً بتفاصيل معينة، في وجوه كانت ضياء اللحظات الصادقة، في أمسـيات بمزاج مسـتقر أو في ذكريات دافئة لقهوة الظهيـرة. هـذه التفاصيل، رغم بسـاطتها، ترفـض أن تنطوي، لأن الرحيل القسري لم يمنحنا إذناً بإنهاء الفصل. وهكذا، يظل الأمس حاضـراً بقـوة غالبـة، فنعيـش حالة مـن الترقب الطويـل، تاركين الأماكن، وحاملين جزءاً من ذواتنا ذكرى حبيسة في تلك الصفحة التي لم تقلب أبدا.

* كاتب صحفي.

طق حنك

ودالمنسي... قرية تحفظ ذاكرة أوليائها ونسيجها الإنساني

يوسف عبدالرضي *

● في قلب مديرية النيل الأزرق، ناحية المناقـل ــ كما ذكر ود ضيف الله في الطبقـات ـ تقع ودالمنسـي. وهذه إشـارة إلى قدمها. أمّا الآن فهي في ولاية الجزيرة، محلية أربعة وعشرين القرشي. وأنا أكتب عنهـا، فإنما أكتب عن فسـحة روحية أكثر من كونها قرية. اسـمٌ قـد يمرّ على البعض مـرورًا عاديًـا، لكنـه لمـن عرفـه أو عـاش بعـض فصولـه، بـابٌ يدخل منـه الضوء، ونافـذة تطل علـى تاريخ طويل مـن العلم والولاية والمحبّة.
وحيـن كتب ود ضيف الله في الطبقات عن أولياء السـودان، مرّ بهذا الاسـم وهو يـؤرّخ لوفـاة الشـيخ مكي النحـوي، أحد شـيوخ اليعقوباب. تلك الإشارة الصغيرة كانـت المفتـاح الأول لفتـح ذاكـرة كاملـة عـن القرية وأهلها. وحيـن عثرت على هذا التوثيق، حملت السـؤال إلى جدّي الشيخ عبدالرحيم، – رحمه الله، أحد أعمدة القرية ومرجعياتها الدينية والاجتماعية. سـألته عـن موضـع قبـر الشـيخ مكـي النحـوي، فابتسـم ابتسـامة العالـم الذي يعـرف أن للتاريـخ وجهًا ظاهرًا وآخـر خفيًا، ثم قال عبارته التي قد يستغربها الكثيرون:
«والله ما عارف. كانت في سـنة اسمها سـنة (أم لحـم)، جـوْ نـاس كتـار وماتـوا هنا... أنا ما حضرتها، كلمونا بيها».
كانـت تلـك السـنة جـزءًا مـن الذاكرة الشـفاهية التي تناقلها الشـيوخ والرواة؛ عامٌ وباءٍ أو مجاعةٍ أو وفودٍ كثيرة، لا أحدٍ يتفـقُ علَـى تفاصيلـه بدقة، لكن أثـره ظل حاضرًا في روايات كبارِ السن. ثم استدرك الشيخ عبدالرحيم قائلًا:
«لكن مرة جاني واحد في رؤية منامية، شـايل عصايـة اليعقوبـاب، قـال لـي: أنا النحوي».
لم أعبأ كثيرًا في البداية بربط الشـيخ مكـي النحوي باليعقوباب، حتى عدت إلى الطبقـات مرة أخـرى، فوجدت أن الشـيخ حقًا منهم. كانت تلك إحدى لحظات التلاقي بين المدوّن والمرويّ، بين النصّ والروح
الشيخ عبدالرحيم... رجل ليس عاديًا،
الحديـث عـن الشـيخ عبدالرحيـم ذو شـجون. كان، على بساطته الظاهرة، رجلا ذا مقـام؛ عالمًا بالشـريعة، ملمًّا بالحقيقة، قريبًـا مـن الناس كظـل شـجرة، لا يتكلّف العلـم ولا يسـتعرضه. تجمعنـي بـه، وأنا صغير السن، علاقة حبّ خاصة.
ذات يـوم وجدتـه يقـرأ «الفقـه علـى المذاهـب الأربعـة» لأبـي بكـر الجزائري، فداعبته قائلًا:
«خلاص يـا جـدي، قلبت وعايـز تبقى أخو مسلم؟»
فضحك وقال:
«كدي اقعد. والله يا يوسف ولدي، عايز لي فتوى تحلّل لي الزكاة دي... ما لقيتها».
كان همّه الأكبر أن يسـتنضف مطعمه، حريصًا على الحلال.
قلت له ممازحًا:
«علـي أنـا؟ جبنـا ليـك بلـوري الهادي عشـرين شـوال مـن ود النبيهـي... وديتا وين؟»
فيرد بصوته الهادئ:
«يا ولدي... بجوني المرّاح، أمشـي لي حـاج عبدالرحمن أشـيل منّو حق شـوال، وبجـي عابـر السـبيل أمشـي أشـيل حق شـوال... وهكـذا لحـدي ما تنتهـي. وكان جانـي سـمن ولا عسـل... بشـتريه بمالي وبقسمه على البيوت».
ذلـك الرجـل الـذي لـم يكـن يبحث عن مكانـة ولا جـاه، كان فـي قلـوب النـاس أعلـى مـن كل موقـع إداري. وهكـذا كانت ودالمنسـي: أهلها يسـتمدون العرفان من أخلاق رجالها، لا من هياكل السلطة.
القريـة التـي يتأخر فيهـا العيد... من أجل الناس
فـي ودالمنسـي، كانـت صلاة العيـد تتأخـر دائمًـا. ليـس كسـلاً ولا عـادة، بل انتظـارًا للوافديـن مـن القـرى المجـاورة الذين يشـدّون الرحال ليصلوا في حضرة شـيخهم، وليشـهدوا يوم العيد في القرية التـي كانـت ــ بحـق ــ دار فتـوى ومنبع معرفة، وقبلة من لا قبلة له.
كانت البيوت مشرعة الأبواب، والقلوب أوسـع من الرحاب. الكبير عمّك، والصغير أخوك، ومن يمرّ عابرًا يجد مكانه في وسط الحلقة. وكنت، صغيرًا، أظن أن كثيرين من أهـل القرية إخوة لأبي، ثم اكتشـفت لاحقا أن القبائل التي تنتسـب إليها الأسـماء لم نسـمع بهـا أصلاً. لم يكن النسـب أهمّ من الجوار، ولا القبيلة أهمّ من الودّ.

حين حاولت السياسة أن تفتق النسيج

مع مجيء الإنقاذ، تغيّر المشهد. دخلت إلـى القرى من باب الدين، لكنها جاءت بما يفرّق أكثر مما يجمع.
حاولت إعادة هندسة المجتمع، ففتقت البيت الواحد إلى بيوت، والقبيلة الواحدة إلـى فـروع، والزعامة إلى شـظايا. فتحت شـهية من لم يكن طامعًا للسـلطة، وزيّنت له الطريق ليصبح صاحب منصب على من كان بالأمس عمّه وخاله وجاره.
نسـيت الإنقـاذ، أو تناسـت، أن الإدارة الأهليـة كانـت تسـتمد قوتها مـن النـاس، مـن قربهـا لهم، لا من سـلطة فوقيـة تُمنح بقـرار. لكـنّ حمـاس الشـباب للتغيير كان الباب الذي دخلت منه، فاختلطت الأوراق، وتبدّلت المعايير.
ليس هذا مقام التحليل السياسي، لكنه جزء من تاريخ ودالمنسـي؛ جزءٌ مما يجب أن يُـروى إن أردنـا فهـم التحـوّلات التـي عصفت بالنسيج القديم.

ودالمنسي... النشأة والتركيبة السكانية

تسـتمد ودالمنسي هويتها من امتزاج أهلها، مـن تداخل القبائل وتجاور الأسـر وتشـارك الناس في الأفـراح والأتراح. هي قرية قائمة على المحبة قبل أن تكون قائمة على الأرض.
فيها اتصـل الوافد بالمقيـم، والغريب بالجار، والعارف بالمبتدئ. فيها نشأ جيل يـرى الجميـع أهلًا، قبـل أن يتعلـم معنى الحدود القبلية.
إن الحديـث عـن ودالمنسـي ليـس اسـترجاعًا لذكريات القرية فحسب، بل هو اسـتعادة لروح كاملـة، لطريقة حياة كانت فيهـا المعرفـة مشـتركة، حقًا وسـلوكًا، لا ادعاءً. وودالمنسـي ـ رغم كل المتغيرات ـ ما زالت تحتفظ بجمرتها الأولى.
مـا زالـت الذاكـرة تمشـي علـى أقدام الرجـال والنسـاء، وما زال عبق الشـيوخ يتردد في البيوت والمساجد والحلقات.
هي قريـة صغيـرة، نعم، لكنهـا تحمل في صدرهـا تاريخًا يليق بـأن يُروى، وأن يُكتب، وأن يُنقل للأجيال القادمة.

* شاعر وكاتب صحفي.

رؤى وتحليلات

سلام السودان: استعادة الوضوح من وسط العتمة والفوضى

أ. د. فيصل محمد فضل المولى *

● فـي اللحظـات التي تتكثف فيها العتمـة على وطن ما، يصبـح البحـث عن الوضوح فعلاً سياسـياً وأخلاقيـاً فيَّ آن واحد. السـودان، الذي ظـل عقوداً طويلة مسـرحاً لصراعاتٍ مفتوحة وجراح لم تُغلق، يواجه اليوم واحدة من أكثر المراحل تعقيداً في تاريخه الحديث. ليس فقط لأن الحرب الحالية مزّقت مدنـه وشـرّدت ملايين مـن أبنائه، ولكن لأنها جـاءت في وقت يعاني فيه المجتمع السـوداني من إرث ثقيل من الانقسـامات، وتراجع مؤسسات الدولة، وتراكم أزماتٍ اقتصادية واجتماعية خانقـة. وفي مثل هذا الظرف، يصبح السـؤال الأكثر إلحاحاً: كيف يمكن للسودان أن يستعيد سلامه؟ وكيف نعيد الوضوح وسط هذا الضباب الكثيف؟
هذه ليست مجرد أسـئلة تُطرح من باب التحليل السياسي، بل هي أسـئلة وجودية متعلقة ببقاء الأمة نفسـها. لأن السلام فـي السـودان لـم يعد مجرد مشـروع سياسـي أو اتفاق بين الأطراف المتحاربة، بل أصبح شـرطاً للحياة، ومفتاحاً لعودة الناس إلى منازلهم، وإعادة تشـغيل المدارس والمستشفيات، واستعادة الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية التي انتُهكت على نطاق واسع.
ومع تفاقم العنف واتسـاع رقعة الدمار، بات الوقت نفسه يتحول إلى عبء ثقيل؛ فكل يوم يمرّ دون مسار واضح للسلام يعني المزيد من الأرواح المهدرة والمستقبل المفقود. وما يزيد المشـهد تعقيداً هو شـعور الملايين بأنهـم تُركوا وحدهم في مواجهة المأسـاة، بلا مؤسسات تحميهم ولا قيادة قادرة على تجنيبهـم الكارثـة. هنا يصبح الوضوح ضـرورة قصوى لفهم مـا يحدث، وتحديد القوى التي تعرقل السلام، ورسـم ملامح الطريق نحو وطن يستعيد كرامته ووحدته. فالسودان لا يحتاج فقط إلى وقف الحرب، بل إلى رؤية جديدة تُعيد ترتيب أولوياته وتُرمّم روحه المنهكة.

أولا: الحرب كمرآة للعتمة الداخلية

الحـرب الحاليـة كشـفت مـا كان مخفيـاً تحـت الرماد لعقود: هشاشـة الدولة، ضعف مؤسساتها، عمق الانقسامات الاجتماعية، وغياب المشـروع الوطنـي الجامع. لم تكن الأزمة وليدة اليوم، بل هي تتويج لمسـار طويل من الفشـل السياسي والإداري منـذ الاسـتقلال. هـذا الفشـل لم يكن مجرد سـوء إدارة، بل تفكك تدريجي للدولة، وانسحابها من واجباتها تجاه مواطنيها، حتى أصبح السـودان يعيش على حافة الهاوية قبل أن يدفعه الصراع الأخير نحو السقوط الكامل.
لكـن أخطر ما كشـفت عنه الحرب هو تـآكل الثقة داخل المجتمع نفسـه. أصبح الجـار ينظر إلى جاره بريب، والغريب يُعامَـل بحـذر، والمواطن يرى في الآخر تهديـداً محتملاً. هذه العتمـة الداخليـة أخطـر مـن الدخـان المتصاعد مـن المدن المحترقة، لأنها تستهدف الروابط غير المرئية التي تقوم عليها الأمم: الثقة، التضامن، والانتماء المشترك.

ثانيا: لماذا فشلنا في بناء سلام دائم؟

علـى مـدى عقود، وُقّعـت عشـرات الاتفاقيات، وشـارك السـودان في مؤتمرات لا تحصى حول السـلام والمصالحة. لكـن كل هذه المحاولات فشـلت في تحويل السـلام إلى واقع ملموس. هناك عدة أسباب لذلك:
1. السـلام كان دائمـا صفقة سياسـية وليس مشـروعاً مجتمعياً.
تُقـاس الاتفاقيـات بعدد المناصب الموزعـة، وليس بعدد المدارس التي تُفتح أو الأسر التي تعود إلى بيوتها.
2. غياب العدالة الانتقالية.
لم تُحاسَـب أي سـلطة على الانتهاكات الواسـعة، وظلت الجراح مفتوحة، تلد جراحا جديدة.
3. تعدد مراكز القوة خارج الدولة.
فصائل مسلحة، حركات، جيوش موازية... كلها أضعفت قدرة الدولة على فرض القانون.
4. ضعف الهوية الوطنية الجامعة.
السـودان لـم ينجح بعـد في بناء سـردية وطنية تشـمل الجميع دون إقصاء.
5. تسييس القبيلة والعرق.
وهـو مـا أدى إلـى تحويـل التنـوع الطبيعي إلـى سلاح للتفريق بدل أن يكون مصدر قوة.
بالنتيجة، كان كل سلام هشـاً، ينتظر شـرارة ليعود إلى مربع الحرب من جديد.

ثالثا: الوضوح... بداية طريق السلام

في العتمة لا يمكن للسودان أن يمضي خطوة واحدة نحو الأمام. ما يحتاجه السـودان قبل البنادق الصامتة والاتفاقيات الجديـدة هو وضوح الرؤية: مـن نحن؟ ماذا نريد؟ وكيف نعيد بناء وطن مهدم؟
هذا الوضوح يتطلب شـجاعة الاعتـراف بالحقيقة، مهما كانت مؤلمة:
• أن الدولة السودانية انهارت فعلياً.
• أن الحـرب لـم تعد مجـرد صراع عسـكري، بل كارثة إنسانية وأخلاقية عميقة.
• أن المجتمع نفسه مُنهك، ومنقسم، وفاقد للثقة.
• أن لا طرف في الحرب قادر على تحقيق نصرٍ كامل، ولا طرف قادر على حكم السودان بالقوة.
هذا الاعتراف ليس هزيمة، بل بداية الطريق نحو الشفاء. لأنه يفتح الباب لسؤال جوهري: إذا كان لا أحد يستطيع حكم السودان منفرداً، فلماذا لا نحكمه معاً؟

رابعا: دور المجتمع المدني في استعادة الوضوح

فـي غياب الدولة، يصبح المجتمـع المدني هو الحاضن الأخيـر لمفهوم الوطن. خلال الحرب الحالية، أثبتت المبادرات الشـعبية، مـن المتطوعيـن، ولجـان الأحيـاء، والمجموعـات الشبابية، أن السودان لا يزال حياً رغم الخراب. هؤلاء الشباب لم ينتظروا دولة غائبة، بل صنعوا شبكات دعم طبية، وغذائية، وتنظيمية، ربما هي الأكثر فاعلية في تاريخ السودان الحديث
هنا يكمن الوضوح الحقيقي:
السـودان لن يُبنى مـن قاعات التفـاوض وحدها، بل من الناس الذين صنعوا الحياة وسط الموت.
المجتمـع المدنـي ليس بـديلاً عن الدولة، لكنـه البوصلة الأخلاقيـة التـي تُعيد توجيهها. وهو أيضا القـوة الاجتماعية الوحيـدة القـادرة على فـرض أجندة السلام من الأسـفل إلى الأعلى، بعيداً عن حسابات النخب السياسية والعسكرية.

خامسا: كيف يُعاد بناء السودان بعد الحرب؟

إعـادة بنـاء السـودان ليسـت عملية تقنية، بل مشـروع سياسي واجتماعي وثقافي شامل. ويمكن تلخيص ملامح هذا المشروع في خمسة محاور رئيسية:
1. إعادة بناء الدولة على أساس المواطنة.
لا توجد نهضة مع دولة محاصَصاتية أو هشة. يجب بناء مؤسسـات مستقلة، وقوانين عادلة، وإدارة لا تُخضع المواطن للولاء والجهة.
2. دمج القوات المسلحة المختلفة في جيش مهني واحد
هذا شرط لبقاء الدولة نفسها. وجود جيوش موازية يعني موت الدولة.
3. إطلاق مشروع عدالة انتقالية حقيقي.
ليس للانتقام، بل لإنهاء دائرة الإفلات من العقاب. العدالة هي الطريق الوحيد لمصالحة مستدامة.
4. مشروع اقتصادي يعيد الثقة في المستقبل.
السـودان بلد غنـي، لكن الحـرب جعلته فقيـراً. السلام يحتاج اقتصاداً يمنح الناس أسـباب الحيـاة: وظائف، تعليم، صحة، واستقرار.
5. مشروع وطني جامع يعيد تعريف الهوية السودانية.
هويتنا ليسـت عداءً بين مناطق، ولا تنافسـاً بين إثنيات، ولا صراعـاً بين ثقافات. بل فسيفسـاء مـن التنوع الذي يمكن أن يكون مصدر قوّة إذا أحسن تنظيمه.

سادسا: متى يتحقق السلام؟

لن يتحقق السـلام عندما يوقع القادة اتفاقاً جديداً فقط، بل عندما:
• تتوقف الآلة الإعلامية عن بث الكراهية.
• يتوقف المواطن عن النظر للآخر بحذر.
• تعود المدارس لتفتح أبوابها.
• تعود الأسواق لتنبض بالحياة.
• يعود الناس إلى منازلهم بلا خوف.
• يفهم الجميع أن الحرب ليست بطولة... بل لعنة.
السـلام ليس نهاية الحرب فقط، بل هو بداية بناء مجتمع جديد.

سابعاً: الرؤية الأخلاقية للسلام

إن الحديث عن السلام في السودان لا يمكن اختزاله في الترتيبات العسـكرية أو السياسـية، فهذه ليست سوى مظاهر سـطحية لحقيقـة أعمق: أن الحـرب لم تدمّر الحجـر فقط، بل دمّـرت أيضاً جزءاً مـن الضمير الجمعي. ولهـذا، يصبح بناء السـلام في جوهره مشـروعاً أخلاقياً قبل أن يكون مشـروعاً سياسـياً. فالأمـم لا تنهض فقـط بالقوانين والمؤسسـات، بل بالقيم التي تحكم علاقتها ببعضها البعض، وبالحد الأدنى من الاحترام المتبادل الذي يجعل التعايش ممكناً.
السلام الذي يحتاجه السودان ليس سلاماً صامتاً تُجمَّد فيـه البنادق بينما تبقـى الكراهية حية. ولا سلاماً هشـاً يقوم علـى تفاهمـات فوقيـة بين قـادة لا يمثلون وجـدان الناس. ما يحتاجه السـودان هو سلام أخلاقي يعيد الاعتبار للإنسـان، ويؤسس لعقد اجتماعي جديد قائم على ثلاث ركائز رئيسية:
1. قدسية الحياة:
أن تُصبح حياة الإنسـان–أي إنسان–خطاً أحمر، لا يُبرَّر الاعتداء عليه بأي ذريعة سياسـية أو قبلية أو أيديولوجية. فلا مستقبل لأمة تُستباح فيها الأرواح دون محاسبة.
2. العدالة بوصفها أساس الاستقرار:
العدالـة ليسـت انتقاماً، بـل هي إعادة تـوازن بين الحق والظلـم، وهـي الضمانـة الوحيدة لعـدم تكرار المآسـي. ومن دون عدالة انتقالية حقيقية تحاسب الجناة وتُنصف الضحايا، سيبقى السلام مجرد استراحة قصيرة بين حربين.
3. احترام التنوع وقبول الآخر:
السـودان بلد واسـع بتنوعـه العرقي والثقافـي واللغوي والدينـي. لكـن هذا التنـوع، الذي كان يجـب أن يكون مصدر قوة، تحول عبر السـنين إلى ساحة للتنافس والصراع. الرؤية الأخلاقيـة للسلام تقتضي إعادة تعريـف هذا التنوع باعتباره ثروة لا تهديداً، وبوصفه لبنة أساسية لبناء وطن جامع.
إن هذه الرؤية الأخلاقية لا تُبنى بكلمات أوْ شـعارات، بل من خلال التربية، الإعلام، الخطاب الديني، والعمل المجتمعي، وكل مـا يُعيـد صياغـة العلاقة بين الناس. فالأمـم التي ترغب فـي الخـروج من العتمـة تحتاج إلـى ثورة قيم قبل أي شـيء آخر–ثورة تعيد الاعتبار للإنسان، وتحرر الوعي من الكراهية، وتُحوّل الألم إلى طاقة بناء لا إلى وقود للانتقام.
السلام الذي يسـتحقه السـودان هو سلامٌ يُداوي الروح قبـل الأرض، ويصلـح القلـوب قبـل الطرقات، ويعيـد صياغة معنـى المواطنة بوصفها انتماءً ومسـؤولية مشـتركة. وعندما يترسـخ هذا الأسـاس الأخلاقي، يصبح من الممكن بناء دولة قوية، ومجتمع متماسك، ومستقبل لا يخاف أبناء السودان من الوقوف فيه جُنباً إلى جنب.

من العتمة يولد الضوء

وسـط هذا الخراب الواسع، قد يبدو الحديث عن السلام ضرباً من الرومانسـية. لكن الحقيقة أن السـودان، رغم كل ما واجهـه، يملك قدرة غير عادية علـى النهوض. يكفي النظر إلى آلاف الشـباب الذين يضمـدون جراح مدنهـم، وإلى العائلات التي تتقاسـم ما تبقى من الطعام، وإلى الأصوات التي ترفض الكراهية رغم الألم... لنعرف أن السودان لم يمت.
إن اسـتعادة الوضوح وسط العتمة ليست مهمة سياسية فقـط، بـل هـي مهمـة وجوديـة: أن نـرى أنفسـنا كما نحن، وأن نواجـه حقائقنـا، وأن نضـع لوطننا مسـاراً جديداً يليق بتضحيات أبنائه. لكن هذا المسار لن يُرسم بقرار مفاجئ، بل بإرادة جماعيـة تتجدد كل يوم، وبعمل صبـور يعيد بناء الثقة المهدورة بين الناس. فالسودان ليس جغرافيا ممزقة فحسب، بـل روحٌ واحـدة تتوق للاسـتقرار، وتبحث عـن فرصة جديدة لكتابة مستقبل أكثر عدلاً وإنسانية.
قـد تكون العتمة كثيفة، لكن الضوء موجود. وهو يبدأ من فكرة واحدة بسيطة:
أن السـودان يسـتحق السلام... وأن أبناءه قادرون على صناعته مهما طال الطريق.

* أكاديمي وباحث مستقل.

رؤى

(الاستهلاك - الطلب) قاطرة (الإنتاج - العرض)

م. حمدي عباس إبراهيم *

● الدراسات التي تهدف إلى تحليل كيفية استغلال منظومة اقتصادية ما، دولة أو شركة أو غير ذلك، لمواردها المادية، غالباً ما يكون التركيز على الجوانب الإنتاجية. غير أن جوانب الاستهلاك والعرض يفترض أن تجد الأولوية والتركيز في التحليل، إذ عليها ينبني اتخاذ القرار بالمضي قدما في العمليات الاستثمارية أو الإنتاجية أم لا. بهذا المفهوم يعتبر الاستهلاك هو القاطرة الفعلية للإنتاج. هنالك عوامل متعددة تؤثر ويتأثر بها كل من الاستهلاك والإنتاج وكذلك العلاقات بينهما.

وهذه العوامل ربما تكون متغيرة من منطقة لأخرى، دولة كانت أو إقليماً أو مجموعة أو غير ذلك حسب الظروف، وأهمها نظام الحكم السائد.

فالاستهلاك هو عملية اقتصادية يتم فيها استخدام عموم المستهلكين السلع والخدمات المنتجه لإشباع رغباتهم واحتياجاتهم بهذا الاستخدام والاستحواذ. أي إنه عملية نقل للسلع والخدمات من السوق إلى المستخدم النهائي وإشباع للحاجات، وهي عملية مستمرة.

أما المستهلك نفسه، فيتم تعريفه بأي شخص طبيعي أو اعتباري يحصل على سلعة أو خدمة للاستخدام. المستهلك يمكن أن يكون نهائياً أو وسيطاً لمرحلة إنتاجية أخرى.

للمستهلك حقوق عبارة عن مبادئ قانونية أو أخلاقية تهدف في مجملها لحماية المستهلك من الممارسات التجارية غير العادلة، إضافة لضمان سلامته وتمكينه من اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن الاستهلاك.

عالمياً الأمم المتحدة صاغت تلك الحقوق في وثائقها؛ واستندت الكثير من دول العالم عليها لصياغة قوانين وإجراءات حماية للمستهلك في بلدانها. من أبرز تلك الحقوق حسب تلك المعايير الدولية:

* السلامة.
* المعرفه بالمعلومات الصحيحة عن أي سلعة أو خدمة.
* حق الاختيار.
* الاستماع للرأي.
* التعويض.
* التثقيف.
* تلبية الحاجات الأساسية.
* بيئة صحية.

لتمكين المستهلك من تلك الحقوق، فقد أنشئت في الكثير من دول العالم جمعيات لحماية المستهلك؛ وهي جمعيات طوعية غير ربحية من أفراد أو مؤسسات المجتمع المدني. ومن أهم أهداف جمعيات حماية المستهلك عالمياً ما يلي:

* الرقابة.
* نشر الوعي الاستهلاكي.
* الدعم والاستشارة.
* الضغط والتأثير.
* التوسط وحل النزاعات.
* الدراسات والأبحاث.

جمعيات حماية المستهلك، إذ هي الذراع المجتمعي المدني غير الرسمي لحماية المستهلك. إضافة لهذه الجمعيات، هنالك الحماية بواسطة الجهات الرسمية في الدولة عبر القوانين والتشريعات المخولة لها ذلك.

بالنسبة للسودان، ففي ذات إطار الاستهلاك والمستهلك ودعمه وحمايته، فقد أنشئت في العام ١٩٩٩م جمعية حماية المستهلك السودانية (SCPA) كمنظمة مجتمع مدنى غير ربحية. أهم أهداف هذه الجمعية كمثيلاتها عالميا:

* توعية المستهلك.
* الرقابة على الأسواق.
* استقبال ومتابعة الشكاوى.
* الضغط والتأثير.
* إصدار التقارير.

مارست الجمعية مهماتها منذ ذلك التاريخ؛ غير أن العديد من التحديات ظلت تواجه جمعية حماية المستهلك السودانية نسبة لعوامل شتى، لكن أساسها حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني، والأزمات السياسية والاقتصادية والأمنية التي ظلت سارية في السودان خلال العقود الثلاثة الماضية أو أكثر.

من أبرز تلك التحديات ونتائجها:

* صعوبة وربما استحالة ممارسة الضغط الفعال في بيئة السودان السياسية السارية حتى تاريخه.

– ضعف الإمكانات المادية واللوجستية عند الجمعية.

*عدم انتشار الجمعية جغرافياً خاصة في المناطق السكنية.

*ضعف الوعي المجتمعي العام (أو تغييبه عن حقوقه).

في تقديري أن أهم التحديات والمصاعب التي تواجه هذه الجمعية، التي نفترض أنها الممثل للمستهلك، فهي قضية وممارسة، بل آفة الاحتكار في القطاع الاقتصادي السوداني.

تاريخياً بدا الاحتكار كمؤثر سالب في اقتصاد السودان عموماً، وعلى الاستهلاك خصوصاً في العهد العسكري الثاني، بتأميم نميري الكثير من الشركات الخاصة الأجنبية والسودانية. فكان بداية احتكار الحكومة السودانية وتوليها وتدخلها المباشر في العمليات الإنتاجية دون خبرة أو رقابة أو محاسبة. واستمر ذات الحال والممارسة الخاطئة في العهد العسكري والشمولي الثالث (الترابي/ البشير)، وذلك بما تمت تسميته بالخصخصة، وما زال مستمراً في النظام العسكري الرابع (البرهان). وكان الأثر ذات نتيجة التأميم النميري إن لم يكن أسوأ. ففي حالة الخصخصة بجانب إسناد الأمر في تلك المؤسسات المخصخصة لجهات حكومية لا صلة لها بها وبمهامها وخبراتها من بعيد أو قريب، أسند البعض منها أيضاً لشركات خاصة طفيلية جديدة وموالية للنظام، استحدثت فقط لهذه العملية الاحتكارية المدمرة. الخاسر الأول والأساسي في الاحتكار هو عموم الاقتصاد إنتاجاً واستهلاكا. أما المستهلك السوداني البسيط، على وجه الخصوص، فهو الخاسر الأكبر بالضرورة.

الاحتكار يمنح المحتكر قوة وسيطرة كاملة على السوق في مجال احتكاره. الأمر الذي يؤدي للتالي:

* ارتفاع اصطناعي للأسعار لتحقيق أرباح فاحشة للمحتكر.
* انخفاض القوة الشرائية لدى المستهلك.
* انخفاض جودة السلع والخدمات.
* تقليل خيارات المستهلك.
* عدم تحفيز للمنتج في الابتكار والتطوير.
* إغلاق أبواب المنافسة العادلة.

أما الجهات الحكومية ذات الصلة بالعمل الرقابي، الذي يفترض أن يحمي حقوق المستهلك، فهي:

وزارة الصناعة والتجارة.
الهيئة السودانية للمواصفات والمقاييس.
وزارة الصحة الاتحادية.
وزارة الزراعة والموارد الطبيعية.
وزارة الثروة الحيوانية.

أما القوانين التي تستند عليها تلك المؤسسات فهي قانون تنظيم التجارة لسنة ٢٠٢١م. وهو أحدث القوانين في هذا الشأن. يحتوي على باب لحماية المستهلك يحتوي على:

– مكافحة الغش والتدليس.
منع الاحتكار.
الشفافية والإعلان.
العقوبات.
قانون السلامة الغذائية لسنة ٢٠٠٨م.
قانون الصحة لسنة ٢٠٠٩م.
قانون المعايير والمقاييس.

رغم وجود تلك القوانين، وبغض النظر عن شموليتها وفعاليتها، فإن المشكلة الأساسية هي عدم التطبيق الفعال والعادل على الكل دون استثناء. كذلك من المشكلات الواضحة في التطبيق، عدم التنسيق بين هذه الأجهزة الحكومية، بل هناك الكثير من التشاكس والتداخل الضار بالمستهلك، بين هذه المؤسسات. ويبدو أن جنوح بعض تلك المؤسسات الحكومية واهتمامها بأمر الإيرادات أكثر من الجانب الأساسي المهني هو السبب. ونشير في هذا الصدد إلى أن الكثير من المنتجات الزراعية من خضر وفاكهة غالباً ما تستهلك طازجة، الأمر الذي يستوجب أن تكون الحماية والرقابة في مراحل الإنتاج والحصاد، ثم بعد ذلك في مراحل التسويق شاملة الترحيل والتخزين والتصنيع والصادر. كما أن هذه الرقابة والتدابير بشأن السلامة في الحقل، لها أثر على التكلفة، وهو أمر مهم للمستهلك والمصدّر والمنتج على السواء.

خلاصة الأمر، أن قضايا الاستهلاك والمستهلك وحقوقه

التاريخية الأصيلة، إضافة لأهميتها للاقتصاد الكلي عامة والإنتاج والعرض خاصة، تستوجب وقفات ومراجعات جادة وصادقة وأمينة تشمل ما يلي:-

١- مراجعة بعض القوانين المتصلة بالاستهلاك والرقابة، وإزالة التقاطعات بين بعضها.

١- إصدار قانون صارم بمنع كافة أنواع الممارسات الاحتكارية؛ خاصة من المؤسسات الحكومية مدنية أو عسكرية.

٢- التنسيق بين المؤسسات المختصة في مراحل تطبيق القوانين المعنية ميدانيا.

٣- زيادة جرعات الوعي وسط المستهلكين، وتمكينهم من معرفة حقوقهم، والتمسك بتمكينهم منها.

٤- إزالة كافة المعوقات أمام جمعيات حماية المستهلك كجسم مدني طوعي.

٥- ضرورة الانتشار الجغرافي لجمعيات حماية المستهلك، خاصة في الأحياء السكنية الشعبية.

٦- الاستقلال السياسي والمهني الكامل، إدارياً ومالياً لجمعيات حمايةالمستهلك.

٧- ديمقراطية اختيار القيادات الأمينة والفاعلة والمؤهلة في اللجان التنفيذية لجمعيات حماية المستهلك من القاعدة للقمة.

* مستشار اقتصاد زراعي.

تحول زراعي

ضرورة استئناف العمل في مشروع الاستراتيجية الوطنية للتحول الزراعي

د. عبدالمنعم علي قسم السيد *

● خلال فترة نظام الإنقاذ التي امتدت ثلاثة عقود، تعرّض القطاع الزراعي في السودان لإهمال متعمّد، رافقه تخريب ممنهج للمشروعات الزراعية القومية واسعة النطاق المملوكة للدولة، إضافة إلى غياب الدعم لصغار المزارعين في القطاع التقليدي، وضعف تخصيص الموارد المالية للقطاع، حيث لم تتجاوز نسبة الإنفاق العام الداعم للقطاع ٣٪ من الموازنات القومية السنوية، فضلاً عن غياب سياسة واضحة واستراتيجية شاملة تعزّزان تطوير القطاع وزيادة مساهمته في النمو الاقتصادي.

في أعقاب سقوط النظام، تمكّنت وزارة الزراعة والغابات، بالتعاون مع مكتب منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) في السودان، من تنظيم المؤتمر الزراعي القومي الشامل، الذي عُقد خلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ مارس ٢٠٢١ بعد عدة أشهر من التحضير.

وكما كان مخططاً، جاءت مناقشات وتوصيات المؤتمر لتشكّل قاعدة متينة لإعداد وتنفيذ الإصلاحات المطلوبة للقطاع الزراعي؛ حيث كانت التوصية الأساسية للمؤتمر إعداد الاستراتيجية القومية للتحول الزراعي، مع الأخذ في الاعتبار الجهود السابقة في هذا المجال.

وبعد انتهاء المؤتمر، بدأت التحضيرات للشروع في أنشطة إعداد الاستراتيجية. وقد نفذت المهمة الأولى من المكتب الإقليمي للفاو للشرق الأدنى وشمال أفريقيا (RNE) خلال الفترة من ١٨ سبتمبر إلى ٢ أكتوبر ٢٠٢١، وكان هدفها الرئيسي إجراء المشاورات، ورفع الوعي، وجمع ومراجعة الوثائق والآراء المتاحة، وتنظيم الفريق الوطني المعني بإعداد استراتيجية التحول الزراعي في السودان (SATS). ولتحقيق ذلك، نفذ برنامج مكثف من الاجتماعات مع مختلف أصحاب المصلحة وتم توثيق نتائجه. وفي هذا الإطار، قامت بعثة منظمة الفاو المكلفة بتسهيل إعداد استراتيجية التحول الزراعي بالاجتماع مع كل الجهات ذات العلاقة، والتي شملت:

– ممثل منظمة الأغذية والزراعة في السودان.
– وكيل وزير الزراعة والغابات.
– مديري الإدارات بوزارة الزراعة والغابات الفدرالية.
– البعثة المكلفة بإنشاء وكالة تحول الزراعة والثروة الحيوانية بالسودان.
– وكلاء وزارات الطاقة والنفط والثروة الحيوانية والري والموارد الطبيعية والصناعة والتجارة والمالية والتخطيط الاقتصادي.
– الأمين العام للمجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية.
– مدير عام وباحثي مركز أبحاث الأغذية.
– مدير عام البنك الزراعي السوداني.
– الأمانة الفنية لسكرتارية الأمن الغذائي.
– منتدى البحوث الاقتصادية.
– الفريق الفني لمشروع الاستراتيجية.
– مديري وزارات الزراعة بالولايات.
– المنظمات الإقليمية والدولية العاملة في السودان (الاتحاد الأوروبي، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، برنامج الأغذية العالمي).
– محافظ ورئيس مجلس إدارة مشروع الجزيرة.
– الغرفة الزراعية لاتحاد رجال الأعمال.
– ممثلي اتحاد مزارعي الزراعة الآلية (القطاع المطري).

ولقد نجح فريق الفاو المكلف بتسهيل إعداد الاستراتيجية في مهمته الأولى في تعزيز الوعي، وبناء الزخم والملكية لدى أصحاب المصلحة في سلسلة الإمداد الغذائي. كما أبرزت الاجتماعات العديدة التي عقدها الفريق الطبيعة التشاركية والشاملة لعملية إعداد الاستراتيجية، وهو ما كان موضع تقدير كبير من الجهات المختلفة، خاصة مديري الزراعة بالولايات.

ولقد تمكن الفريق من جمع معلومات وبيانات مهمة تساعد في تحليل الوضع الراهن للقطاع الزراعي، بما في ذلك التحديات والفرص والرؤى المستقبلية. كما تم تشكيل الفريق الفني الأساسي وتحديد مسؤولياته وتوجيهه، إضافة إلى وضع الخطوات التالية لإعداد النسخة الصفرية من الاستراتيجية، بما يشمل إعداد أوراق خلفية لاستكمال قاعدة بيانات إعداد الاستراتيجية، وزيارات ميدانية للولايات وورش تشاورية.

ولقد اختتمت المهمة الأولى للفريق بتحقيق كامل أهدافها، مع التأكيد على ضرورة إدارة التوقعات، وتوضيح نطاق الاستراتيجية، وتعزيز القيادة المؤسسية لعملية التطوير. كما شددت على أهمية

اتباع نهج النظم الزراعية والغذائية عوضاً عن التركيز فقط على الإنتاج الزراعي الذي يتجاهل النظر إلى بناء سلاسل الإمداد الغذائي وسلاسل القيمة للمنتجات، وكذلك العمل على تعزيز التكامل بين الوزارات، وإشراك جميع الأطراف في العملية لضمان فعالية التنفيذ.

ولقد تزامنت مع جهود منظمة الفاو لتسهيل إعداد الاستراتيجية القومية للتحول الزراعي جهود أخرى من قبل مكتب رئيس الوزراء الانتقالي، لإنشاء وكالة للتحول الزراعي والحيواني بالسودان في أكتوبر ٢٠٢١م، كجهاز محوري تعمل بشكل مستقل تحت إشراف رئيس مجلس الوزراء، وبالتنسيق مع الوزارات ذات العلاقة، وفقا للتجربة الأثيوبية في مجال التحول الزراعي، حيث تعمل كهيئة تنسيقية وفكرية لتحديد الفجوات وسدها، حيث ينصب التركيز الرئيسي على تحفيز وتسريع وتنفيذ التحول الزراعي من خلال الابتكارات، وتقديم الحلول على أرض الواقع، وأفضل الممارسات في إدارة المشاريع وتنفيذها. وفي هذا السياق، تم تحديد خمس أولويات للوكالة (وصفت بالثمار الدانية): الوصول إلى التمويل؛ الوصول إلى خدمات الإرشاد الزراعي؛ والحصول على البذور المحسنة؛ والحصول على اللقاحات الحيوانية؛ والحصول على الطاقة الشمسية لأغراض الري للمشاريع الصغيرة.

وبعد أن كادت هذه الجهود الكبيرة أن تؤتي أكلها بإصدار النسخة الصفرية للاستراتيجية للتحول الزراعي، فقد توقف العمل في إعدادها عقب الانقلاب العسكري الذي تم على الحكومة الانتقالية المدنية في ٢٥ أكتوبر ٢٠٢١م بقرار من مكتب منظمة الفاو بالسودان، في انتظار أن ينجلي غبار التغيير الذي طرأ على برنامج الحكومة، والذي للأسف تفاقم أمره حتى انتهى إلى الحرب التي اشتعلت في ١٥ أبريل ٢٠٢٣م، وقضت على ما تبقى من موارد القطاع الزراعي، لا سيما القطاع المروي الذي يمثل العمود الفقري للزراعة السودانية، والرافعة الأساسية للاقتصاد الوطني.

لذلك فإن استعادة العمل في استكمال برامج مشروع استراتيجية التحول الزراعي، يعتبر أولوية وطنية قصوى بعد وقف الحرب، واستئناف مسار الانتقال إلى الحكم المدني الديمقراطي.

* المستشار الوطني لاستراتيجية التحول الزراعي المستدام SATS.

زاوية كاملة

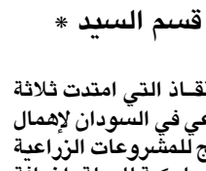

حرب الموانئ: السودان بين الطموحات الإقليمية والنار الداخلية

محمد سنهوري الفكي الأمين *

● في عالم تتشابك فيه المصالح وتتقاطع فيه طرق التجارة، لم تعد الموانئ مجرد بوابات لعبور البضائع، بل تحولت إلى أدوات قوة تعيد رسم خرائط النفوذ، ومع احتدام الصراع الإقليمي والدولي على الممرات البحرية، يجد السودان نفسه في قلب هذه المعادلة المعقدة، إذ تتداخل طموحات القوى الخارجية مع نيران الحرب الداخلية، وتصبح موانئه جزءاً من صراع أكبر يتجاوز حدوده الجغرافية إلى فضاءات أوسع تشهد تحولات عميقة.

البحر الأحمر الذي يحتل موقعاً استراتيجياً محورياً في حركة الملاحة العالمية، أصبح مجالاً مفتوحاً لتنافس إقليمي مشتعل، من الخليج إلى القرن الأفريقي، ومن شرق المتوسط إلى المحيط الهندي. وفي هذا الإقليم شديد الحساسية، يبرز السودان بسواحله الطويلة وموانئه المهمة بوصفه نقطة ارتكاز في شبكة التجارة البحرية، ما يمنح أراضيه أهمية تتجاوز الاقتصاد إلى تأثيرات سياسية وأمنية تنعكس بوضوح على مجريات الحرب التي تعصف به اليوم.

ميناء بورتسودان يمثل المثال الأبرز على ذلك، فهذا الميناء الذي لطالما شكّل شريان السودان التجاري الأول، تحوّل منذ اندلاع الحرب إلى مركز الإدارة الحكومية ومقر عبور الإمدادات والحركة الاقتصادية، هذا الموقع المضاعف جعله هدفاً في حسابات القوى الإقليمية، التي ترى في السيطرة عليه، أو ضمان النفوذ داخله، مدخلاً لترسيخ حضورها في البحر الأحمر، خاصة مع التزاحم الدولي المتزايد على خطوط الملاحة البديلة.

ومع تعطل الموانئ في بعض دول الجوار، وتراجع دور مرافئ محورية مثل اللاذقية وبيروت، ازدادت أهميته بوصفه محطة لا غنى عنها في شبكات النقل البحري.

ويمثل ميناء أبو عمامة بدوره نموذجاً آخر لهذا التداخل بين الاستثمار والمنافسة، فالمشروع الذي طرح كفرصة اقتصادية، تحول إلى محور نقاش واسع حول امتدادات النفوذ الخارجي، خصوصا في ظل الحضور الإماراتي المتنامي في موانئ القرن الأفريقي، ارتباط المشروع بخطط تسعى إلى إنشاء شبكة موانئ تمتد من إريتريا إلى الصومال أعاد تسليط الضوء على موقع السودان في خريطة الصراع البحري، وتحوّل الجدل حول المشروع إلى مؤشر على كيفية قراءة الموانئ السودانية ضمن سياق إقليمي أكبر، تتداخل فيه الحاجة إلى الاستثمار مع حساسية السيادة الوطنية.

ولا يمكن فصل ما يجري في السودان عن التحولات العالمية في الممرات البحرية. فالمشاريع العملاقة مثل الممر الاقتصادي الصيني الباكستاني، وميناء جوادار، ومبادرة الحزام والطريق، كلها تسهم في تغيير خريطة التجارة الدولية، ما يجعل البحر الأحمر محوراً أساسياً لهذه المنافسة. وعلى الجانب الآخر، تسعى أطراف إقليمية إلى تسويق بدائل مثل خط حيفا – الخليج، الذي يهدف إلى تغيير مسارات التجارة نحو شرق المتوسط. هذا الصراع الهادئ في ظاهره، يلقي بظلاله على السودان، الذي بات موقعه جزءاً من حسابات قوى كبرى تبحث عن موطئ قدم على بوابات البحر.

وتزداد خطورة هذا التنافس حين يمتزج بواقع الحرب السودانية. فالموانئ تتحول إلى أوراق قوة في ميزان الصراع الداخلي، ومن يسيطر عليها يمتلك القدرة على الحركة والتفاوض وتعزيز موقعه سياسياً وعسكرياً.

وفي المقابل، ترى القوى الإقليمية والدولية في هشاشة الوضع السوداني فرصة للتأثير في مسار الأحداث عبر بوابة الموانئ، بما يضمن مصالحها الاستراتيجية في المدى البعيد.

وهكذا يجد السودان نفسه أمام معركة تتجاوز حدوده، حيث يصبح مستقبل الدولة مرتبطاً بقدرتها على حماية موانئها، وضمان استقلال قرارها البحري. فحين تتقاطع طموحات الخارج مع نار الداخل، تتحول الموانئ إلى مفاتيح تحدد مسار الأزمة وفرص الخروج منها، في زمن تتغير فيه خرائط البحر كما تتغير خرائط البر.

* باحث وكاتب سوداني.

من بعيد

هل يلغي تصريح روبيو، مهمة بولس..!

نشأت الإمام *

● من المهم قبل الدخول في عمق المشهد أن نفصل بين ما هو قراءة متسرّعة وما هو تغيير فعلي في هندسة القرار الأميركي. فالتصريح الذي أدلى به وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو، بأن الرئيس «يتولى شخصياً» ملف السودان، رغم قراءته من البعض باعتباره إنهاءً لمهمة المبعوث مسعد بولس، لا يحمل في جوهره إقالة واضحة، ولا إعلاناً رسمياً لإبعاده. بل يعكس ـ في سياق أوسع ـ رغبة الإدارة الأميركية في الانتقال بملف السودان من مستوى المعالجة التقليدية إلى مستوى القيادة السياسية العليا، بما يعني أن الملف بات يخضع لتوجيه مباشر من البيت الأبيض، فيما يبقى دور بولس قائماً ولكن دون استقلالية القرار التي ارتبطت بالمبعوثين عادة، وهو ما يُقرأ كتحجيم لدوره وليس إنهاءه بالكامل.

هذا التوضيح ضروري، لأن كثيراً من التحليلات خلطت بين تراجع مستوى الاستقلالية وبين اختفاء الدور. في الواقع، ما يحدث هو تحويل مركز الثقل السياسي، فالرئيس يقود، والوزير يصرّح، والمبعوث ينفّذ. مع ذلك، فهذه الإشارة السياسية أحدثت ارتباكاً لدى بعض الأطراف السودانية التي كانت تنظر إلى بولس كشخصية خلافية، خصوصاً لدى قيادة الجيش، ما يجعل إبقاؤه في الواجهة أو تقليص دوره جزءاً من حسابات واشنطن لإعادة ضبط علاقتها مع الأطراف المتصارعة.

من هذه النقطة يبدأ التحول الحقيقي في المقاربة الأميركية. فإعلان الاهتمام الرئاسي ليس مجرد رسالة دبلوماسية عابرة، بل تعبير عن مخاوف جيوسياسية متزايدة، أبرزها الحديث المتصاعد عن قاعدة روسية على البحر الأحمر. هذا التطور بالذات، إن صحّت ملامحه، يمثل تهديداً مباشراً للمصالح الأميركية، ويحوّل السودان من ساحة نزاع داخلية إلى ملف تنافس دولي عالي الحساسية. لذلك يمكن القول إن اللحظة التي خرج فيها تصريح الوزير ليست صدفة، بل جاءت كتأكيد أن واشنطن لن تسمح لفراغ الحرب بأن يتحول إلى بوابة نفوذ دائم لموسكو في واحد من أهم الممرات البحرية العالمية.

وفي ظل هذا التحول، يصبح مفهوماً أن واشنطن أعادت فرض حضورها السياسي عبر بوابة «الاهتمام الرئاسي». فالسودان بالنسبة لها لم يعد أزمة بعيدة يمكن إدارتها عبر مبعوث خارجي، بل قضية أمن إقليمي تتقاطع مع صراع النفوذ العالمي. ومن هنا اكتسبت التحركات الأخيرة زخماً إضافياً، خاصة بعد زيارة ولي العهد السعودي إلى الولايات المتحدة، وما تبعها من تنسيق إقليمي أوسع يُعيد للرباعية (أميركا، السعودية، الإمارات، ومصر) دورها كمنصة أساسية لفرض وقف إطلاق النار، ودفع الأطراف نحو مسار سياسي إلزامي لا اختياري.

الدور الإقليمي أعطى دفعة قوية للجهود الأميركية، لكنه أيضاً وضع واشنطن أمام اختبار عملي: هل تستطيع تحويل هذا الإجماع الإقليمي إلى مسار تفاوضي فعلي، في وقت تتداخل فيه الحسابات العسكرية للأطراف السودانية مع حسابات النفوذ الدولي؟ المسار ما زال غامضاً، فالمؤشرات الميدانية لا تدل على استعداد كامل من الطرفين للتنازل، وحتى عندما تُطرح هدنة إنسانية «غير مشروطة»، تبقى قابلة للانهيار عند أول اشتباك.

ومع ذلك، فإنّ واشنطن – بقيادة مباشرة من الرئيس – تراهن على أن اللحظة الراهنة قد تكون الفرصة الأخيرة قبل أن تُقفل النافذة الدبلوماسية، سواء بسبب توسع النفوذ الروسي، أو بسبب انقسام أعمق داخل السودان. لذلك يتقاطع خطابها اليوم بين التحذير والضغط والتلويح بالعقوبات، وبين السعي إلى فرض إطار سياسي جديد يعيد السودان إلى المدار الإقليمي والدولي بعيداً عن محاور الحرب.

في المشهد العام، السودان يقف اليوم عند منعطف حاسم. المبعوث لم يُلغَ، لكن دوره تغيّر. والبيت الأبيض لم يضخّم اهتمامه عبثاً، بل لحماية توازنات إقليمية ودولية تهتز تحت وقع حرب طويلة. أما الأطراف السودانية، فهي بين اختبارين: إما التقاط اللحظة السياسية الجديدة والانخراط في مسار ينهي النزاع، أو الاستمرار في حرب قد تُدخِل البلاد في محور دولي لا تسمح به موازين القوى الحالية.

الأسابيع القادمة ستكشف ما إذا كان هذا التصعيد في الاهتمام الأميركي سيترجم إلى اختراق سياسي حقيقي، أم سيظل مجرد ضغط دون اتخاذ خطوات واضحة وحاسمة نحو وضع نهاية لمأساة الشعب السوداني، وإيقاف هذه الحرب التي من المرجح إن طال أمدها، أن يمتد تأثيرها على كامل المنطقة.

في كل الأحوال، السودان أمام منعطف جديد، والقرارات التي تُتخذ الآن قد ترسم مساره لسنوات طويلة مقبلة.

* كاتب صحفي.

ضل المدينة

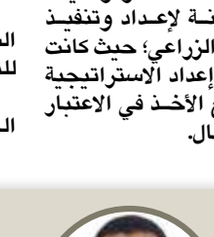

نزف الحروف

العجب عبدالكريم العجب *

● لما أرهقني الوضع المزري في وطني، غلبتني الحروف في كتابة مقال بوصف الحال والمآل، فآثرت أن أبوح بما أعاني لصديق عودته على الانديا لغة في نقل حوارات المدينة في ضلها الذي أمسى منبراً لكل قول حر، ومتنفس لمكنونات إنسان مدينتنا الإنسان ودمدني منبع الثقافة والفن والرياضة، ومؤتمر الخريجين مفرخ الساسة والسياسيين.

فكان هذا الضل بوحاً حين عنت، فإلى ما جادت به ذخيرة المفردة.

«السلام عليكم ورحمة الله..

بتكون ماخذ في خاطرك مني، لكن يا صديقي وأخي الغالي، أنا أمرّ بظرف قلما يوصف بأنه قاس، مما يعني أنني بالكاد أستطيع في بعض الأحيان التصفح، وفي معظمها أكتفي بالرد على المكالمات على قلتها..

إنني أعمل في عمل ياخد مني جهداً بدنياً يهدر كل أعمال العقل، ويوفر لي رهقاً يساعدني على النوم لأقوم وأواصل بذات الإيقاع الرتيب نفس برنامج الغد بكل تعب وكد، حتى ينعم الأبناء بوجبة تعينهم، ومصروف يوصلهم إلى فصول الدراسة وهكذا دواليك.

فهل هناك مساحة للتأمل أو إبداء رأي يعين في رحلة الحياة لغيري؟ وأنا لعمري في أشد الحاجة لفكرة تخرجني من هذه الدوامة التي لا أدعي على من جعلونا ندور في فلكها بغير هدى وغير أمل ليس (أمل) كامل إدريس، ولا (هدى عربي)، لا أدعي عليهم لكن أدعو لهم بأن يهديهم الله ألا يشقوا على عباده حتى لا يشاق عليهم كما جاء في الحديث الصحيح..

أخي تعلم شغفي وولعي بالقراءة والتأمل، وتحويل ذلك إلى لغة لا أدعي إجادتها، لكن تعجب من هم حولي وأنت أولهم وأنا كذلك عندما أرجع لما أكتب أجد فيه ما لم أكن أراه حين كتابته.. لكن واااااه من لكن التي قال فيها أهل اللغة إنها تجب ما بعدها.

في هذه المرحلة التي نعيشها، وتلك الدوامة من الرهق والمعاناة التي نبحر فيها، تعمى الأبصار عن التأمل، والبصائر عن تدوين الأفكار وتدويرها للخروج بما ينفع ويفيد.

أخي هي خطوط عريضة لحياة موظف مع وقف التنفيذ، يحيا في وطنه الذي يعشق ومدينته التي أنجبته وأرضعته حليب الإنسانية ومعاني الخير والجمال، لم يبرحها إمعاناً في مبادلتها الوفاء الذي محته الحرب من دفاتر وأدمغة أهلها الغرباء منهم والأقربون..

لم أسرد ما أعيش تفصيلاً حتى لا يأتي في صياغ التسول أو فهم الاتكال، لكن أوردته ضمناً لقناعتي بعلو مكانة فهمك، ويقيني أن المقصد عندي سوف يصلك كما أود..

عزيزي الغالي، كن دوما كما عودتنا قبساً من نور، وسارية تلهمنا كل ما هو جميل ونبيل.

مع أكيد ودي ووادي الذي تعلم.

وإلى لقاء في براحات ضل أرحب.

* كاتب صحفي.

VOICE of sudanese community

صوت السودانيين بدول المهجر - أسبوعية - مستقلة

رئيس التحرير
الناجي صالح
Editor In Chief : Elnagi Salih

VOICE - WEEKLY INDEPENDENT NEWSPAPER

أول صحيفة سودانية إلكترونية تصدر من لندن

نائب رئيس التحرير
الشيخ أحمد الشيخ

مستشار التحرير
محمد المهدي الأمين

عمليات التصميم والإخراج
VISION Creative Media Group

للإعلان thesdvoiceads@gmail.com

الآراء الواردة في الصحيفة وأعمدة الرأي لاتعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة او موقفها

المراسلات باسم رئيس التحرير :
thesdvoiceditor@gmail.com

للاشتراك في مجموعات الواتساب امسح الكود

نحو غد مشرق

الهجرة غير الشرعية.. قراءة قانونية في الأسباب والمسؤوليات والحلول

د. حاتم محمود عبدالرازق *

● تُمثّل الهجرة غير الشرعية واحدة من أكثر القضايا تعقيدًا في العصر الحديث، إذ تتداخل فيها العوامل الاقتصادية والسياسية والأمنية، كما تعكس خللًا عميقًا في موازين التنمية بين دول الجنوب والدول الغنية. وتستدعي الظاهرة نقاشًا موضوعيًا بعيدًا عن الخطابات السياسية المتشنجة، بما في ذلك التصريحات المثيرة للجدل التي صدرت عن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بشأن دول الجنوب. فالمسألة أكبر من توصيفات سياسية، وتتعلق ببنية دولية كاملة، أسهمت - بصورة مباشرة وغير مباشرة - في نشوء دوافع الهجرة.

يهدف هذا المقال إلى تقديم معالجة قانونية مبسّطة للظاهرة، وتوضيح مسؤوليات الدول الغنية، وبيان واقع السودان كدولة عبور، مع استعراض الجهود الوطنية والدولية في المكافحة.

أولًا: الإطار القانوني للهجرة غير الشرعية:

تعني الهجرة غير الشرعية عبور الحدود الدولية دون استيفاء الشروط النظامية أو الإقامة في دولة ما دون سند قانوني. ويشترط القانون الدولي التمييز بين:

المهاجر غير الشرعي،

طالب اللجوء،

اللاجئ الخاضع لحماية اتفاقية ١٩٥١.

هذا التمييز ضروري لتحديد الالتزامات القانونية للدول، وضمان عدم تعرّض الأشخاص للإعادة القسرية أو الاحتجاز المخالف للقانون

ثانيًا: الجذور التاريخية ودور الدول الغنية

لا يمكن فهم الهجرة غير الشرعية بمعزل عن تراكمات تاريخية وسياسية عميقة. ومن أبرز أسباب تفاقمها:

١. الإرث الاستعماري الذي ترك مؤسسات ضعيفة واقتصادات ريعية هشة.

٢. التدخلات الدولية التي غذّت النزاعات المسلحة، وخلقت بؤر توتر دائمة.

٣. دعم أنظمة قمعية أو فاسدة، مما أدى إلى ضعف التنمية وانعدام الثقة.

٤. تسليح مليشيات وجماعات متفرقة بصورة مباشرة أو عبر أطراف وسيطة، مما أسهم في تعطيل التنمية وجرّ المدنيين نحو الهجرة.

وبذلك تتحمّل الدول الغنية مسؤولية أخلاقية وتاريخية في تهيئة بيئة مستقرة وتنموية للدول الفقيرة، باعتبار أن جزءًا كبيرًا من معاناتها هو نتيجة سياسات خارجية قديمة وحديثة.

ثالثًا: مسؤوليات الدول الغنية في دعم الاستقرار والتنمية:

١. وقف دعم الصراعات والجماعات المزعزعة للأمن

على الدول الكبرى وقف أي تمويل مباشر أو غير مباشر للجماعات المسلحة أو الأنظمة القمعية، لأنها عوامل تدفع الملايين نحو الهجرة بحثا عن الأمان.

٢. تنمية حقيقية وليست شكلية

لا يكفي الحديث عن التنمية كشعار، بل يجب أن تكون مشاريع واقعية ومباشرة الأثر، تشمل

الاستثمار في المشاريع الإنتاجية،

دعم برامج التعليم والتدريب المهني،

خلق فرص عمل مستدامة،

تعزيز القدرات المؤسسية للدول الضعيفة.

وهنا تبرز نقطة جوهرية برأيي أن الدول الغنية تنفق سنويًا مبالغ طائلة على بناء الأسوار الحدودية، وتعزيز الرقابة على السواحل والحدود لكبح الهجرة غير الشرعية. ولو جرى توجيه جزء يسير من هذه المبالغ نحو إنشاء مشاريع تنمية حقيقية في الدول الفقيرة، لأسهم ذلك بصورة مباشرة في تحسين مستوى المعيشة، وبالتالي معالجة الأسباب الجذرية التي تدفع الشباب للهجرة.

إن التنمية الفعلية أقل تكلفة، وأطول أثرًا، وأكثر إنسانية من أي جدار حدودي أو منظومة مراقبة مهما بلغت دقتها.

٣. مراقبة ميزانيات المنظمات الدولية

تضيع نسبة كبيرة من التمويل المخصص للهجرة والتنمية في المصروفات التشغيلية والتنقّل والبدلات، بينما يصل القليل فقط إلى المستفيدين.

لذلك يجب:

إخضاع ميزانيات المنظمات لرقابة صارمة.

التأكد من أن التمويل يُنفق في الميدان.

ربط التمويل بمؤشرات قياس واضحة.

٤. استهداف «الكبار» في شبكات التهريب

غالبًا ما تركز الحملات الأمنية على صغار المتورطين، بينما تنجو القيادات الحقيقية للشبكات عبر علاقات دولية معقدة.

ومن هنا تأتي الحاجة إلى:

تعاون أمني واستخباري عابر للحدود.

ملاحقة الرؤوس الكبيرة.

تجفيف مصادر التمويل وغسيل الأموال.

رابعًا: السودان في خريطة الهجرة غير الشرعية:

يُعد السودان بحكم موقعه الجغرافي دولة عبور رئيسية بين القرن الأفريقي وشمال أفريقيا. وقد ترتب على ذلك:

ضغوط أمنية على الحدود الممتدة،

ارتفاع نشاط شبكات التهريب،

تحديات إنسانية للمهاجرين،

أعباء اقتصادية وخدمية على الدولة.

ويتطلب هذا الواقع تعاونًا دوليًا أكبر مع السودان، ودعمًا اقتصاديًا وأمنيًا يساعده على إدارة الظاهرة بصورة لا تُثقل موارده المحدودة

خامسًا: جهود السودان والمجتمع الدولي في مكافحة الهجرة غير الشرعية

١. الجهود الوطنية داخل السودان

بذل السودان خلال السنوات الماضية جهودًا متعددة، منها:

عقد مؤتمرات وطنية وإقليمية للتوعية بمخاطر الهجرة وبحث الحلول.

تشكيل لجنة عليا مختصة بملف الهجرة غير الشرعية، تضم جهات أمنية وقانونية وفنية.

إنشاء مركز عمليات للهجرة، يُعنى بجمع المعلومات عن الجماعات والشبكات الضالعة في التهريب، وتحليلها وتقديمها لجهات المكافحة.

هذه الإجراءات عززت القدرة الوطنية على تتبع الشبكات العابرة للحدود، وإحباط العديد من عمليات التهريب.

٢. مبادرة القرن الأفريقي (Khartoum Process)

تعد مبادرة القرن الأفريقي واحدة من أهم المبادرات الإقليمية التي سعت إلى:

تنسيق الجهود بين دول المصدر والمعبر والمقصد،

تبادل المعلومات،

وتعزيز قدرات الدول في إدارة الحدود.

دعم برامج التنمية الموجهة للشباب.

وقد شارك السودان في هذه المبادرة بفعالية، باعتباره من أهم دول العبور في المنطقة.

٣. الجهود الدولية

عمل المجتمع الدولي على:

تمويل مشاريع لمكافحة الهجرة.

دعم قدرات الدول الحدودية.

عقد مؤتمرات دولية وإقليمية.

تعزيز التعاون الاستخباري.

ومع ذلك، لا تزال هناك فجوة بين حجم التمويل وحجم النتائج، بسبب سوء التوزيع، وضعف الرقابة، وغياب المشاريع ذات الأثر المباشر.

سادسًا: الحلول المقترحة

١. معالجة جذور الفقر والنزاعات في دول المنشأ

إصلاح اقتصادي حقيقي.

دعم المؤسسات الشرعية.

مكافحة الفساد.

وقف تغذية الحروب والجماعات المسلحة.

٢. دعم دول العبور

تمويل برامج دعم الحدود.

تطوير أنظمة إدارة الهجرة.

تقديم دعم لوجستي وتقني للسودان والدول المشابهة.

٣. استهداف الشبكات الكبرى

بناء قواعد بيانات مشتركة.

إنشاء فرق إقليمية متخصصة.

تبادل معلومات فوري.

٤. إصلاح المنظومات الدولية العاملة في المجال

إخضاع الميزانيات لرقابة دقيقة.

رفع نسب التمويل التي تذهب للميدان.

تقييم دوري لنتائج المشاريع.

٥. تحسين الخطاب السياسي الدولي

النقاش حول الهجرة يجب ألا يُستخدم لتشويه الشعوب أو إثارة الكراهية. بل يجب أن يبقى إطارًا للتعاون الدولي المسؤول.

خاتمة

إنّ الهجرة غير الشرعية تُجسّد اختلالات عميقة في بنية النظام الدولي، ولا يمكن مواجهتها عبر تشييد الجدران أو تشديد الرقابة الأمنية فحسب، لأن هذه الوسائل لا تعالج جذور المشكلة. فالحل الحقيقي يقتضي تنمية شاملة، وتعاونًا دوليًا صادقًا، ووقفًا للصراعات وتمويل الجماعات المتفلتة، إلى جانب دعم الدول الضعيفة وتمكينها من بناء مؤسسات قادرة على توفير الأمن والفرص الاقتصادية. كما يستلزم ملاحقة الشبكات الكبرى العابرة للحدود بآليات مشتركة تُجفف مصادر تمويلها، وتحد من نفوذها. إن حماية الإنسان ومنع المآسي الإنسانية يبدآن من معالجة الأسباب لا الضحايا، ومن بناء نظام عالمي أكثر عدلًا، يتيح للدول الفقيرة فرصة حقيقية للنمو والاستقرار.

* باحث أمني ومستشار قانوني.

أفكار

ورشة ipSchools... خطوة رائدة نحو رقمنة الإدارة المدرسية بمدرسة الصداقة

حسن عبدالرضي الشيخ *

● في ظل التحولات السريعة التي يشهدها العالم في مجالات التعليم الرقمي، وفي وقت باتت فيه كفاءة الإدارة المدرسية مرتبطة بقدرة المؤسسات على مواكبة أدوات التكنولوجيا الحديثة، جاءت ورشة ipSchools بمدرسة الصداقة السودانية بالقاهرة كواحدة من أهم الخطوات العملية نحو بناء مدرسة ذكية تعتمد على البيانات، وتضع المعلم والطالب وولي الأمر في قلب منظومة تعليمية أكثر شفافية وتنظيما

وفي هذا الإطار، نظمت مبادرة تكنولوجيا التعليم بمدرسة الصداقة ورشة تعريفية متقدمة حول نظام الإدارة المدرسية الموحدة (ipSchools)، قدّمها كل من الأستاذ محمد عيسى شريف والدكتورة آمنة بابكر، يوم الخميس ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٥، بمشاركة ٤٠ معلماً ومعلمة من مدرسة الصداقة وعدد من المراكز التعليمية الأخرى في جمهورية مصر العربية

على مدى ساعة كاملة، قدّم فريق المبادرة نموذجاً عملياً لكيف يمكن للتقنية أن تُحدث فرقاً حقيقياً داخل المدرسة، وأن تتحول من مجرد أدوات رقمية إلى منظومة متكاملة قادرة على إعادة ترتيب العملية التعليمية، ومعالجة تحدياتها المزمنة وفق رؤية متجددة وطموح يتجاوز التقليدي.

افتتحت الورشة بعرض موجز لأهداف مبادرة تكنولوجيا التعليم ودورها في قيادة التحول الرقمي بالمؤسسات التعليمية السودانية خارج الوطن. وقد ركز الأستاذ محمد عيسى شريف على أهمية دمج التقنيات الحديثة في المدارس، مؤكداً أن الرقمنة لم تعد خياراً إضافياً، بل ضرورة لتجويد التعليم، وتسهيل الإدارة، وتحسين التواصل بين جميع أطراف العملية التربوية.

وقدّمت الدكتورة آمنة بابكر شرحاً تاريخياً لنشأة نظام ipSchools، موضحةً أنه جاء نتيجة حاجة حقيقية إلى منصة تستطيع معالجة التحديات اليومية في الإدارة، والمتابعة، والتقويم، وتيسير وصول المعلومات. وأوضحت أن نظام ipSchools منصة متكاملة لإدارة المدرسة بذكاء.

استعرض الفريق الأهداف الاستراتيجية للنظام، التي تتمثل في رفع كفاءة الإدارة المدرسية عبر أتمتة معظم الإجراءات الروتينية، ودعم المعلمين بأدوات مرنة وسهلة لإدارة الصفوف والحصص والتقارير، وتمكين الطلاب من متابعة مسارهم التعليمي إلكترونياً بوضوح وتنظيم. وتعزيز دور أولياء الأمور في متابعة أبنائهم بشكل لحظي وشفاف. وربط المدرسة بالوزارات والجهات الرسمية، بما يضمن دقة البيانات وسهولة التقارير. كما تناول العرض قائمة المستفيدين، التي تضم:

وزارة التربية والتعليم – وزارة الصحة – وزارة الرعاية الاجتماعية – الإدارة المدرسية – المعلمين – الطلاب – أولياء الأمور، مما يجعل النظام منظومة تخدم كامل قطاع التعليم وليس المدرسة فقط.

كان العرض عمليا وتقنيا يقترب من المستخدم، إذ قدّم الأستاذ محمد عيسى شريف عرضا مباشرا لواجهة النظام، مستعرضا كيفية الدخول والتنقل بين القوائم الرئيسية. وقد وجد العرض تفاعلاً واسعا من المعلمين، خصوصا بعد تقديم قائمة بالمدارس التي بدأت فعليا في تطبيق النظام، الأمر الذي عزّز ثقة الحضور بجدوى المنظومة وحداثتها.

كانت الأسئلة بنّاءة وكان هناك اهتمام كبير يعكس جاهزية التغيير، إذ شهدت نهاية الورشة نقاشا ثريا، عبّر عن اهتمام حقيقي من المعلمين، ومن أبرز الأسئلة:

هل يمكن للنظام العمل في وضع Offline؟ وما معنى اسم ipSchools؟ وما تكلفة اشتراك المدارس الخاصة؟ وكيف تُدار الامتحانات الإلكترونية؟ وهل يناسب المعلمين محدودي المهارات التقنية؟ وهل يتوفر تدريب خاص لتقديم الحصص الإلكترونية؟ وما مستويات الخصوصية وحماية البيانات؟ وهل النظام مؤمَّن ضد الاختراق وفقدان البيانات؟

وقد قدّم فريق الورشة إجابات شاملة، مؤكدين أن النظام صُمم ليكون بسيطا – آمنا – شاملا – قابلا للتكيّف مع مختلف البيئات المدرسية.

وجد العرض ترحيبا رسميا وقرارات تعكس الثقة. حيث عبّر الدكتور عبدالمحمود النور، في ختام الورشة، عن تقديره لمبادرة تكنولوجيا التعليم وفريق ipSchools والشركة المنفذة. وأعلن أن مدرسة الصداقة السودانية ستبدأ رسميا في تطبيق النظام داخل المدرسة وفي المؤسسات التعليمية المتعاونة معها.

ويُمثل هذا القرار انتقالاً من مرحلة الإعجاب بالفكرة إلى مرحلة تبنّيها وتنفيذها، وهو أبرز مؤشرات نجاح الورشة.

لقد قدّمت ورشة ipSchools نموذجاً متقدماً لما ينبغي أن تكون عليه جهود التحول الرقمي في مؤسساتنا التعليمية. فقد جمعت بين وضوح الرؤية، وتكامل المعلومات، وروح المبادرة، والرغبة الحقيقية في التغيير. وكان التفاعل الكبير من المعلمين دليلا قاطعا على أن البيئة التعليمية باتت أكثر استعدادا لاستقبال الحلول الرقمية، وأن مسار الرقمنة لم يعد مجرد خيار، بل ضرورة عاجلة.

إن تبنّي مدرسة الصداقة النظام يفتح الباب لمرحلة جديدة من التطوير الإداري والتربوي، ويُعد خطوة مهمة نحو بناء نموذج تعليم ذكي يمكن تعميمه في المدارس السودانية داخل مصر وخارجها، ويعكس دور مبادرة تكنولوجيا التعليم في دعم المؤسسات التعليمية وتمكينها من أدوات المستقبل.

* كاتب صحفي.

نقطة ضوء

حين تعود الظلال التي خرجت للحرب إلى داخل المدن

لؤي إسماعيل مجذوب *

● «الحدّ الغربي... حين تظهر طلائع الشبكات في الأسواق قبل أن تظهر على الخرائط»

لم تُفاجئني موجة الشحاذين التي اجتاحت الخرطوم وأم درمان خلال الأسابيع الماضية.

ولم أرَ فيها ظاهرة اجتماعية، ولا نتيجة للفقر، ولا انعكاساً للحرب.

من خبر الميدان، ويقرأ حركة البشر كما يقرأ خريطة نيران، يعرف أن هذه ليست حركة تلقائية... بل عودة منظمة لنفس الكتلة البشرية التي قاتلت مع مليشيا الدعم السريع ثم عادت لتتدس وسط المدنيين.

الذين يقفون اليوم عند الإشارات، ويجوبون الأسواق في مجموعات، هم ذات الوجوه التي كانت أمامنا في ساحات العمليات...

نفس التنظيم، نفس الانضباط الغريب على مجموعات شحاذة، نفس نمط التحرك، ونفس الشبكات التي كانت تُرحِّلهم يومياً إلى داخل المدن قبل الحرب لمهام «الشحاذة - الرصد - المراقبة».

اليوم عادوا، لكن بعد أن أصبحوا أكثر خبرة، وأكثر جرأة، وأكثر ثقة بأن الدولة لا تجرؤ على فتح الملف.

هذا ليس ملفاً اجتماعياً.

هذه عودة قوة بشرية مساندة للمليشيا، تتحرك الآن بلا سلاح لكنها تمتلك القدرة على استخدامه حين يُستدعى الأمر.

ومن يتساءل لماذا نكتب الآن، فليتذكر:

حين ظهرت هذه المجموعات قبل الحرب، ظهرت كشحاذين...

ثم ظهروا كمجموعات استخبارية...

ثم ظهروا كمقاتلين...

ثم ظهروا كجزء من القوة الضاربة للدعم السريع.

واليوم يعودون في المشهد الأول من جديد، وكأنهم يمهدون لمرحلة أخرى.

كل المؤشرات على الأرض تقول إنّ الشبكة التي تدفقت من الغرب لم تتفكك... بل تعيد التموضع داخل الخرطوم.

نفس الأكشاك الجاهزة.

نفس البضائع.

نفس اللغة.

نفس نمط الحركة الجماعية.

نفس الرجال والنساء والأطفال الذين ينتشرون بطريقة أقرب لعمل «الغواصات البشرية» وليس الفقر العادي.

وما يجعل ظهورهم الآن أخطر من أي وقت مضى، أنهم أصبحوا كتلة مؤدلجة، مدربة، وتحمل شعوراً واضحاً بالانتقام.

هذه ليست هجرة.

هذه ليست صدفة.

هذه إعادة انتشار.

وأكرر:

الذي دخل عبر الشريط الغربي طوال عشرين عاماً لم يكن مجرد لاجئ... كان مخزوناً بشرياً يُستخدم ساعة الطلب.

وقد استُخدم.

وإذا استمر الصمت، سيُستخدم مرة أخرى.

نحن في لحظة مفصلية:

إما أن نفتح الملف الآن، أو نتركه يُفتح علينا بعد سنوات حين تكون الكتلة السكانية قد تضاعفت، والتمكين الاقتصادي اكتمل، والغطاء السياسي أصبح جاهزا.

الحل ليس في مطاردة الشحاذين.

ولا في إزالة الأكشاك.

ولا في حملات محلية بلا أسنان.

الحل في:

عملية استخبارية شاملة لفرز هذه المجموعات ورصد شبكات التمويل التي تقف خلفها.

إعادة القوة الحدودية القتالية كصمام أمان دائم للجغرافيا الغربية.

نفض ملف الجنسية، ومسارات الدخول، والوجود الأجنبي داخل العاصمة.

تعامل عملياتي وليس إداري مع شبكات المدن.

أقولها بصراحة:

هذه المجموعات لم تعد تتحرك كأفراد... بل ك كتلة مُسيّرة.

وتركها تنتشر داخل الخرطوم وأم درمان بهذا الشكل هو بمثابة السماح لعدوك بإنشاء نقاط ارتكاز جديدة داخل عمقك.

هذه ليست ظاهرة...

هذه إشارة.

وإشارة تُقرأ جيداً لمن يعرف كيف تبدأ الحروب وكيف تُعاد تعبئة الجبهات من الداخل قبل الخارج.

* ضابط سابق - باحث في شؤون الأمن الوطني والحرب النفسية.

أمة واحدة

وخيرُ جليسٍ في الزمان كتاب

رستم عبدالله *

● يحتلّ الكتاب في حياتنا اليومية أهميةً قصوى ومكانةً عظيمة، ولا يمكن الاستغناء عنه إطلاقا. فهو لا يقل أهمية عن الطعام والشراب؛ بل إنه للأديب والمثقف والصحفي والأكاديمي والباحث والأستاذ والمعلم والطالب غذاءٌ يقتاته، وهواءٌ يتنفسه. وحتى الشخص الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، لا يستطيع مقاومة إغراء الكلمة، وتظل الرغبة مشتعلة في داخله لمعرفة محتوى كتاب ما إذا جذبه غلافه أو سمع عنه، بل قد يطلب من ابنه أو صديقه أن يقرأ له ويطلعه على فحواه.

وإن كان ثراء الناس اليوم يُقاس بما يملكون من مركبات فارهة وأموال وأرصدة وذهب وعقارات، فقد كان ثراء الناس في العصر الممتد من القرن التاسع حتى الثالث عشر الميلادي، يُقاس بما يقتنونه من كتب ومخطوطات. ففي عام ٨٩١م أحصى أحد المسافرين عدد دور الكتب العامة في بغداد فوجدها تزيد عن مائة دار. وإذا كان الجسد يحتاج إلى الطعام لينمو ويقوى، فإن العقل يحتاج إلى الكتاب لينمو وينضج بالقراءة والمطالعة.

ولقد جمع نصير الدين الطوسي لمرصده في مراغة أربعمائة ألف مخطوطة. وكانت مكافأة ابن سينا حين عالج سلطان بخارى وشفاه من مرضه، أن سمح له أن يختار من مكتبة القصر ما يشاء من كتب لدراسته. وكان بعض الأمراء لا يخرج في رحلة إلا ومعه ثلاثون جملاً محمّلة بالكتب. وبلغ من شغف العرب بالكتب، أن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق احتوت في القرن العاشر على أربعين ألف مجلد. وكان لكل مسجد مكتبته، بل إن المستشفيات كانت تحتوي على قاعات فسيحة صُفّت على رفوفها الكتب.

ولأن الكتب لم تكن مطبوعة بل منسوخة يدويًا، فقد بذل النساخ جهدًا مضنيًا يستغرق أشهرًا أو سنوات. فقد تقاضى ابن الهيثم خمسة وسبعين درهمًا لنسخ مجلد من مجلدات إقليدس، عاش منه ستة أشهر. وترك ابن الجزار القيرواني عند وفاته مائتين وخمسين مخطوطا كتبه بيده على رقوق من جلد الغزال. أما الأمير أسامة بن منقذ، فقد قال بعد أن فقد مكتبته التي كانت تضم أربعة آلاف مجلد: «خسارتي لكتبي المتنى أشد من خسارة الأموال، فقدها كان باعث حزني طوال عمري».

وقد أفردت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه فصلا كاملا في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب، للحديث عن عشق العرب للكتب، مثنية على هذا الشغف. ولعل هذا ما جعل العرب يقولون قديمًا: «مجد التاجر في كيسه، ومجد العالم في كراريسه.»

وكان الأديب المصري الراحل رجاء النقاش يحث ابنته ومن حوله على القراءة قائلا: «لو قرأت يوميًا ثلاثين صفحة في ساعة، لقرأت خلال عام ١٠٨٠٠ صفحة، أي ما يعادل ٣٦ كتابًا متوسط الحجم». أما العقاد فكان يرى أن قراءة كتاب جيد ثلاث مرات خير من قراءة عشرة كتب رديئة.

والكتاب صديق وفيّ، يخفف عنك في ساعة الوحدة، وحتى إن هجرك الأصدقاء يبقى هو إلى جانبك. وقد قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

«أنا من بدّل بالكتب الصحابا
لم أجد لي وافيا إلا الكتابا»

وفي العصر الحديث ازدادت أهمية الكتاب، فأُقيمت له معارض، وانتشرت دور النشر، وأنشئت المكتبات العامة والخاصة، بل خصص له يوم عالمي هو ٢٣ إبريل، للاحتفاء بالكتاب وحقوق المؤلف. وفي اليمن، وعديد من الدول العربية ودول العالم، تنظم معارض دولية للكتاب، وتنشأ مكتبات عامة للقراءة وهيئات عامة للكتاب، ورغم زحف التكنولوجيا الحديثة، ظل الكتاب متصدرًا. فما تزال كتب أجاثا كريستي تُباع بمئات الملايين، وتُترجم إلى عشرات اللغات. وتتصدر كتب ستيفن كينغ وكاتلين رولينغ قوائم المبيعات العالمية. وأكبر شاهد على ذلك مكتبة الكونغرس الأمريكية، التي تضم أكثر من مائة مليون مجلد.

بقي أن نشير إلى أن الكتاب اسم أيضًا لأحد أشهر مؤلفات النحو لسيبويه. ولعل أحدًا لا يدرك قيمة الكتاب إلا إذا عرف جوع الجاحظ، الذي كان لا يكاد يحصل على مال إلا وينفقه على الكتب. فقد طلب من أمه طعامًا يومًا، فأحضرت له سفرة مملوءة بالكتب وقالت: «هذا الذي تحضره». وكذلك فعل المفكر الأمريكي بنيامين فرانكلين، الذي كان يحرم نفسه من الطعام ليشتري كتابًا، قائلا: «كنت صغيرًا جائعًا، لكن جوعي للعلم أشد من جوع معدتي».

* كاتب وروائي يمني.

إضاءات

الوحدة الوطنية الحقيقية

أ. د. فكري كباشي الأمين *

● إن الوطن يمثل القاسم المشترك بين جميع مكونات المجتمع السوداني، وينبغي الإجماع على صون وحدته، وحقن دماء كل أبناء شعبه بمختلف توجهاتهم الفكرية والسياسية وظلوا يجلسون على الرصيف والبلد في أمس الحوجة إلى مشاركتهم في بناء الدولة الحديثة، كما أعتقد من الأهمية بمكان لا بدّ من الإجماع الوطني حول القضايا الملحة، المتمثلة في حفظ الأمن والاستقرار بعودة الفارين من جحيم الحرب اللعينة، وكذلك توفير سبل العيش الكريم، وتحقيق التحول الديمقراطي باشتراك جميع القوى الفاعلة في المجتمع.

والحفاظ على وحدة البلد يمثل أهم الأولويات، وذلك بالحفاظ على وحدة وقومية الدولة التي أصبحت في قمة الهشاشة لا تتحمل أية هزات عنيفة، واضعين في الاعتبار التربص الخارجي.

وانتماءاتهم وإثنياتهم ومناطقهم الجغرافية... ولكن تسارع الأحداث وتطورها بيّن أن الوطن تكالبت عليه المحن، وتكاثرت الخطوب، وصار مثخن الجراح، واختلط الحابل بالنابل بعد اندلاع هذه الحرب اللعينة والتي دخلت عامها الثالث... والواجب الأخلاقي والأكاديمي والمهني بعد التعرض للمآسي والأرواح التي أزهقت، والدماء التي أهرقت، والعروض التي انتهكت، والأملاك التي فقدت، كل ذلك يقتضي إعادة تقييم الأمور، والنظر من الزاوية القومية في تشخيص الحال، وتجاوز الذات والانتصار للوطن... وهذا مربط الفرس...

ويجب على القوى الفاعلة في المجتمع السوداني العمل معا في المكونين المدني والعسكري، وأعتقد أنه في السودان يوجد العديد من القوى السياسية الفاعلة والمؤهلة مهنيا وأخلاقيا، والذين هجروا الانتماءات السياسية

* خبير اقتصادي.

المحجة البيضاء

مسلسل الإسلاميين ..متى ينتهي العرض ؟!

د. طارق عبدالله *

● ندرك ان المعادلة السياسية لرئيس مجلس السيادة الفريق اول عبدالفتاح البرهان صعبة ومحاولة ارضاء الداخل والخارج في آن واحدة مهمة عسيرة، لان هناك ثمة تقاطعات في المشهد لا يمكن ارضاء الجميع، لذلك تجده في كل فترة ينتقد طرف ليرضي الآخر على حساب الاول وهذا ما فعله في لقائه لقناتي الحدث والعربية عندما اعلن رفضه مشاركة الإسلاميين في مستقبل الحكم وقد عنى برسالته الخارج لانها تتفق مع المبادرة التي يتحدث عنها البيت الابيض الامريكي ومطالب الامارات التي يصرح بها مستشار الرئيس الاماراتي انور قرقاش ولكن غالبا» ماتكون لرسالته تاثيرها وسط الإسلاميين في وقت لاتزال الحرب دائرة في كردفان ودارفور و الحاجة لتماسك اللحمة الوطنية اكبر من ارضاء المجتمع الدولي، كما ان البوح بها لقناتي العربية والحدث يزيد وميض الانتقاد باعتبار القناتين تخدمان خط الامارات بتبنيهما رؤية الجنجويد مما يعني لا الوقت ولا مكان الحديث ملائم لمثل تلك التصريحات التي لن تفعل سوى خلخلة الداخل.

* كل التجارب السابقة تثبت ان التدخل الخارجي لم يحل مشكلة بل كان مدخلا» لتنفيذ اجندة اجنبية انتهت بنا لفصل جنوب السودان وقالها وزير الخارجية محي الدين سالم في مؤتمر صحفي قبل ايام ماضية موصيا» بعدم الاعتماد على المجتمع الدولي، فالامثلة كثيرة والخطة الفاعلة لمواجهته تقوية الجبهة الداخلية وتوحيد الشعب ويبقى إن دغدغة مشاعر الخارج على حساب الداخل ليست طريقة مثلى للتعامل مع ازمتنا الراهنة و السؤال المهم ..هل الإسلاميين مجموعة قليلة يمكن تجاوزها و(سحقها) ؟..والإجابة معروفة انهم اكثر المجموعات عددا و تنظيما» و تماسكا» وقدرة وبالتالي تجاوزهم امر في غاية الصعوبة ودورهم في معركة الكرامة كبير، لذلك تضغط الدول العدوة لابعادهم ليسهل لها التهام الوطن، إن جر الحكومة لمواجهة الإسلاميين في هذا الوقت العصيب جزءا» من مخطط الغرب للسيطرة على البلاد منذ سقوط حكومة البشير والشاهد في الامر ان هذه الخطة لم تتوقف منذ ذلك الحين فاستمرت في حكومة (قحت) والحكومة التصحيحية في ٢٥ اكتوبر وتحت زريعتها احيل اكفاء الضباط بالجيش والشرطة والامن للتقاعد وكذا الحال للخدمة المدنية وهي نفسها الشعارات التي رفعتها المليشيا في حربها ضد الشعب

* هل السيد رئيس مجلس السيادة محتاجا» لتلك اللغة التي تثير الازمات؟ وهل صحيح ان يساوي بين الاسلاميين ومليشيات الدعم السريع في رفض مشاركتهم في السلطة؟ واذا وافق على مشاركة الإسلاميين هل سيوافق على مشاركة الدعم السريع رغم ما ارتكبه من جرائم وانتهاكات اسوة بهم؟ وعشرات الاسئلة تتبادر الذهن وتثير نقاش في نهايته يقود إلى خلافات، الإسلاميين موقفهم واضح من المشاركة في الحكم انهم لن ياتوا إليه إلا عبر صناديق الاقتراع، وواضح من معركة الكرامة بانها قضية وطنية لا مساومة فيها وان الرئيس يدرك تماما» إن موضوع الإسلاميين فزاعة يستخدمها (القحاتة) عبر مجموعاتهم المختلفة مابين (تقدم وصمود وتاسيس) لاهداف سياسية ويبقى لماذا إثارة مثل تلك الاحاديث التي تضر ولا تنفع وتخدم خط العدو، فقد طارت قناتي الحدث والعربية تهلل لتلك التصريحات لانها جاءت في خطها السياسي، يجب ان نركز على المعركة اولا» فلا صوت يعلوها، واضح إن هناك حاجة إلى مستشارين سياسيون من الكفاءات الاكاديمية واصحاب خبرات لمساعدة الحكومة في خطابها السياسي والإعلامي الموجه للداخل والخارج.

* كاتب صحفي.

VOICE

□ لقراء فويس الكرام
يسرنا أن نعلن لكم عن إطلاق صفحة جديدة مخصصة لرسائل القراء وكتاباتهم، بهدف فتح المجال أمامكم لإبراز مواهبكم الكتابية وصقل إبداعاتكم.
في هذه المساحة، نرحب بمشاركاتكم المتنوعة التي تعبر عن آرائكم، تجاربكم، أو إبداعاتكم الأدبية، لتكون منبراً حراً يُثري الحوار ويفتح آفاقاً جديدة للإمكانات الكامنة.
نحن نتطلع إلى نشر مساهماتكم القيمة، والتي ستكون جزءاً من مسيرة تطوير الصحيفة وتوسيع مشاركة قرائنا الأعزاء.
للمشاركة:
يمكنكم إرسال نصوصكم إلى البريد الإلكتروني:
e.najisalih@yahoo.com
أو على رقم الوتساب:
00249129009990
شروط النشر:
أن يكون النص أصلياً ومن إبداع الكاتب.
ألا يتجاوز عدد الكلمات ٣٠٠ كلمة.
الالتزام بأسس الحوار البنّاء واللغة السليمة.
معاً نصنع فضاء إعلامياً تفاعلياً يُسمِع صوتكم!

زرقاء الهمدانية ومعاوية بن أبي سفيان

بقلم/ عصام السنوسي

موقعة صفين

○ في شهر صفر سنة ٣٧ هـ وقعت معركة حربية بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان، ولم تكن الموقعة الأولى بينهم، فقد وقعت صفين بعد موقعة الجمل الشهيرة، وكان السبب الرئيسي لهذه الموقعة هو الاختلاف بين معاوية بن أبي سفان وعلي بن أبي طالب على توقيت الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه وأرضاه، فكان علي بن أبي طالب يرى أن الأولى هو استقرار البلاد من حالة الفوضى التي خلفها مقتل عثمان، وكان معاوية يرى أن الأخذ بالثأر أولى انتقاما من قتلة عثمان، فحدث بين الفريقين خلاف شديد أدى إلى معركة الجمل وتلتها معركة صفين، التي انتهت بالتحكيم في شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين للهجرة.

زرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية الكوفية، عرفها العرب بالخطيبة البارعة، وذلك لأنها كانت تتحدث في جميع فنون الأدب من الشعر والبلاغة والخطابة، ويعود نسبها إلى قبيلة همدان اليمنية، كانت قد شاركت في موقعة صفين إلى جانب علي بن أبي طالب، فكانت تشحذ همة الرجال، وتقوي عزيمتهم على القتال والتقدم في المعركة، وبعد أن تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة سمع بما كان من أمرها، فأرسل في طلبها، توفت زرقاء الهمدانية في عام ٦٠ هـ.

زرقاء الهمدانية ومعاوية بن أبي سفيان

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدي بن غالب بن قيس الهمدانية، وكانت شهدت مع قومها صفين، فقال معاوية: أيكم يحفظ كلامها؟

قال بعضهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين.

قال: فأشيروا عليّ في أمرها.

فقال بعضهم: نشير عليك بقتلها،

قال: بئس الرأي أشرتم به عليّ، أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها؟

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاء ليناً، ويسترها بستر خصيف، ويوسع لها في النفقة، فأرسل إليها عامله، فأقرأها الكتاب، فقالت: إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إلي فإني لا آتيه، وإن كان حتم فالطاعة أولى، فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به.

فلما دخلت على معاوية. قال: مرحبا وأهلاً، قدمت خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة، قال: كيف كنت في مسيرك؟ قالت: ربيبة بيت، أو طفلاً ممهداً، قال: بذلك أمرناهم، أتدرين فيم بعثت إليك؟ قالت: أنى لي بعلم ما لم أعلم؟ قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين الناس على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر. قال لها معاوية: صدقت، أتحفظين كلامك يومئذ؟ قالت: والله لا أحفظه، ولقد أنسيته. قال: لكني أحفظه، لله أبوك حين تقولين:

أيها الناس ارعووا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم أبداً، ومثلك أعطى من غير مسألة، وأدى من غير طلبة، ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه، قالت: أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك فمثلك بشر بخير وسر جليسه، قال: أو يسرك ذلك قالت: نعم والله. لقد سررت بالخبر فأنى لي بتصديق الفعل، فضحك معاوية وقال: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته. اذكري حاجتك قالت: يا أمير المؤمنين أليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ومثلك أعطى عن غير مسألة وجاد من غير طلبة، قال: صدقت وأمر لها وللذين جاؤوا معها بجوائز وكساء.

تقبل الله منك واسع حلمك النادر، وجميل حكمتك يا معاوية رضيَ الله عنك وأرضاك.

منتدى (فويس) المفتوح لإبداعات القراء

هكذا كنَّا وهكذا كانوا

□ بقلم: أبو عبد الإله عبيد بن حمد الدوسري

○ منذ أن وقفتُ في ذلك الشارع المسفلت المليء بالتصدعات في حيِّنا القديم..

حينما كانت البراءة والشجارات الخفيفة بيننا، واللعب بالكرة في طرف من الشارع، نرسم لنا مرمى في الجدار أو بالحصى..

وحين ينادي المؤذن لصلاة المغرب أو العشاء، نفترق، منّا من يذهب يتوضأ في بيته، وفريق آخر يذهب إلى حمَّامات المسجد، ونحن كذلك نتبادل الحديث نسترجع المواقف المضحكة في لعبنا، يجمعنا المسجد، نركض، نغالب الأنفاس، نريد أن نلحق مع الإمام الركعة، نتدافع في الطريق، وأحيانًا حين نقف في الصف نلعب في الصلاة بالدف أو الوطي على الرجل أو النغز من الخلف، وربما تزيد إلى ضحك خفيف مصحوب بالتنحنح، تتبعها نظرات عتب من المصلين بعد السلام..

حينما كنَّا نخرج ليلاً خلف البيوت بعلم أهلنا، نشوي اللحم أو الدجاج وسط الجمر بالقصدير، بعد أن نتفق على توزيع أغراض الشوي..

حينما كنا نذهب بالساكتونات الهوائية، ليلاً بعلم أهلنا أيضًا إلى أطراف المدينة؛ نصطاد الحمام في الأشجار وفي أيدينا الكشافات الضوئية (الكهربان)..

حينما كنَّا نفترش جانب الطريق أمام البيوت على الفرشة (المَدَّة) في ليالي رمضان أو الإجازات الصيفية، نجلس حتى تتنمل مؤخراتنا من كثرة الجلوس، من أجل أن نلعب الضومنة والكنكان والكيرم..

حينما كنا نغسل السيارات ليلة العيد، يساعد بعضنا بعضًا، وكانت البيوت مفتوحة مثل قلوب أصحابها..

حينما كنَّا نذاكر دروسنا استعدادًا للاختبارات في المساجد بعد صلاة الفجر ومعنا زمزميات الشاي وأحيانًا القهوة، وربما ذهبنا خارج الحي تحت الشجر في الصباح..

ما أجملها من أيام!

وما أحلاها من أحلام!

هكذا كنَّا حتى جاءتنا الأجهزة الحديثة (الجوال – اللابتوب – البلايستيشن)، فأصبح أبناؤنا يلعبون وحدهم، ويضحكون وحدهم، وربما يأكلون وحدهم، أو يأكلون معنا والجوال في أيديهم..

لا شيء يعود، ولكن الجميل أننا عشنا هذه الأيام فذقنا طعم الحياة الذي حُرم منه أبناؤنا، فازدادت حالات التشنج والتوحد والاضطرابات النفسية والعصبية..

حتى وإن اجتمعوا هذه الأيام فإنهم لن يتذوقوا ما كنَّا نتذوقه، فهم محبوسون خلف الجدران في نور خافت يضر النظر، وكل ما يفعلونه يفعلونه وهم جالسون، فيشاهدون التلفزيون، ويتابعون الأفلام الأجنبية والمسلسلات المدبلجة، ومتابعة الفارغين من المشاهير في مواقع التواصل الاجتماعي، كل ذلك مع نكهة المعسل والجراك وسحب من الدخان القاتل..

صرنا في زمن توافر كل شي إلا الوعي فقلَّت الحركة، وقل الكلام والاختلاط، فحدث خلل في التربية والتأسيس، فصعب التعامل معهم والسيطرة عليهم.

اكتشاف الذهاب والتأقلم مع الحنين

□ بقلم: نهى أحمد عبدالله البشير

○ عندما تعبر الحدود يتغير كل شيء، وأول تغيير يحدث لك هو ساعتك البيولوجية، يحدث نسبة لاختلاف أوقات تعرضك للضوء والظلام. وهنا يحدث اضطراب في النوم وتشعر بالإرهاق والتعب لفترة من الزمن.

وأهم تغيير تبدأ بملاحظته هو اختلاف لغتك ولونك وشكلك. وهذا يذكرني بفيلم كرتوم (توم وجيري) عندما تاه ذلك الطائر من سربه وضاع عليه الطريق ووجد نفسه مع توم وجيري الفأر والقط المشهوران، نظر هذا الطائر لنفسه وبدأ يشعر بأنه يختلف عنهما.

وهنا أدرك أنه فارق رفاقه ودياره وأهله وأصبح في مكان مختلف وتأكد أنه عبر حدود غير الحدود التي كان موجوداً فيها.

هذا الطائر المهاجر بدأ يتصالح ويتكيف مع وضعه الجديد وكان صديقا جيدا لجيري الذي احتضنه وآواه وبدأ يتعرف على مكانه الجديد ولكن يعيش بجزء انتماء والجزء الآخر حنين، فتعتريه سحابة الحزن في كثير من الأحيان ويتمنى لو يسمع صوت أحبابه وأصدقائه.

الغربة تطرح علينا كثير من الأسئلة وتدور في أذهاننا كثير من المقارنات والبدء في ملاحظة الاختلاف بينك وبين البيئة المحيطة. وهذا بدوره يجعلك تكتشف نفسك. لأن في الغربة نفسك هي الأقرب إليك وهي الوحيدة التي تفهمك. وتكون صديقتك التي تطرح عليك كثير من الأسئلة.

عليك بالبحث والاجتهاد والبحث في كل محركات البحث لتجد لها تلك الإجابات. ولا تنسى عليك بالتجول في تلك الحدود وهذا الوطن الجديد حتى تقلل من ذلك التحسس الذي يتعريك نسبة لاختلافك عن تلك البيئة.

كن متحركاً ولا تكن ساكناً فيأكلك التفكير ويهدك الحنين والشوق، حرك شغفك وطور نفسك في الغربة.

كثير من المؤلفات كتبت بألم الحنين ووجع الفراق ولكنها خلدت أسماء عظيمة، جعلتنا نتجول في كثير من الأماكن التي لم نرها بأعيننا ولكننا رأينها من خلال حروفهم، فسافرنا معهم إلى كل البلاد والأماكن عبر خيالهم العظيم.

أقول لك تكيف في الغربة فأنت قادر على ذلك وعد إلى وطنك وأنت تحمل معك الكثير من الأفكار والإضافات الجميلة.

أعاد الله لنا أوطاننا وحماها من الغدر والظلم والطغاة والفاسدين.

دمتم بخير.

كن عابدا لله

□ كلمات: عبد الله بن علي العامري

وبي من تباريحِ الزمانِ أنينُ
وأُخفيه صبرًا فهو ليس يبينُ
وغيري الذي يُبدي التَّصبُّرَ ساعةً
ويهزمُه أن البلاءَ متينُ
إذا اشتدَّ صبرُ المرء قرَّتْ عيونُه
بموعودِ أهل الصَّبرِ فهو قمينُ
فلا تجعلنَّ الصبرَ إلا مُحالفاً
ودرعُ الفتى في النائباتِ حصينُ
وأبشر بتفريجِ الكروبِ لصابرٍ
على أيِّ جنبٍ كان فهو ضمينُ
وكن عابداً لله فالدينُ جُنَّةٌ
إذا صحَّ صبرُ المرءِ صحَّ الدينُ
ويجزعُ مَدْخولُ الديانة حسرةً
وتضعفُ منه النفسُ فهو مَهينُ
فلا تحسبنَّ اللهَ يقضي لمسلمٍ
بغير الذي ترضَى بهنَّ عيونُ
شفاءً ورزقاً وانقضاء حوائجٍ
وستراً وربِّي للعبادِ يعينُ
فينقذُ ملهوفاً ويكبتُ ظالماً
وينصرُ مغلوباً وتجري سفينُ
ويجزي على البلوَى ثواباً ورحمةً
ويحفظنا عمَّا يكادُ يكون
فنمسي ولا ندري بسابغ حفظه
ولو حاربتنا الغولُ والتِّنِّينُ

الأبيض مسرح التاريخ والطبيعة والفنون والإرث السوداني النبيل (1)

□ بقلم: بكري إبراهيم

○ الأبيض (الغرة، أبو قبة، عروس الرمال) بمختلف مسمياتها وألقابها، مدينة تحوي الكثير من الأسرار والحكايات المثيرة عن نشأتها وطبيعتها، وعن حياة الناس هناك وأنشطتهم التجارية، وتفاعلهم مع أوضاع السياسة والسلطة، كما تزخر أيضاً بروايات تليدة عن أبطال ومعارك وصولات وجولات، وانتصارات عظيمة، وروايات شعبية غاية في الجمال. بالإضافة لمزيج آخر في غاية الإمتاع عن الإرث الثقافي والتنوع الاجتماعي.

الأبيّض (بضم الهمزة على الألف وتشديد الياء) تقع في ولاية شمال كردفان، وهي تستند إلى تاريخ عريق ومزيج ثقافي مدهش، جعلها من أهم المدن في عموم السودان.

وتوصف هذه المدينة الساحرة أيضا بـ «عروس الرمال»، وأب قبة»، وهي حاضرة ولاية شمال كردفان، تبعد نحو ٥٨٨ كيلومترا جنوب غرب العاصمة الخرطوم. وتقع مدينة (الأبيض) كما يحب أن ينطقها قاطنوها (بحذف الهمزة وإدغام اللامين بالضمة) على سهل رملي منخفض، ترتفع الأراضي من حولها تدريجيا في الشمال والجنوب، كما تحيط بها الكثبان الرميلة التي تتفاعل مع أشعة الشمس الحارقة، وترسم لوحة في غاية الاتساق.

جنوب المدينة يقع جبل الهشابة، الذي يبلغ ارتفاعه ١٦ متراً، وهو مزار ترفيهي يقصده الأسر والسياح، ويمر عبر المدينة عدد من الأنهار الموسمية، التي تكون جافة في فصل الصيف وتمتلئ بالمياه في موسم الأمطار، وكذلك الخيران كالخور الأبيض، وخور أبو حبل، وخور العواي، وخور بركة

وتعتبر الأبيّض منطقة استراتيجية، لطبيعة موقعها وخصائصها الجغرافية والمناخية، فهي تتوزع بين المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وبين المناطق المدارية الجافة والمناطق المطيرة، كما أنها نقطة التقاء لعدد من الطرق التجارية المهمة.

ورغم احتفاظ كل مدينة بخصوصيتها وإرثها الثقافي، إلا أن هناك تشابها لحد كبير في طبيعة تكوين المدن في السودان، ففي الغالب يكون تمدد الأحياء وانطباق المواصفات المدنية، ناتجا بالأساس من الالتفاف حول سوق، أو مورد مائي، أو مزار لأحد المشايخ، كذلك تنشأ الأحياء والمدن هناك بجوار المناطق العسكرية والموانئ والمحطات الرئيسية بالطرق، ويبدو أن كل تلك العوامل ساهمت في تكوين مدينة الأبيض.

فالروايات الشعبية مثلا تقول إن سبب التسمية يعود إلى أن هناك حماراً أبيض اللون كانت تملكه امرأة طاعنة في السن تسمى (منفورة)، وقد اكتشفت تلك المرأة مورداً للمياه في المكان الذي قامت عليه المدينة حالياً، وبدأ الناس يتوافدون عليه، وسُمي بمورد الحمار الأبيض، ليتم تحريفها لاحقاً إلى الأبيّض، وهناك أيضاً روايات تقول بأن الاسم يعود للمجرى المائي جنوب المدينة الحالية (خور أبيض)، وسُمي بذلك لصفاء مياهه وعزوبتها.

تكوين الأبيّض ساهم فيه وجود المشايخ ورجالات الدين، حي القبة– وهو أحد الأحياء العريقة هناك– أسّس على أعتاب «مسيد» الشيخ إسماعيل الولي؛ وهو صاحب أول طريقة سودانية.

ومن أحياء الأبيّض المشهورة والعريقة حي الأُبيّض، الذي أسّس إبان الحكم الثنائي كغيره من الأحياء المشابهة في كوستي وعدد من المدن السودانية، من أجل توطين متقاعدي قوة دفاع السودان، وسُمي الرديف؛ وهو تعريب لحروف اللغة الإنجليزية RDF والتي هي اختصار لكلمة Royal Defence Force أي قوة الدفاع الملكية.

وبشكل عام تقسم أحياء مدينة الأبيض إلى قسمين: أحياء شرقية تقع شرق السوق الكبير، وأحياء غربية تقع غربه. ومن أشهر الأحياء الشرقية، حي السكة حديد، وحي البترول، وحي أمير، وحي الموظفين، أما أشهر الأحياء الغربية فهي حي الربع، وحي القبة (من هناك لاح لي نورا جلي من قبة الشيخ الولي)، وحي فلاتة وعرفات وحي الصالحين، وحي فلسطين وود الياس، وحي الناظر ..إلخ.

توجد في الأبيض أربع وحدات إدارية وهي: الأبيّض المدينة، أرياف الأبيّض، مثل بارا وأم سيالة والمزروب وزريبة الشيخ البرعي... إلخ، وكذلك إداريتا أبو حراز، وكازقيل (موطن صناعة الأجبان البلدية بمختلف أشكالها وأنواعها).

وترتبط الأُبيّض بالعاصمة الخرطوم بطريقين رئيسيين، طريق أمدرمان – بارا المنشأ حديثا، بالإضافة للطريق القديم الذي يمر عن طريق ربك كوستي وعدد آخر من المدن وصولاً إلى الأبيّض، كذلك هناك خط السكة حديد القادم من الشرق ومحطة بابنوسة، بالإضافة لعدد من الطرق البرية الأخرى، وأيضاً يوجد في الأبيّض مطار يبعد ٤ كيلومترات عن مركز المدينة.

الحديث عن الأبيض عروس الرمال شيق وذو شجون، ولنا عودة إن شاء الله، إن مدّ الله في الآجال.

أبقوا عافية.

حسب ظروفك تجد ولوفك

□ بقلم: أحمد محي الدين

○ «حسب الظروف تلقى الولوف» جملة تتجسد تماماً في مجتمعنا الحالي، نجد الكثير من الأشخاص ينساقون خلف بعض حسب ظروفهم سواء كانت مادية أو اجتماعية، فذوو المناصب نجد الناس من حولهم يحتونهم، كذلك من يملكون المال، وننسى ينسينا المال ولا الدنيا أن لنا إخواناً ضعفاء لا يجدون قوت يومهم، يبيتون بلا طعام ونحن نأكل حتى نشبع، لا بدّ لنا من الوقوف مع أنفسنا، وأن نتذكر وننظر إلى أمر كل ضعيف، ونمد لهم يد العون ونصافحهم وكأنهم لا ينقصهم شيء، فعندما نتماسك لا شيء يستطيع هزيمتنا.

يجب أن نجعل المال والدنيا لا تلهينا عن النظر إلى الضعفاء، فهم مسلمون مثلنا، فلنتعاون مع بعضنا البعض، ونساعد بعضنا البعض، يجب أن نتذكر إخواننا في السودان في كل معسكرات اللاجئين، ولا ننساهم. أيضاً جارك الضعيف رفيقك صديقك قريبك، علينا ألا ننساهم، فهذه فريضة إسلامية عظيمة، لها أجر وثواب كبير، ويظهر مردها بأشكال متعددة، مثل تفريج كربته، وقضاء حاجته، ودفع الأذى عنه، وإيصال ما له من حقوق إليه.

VOICE of sudanese community

السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

هوية السودان الاقتصادية تبدأ من هنا: الجامعات بوابة الإعمار والتنمية

نور الجامعات في عتمة ما بعد الحرب

د. إيهاب عبد الرحيم الضوي أحمد *

● في أعقاب الحروب التي تمزق الخرائط وتشتت الهوية، وتنزل بالعمران ضربة لا ترقى لها سنوات البناء، يبقى التعليم -وتبقى الجامعات تحديداً - شاهدة على أن الشعوب لا تقهر ما دامت تملك القدرة على التفكير، والحلم، والتعلم. وعندما تسكت البنادق ويخفت ضجيج الدمار، لا شيء يداوي جراح الأوطان مثل قاعات الدراسة، ومختبرات البحوث، ومكتبات الجامعات، حيث تتم إعادة ترميم ما لا تقدر عليه الإسمنت والآلات: ترميم الإنسان نفسه، ووعيه، وانتمائه.

إن الجامعات السودانية، رغم معاناتها من النزاعات والحرائق والتمزقات الإدارية، ما زالت تقف شامخة بذاكرة معرفية تراكمت لعقود. لم تكن الجامعات في السودان يومًا مجرد مؤسسات أكاديمية، بل كانت دومًا منابر للنقاش الوطني، ومصانع للكوادر، ومشاعل للحراك الاجتماعي والثقافي. واليوم، في ظل دمار البنية التحتية وغياب الدولة المركزية واستنزاف الاقتصاد الوطني، تُصبح هذه الجامعات لا فقط واجهة للبقاء الأكاديمي، بل منصّة لإعادة تشكيل الهوية الاقتصادية للسودان، تأسيساً على ما تبقى من طاقات، وما يمكن بناؤه من قدرات.

في سودان ما بعد الحرب، حيث تتشابك خيوط الفقر، والنزوح، والتهميش، وتغيب السياسات الاقتصادية الواضحة، يطرح سؤال وجودي يتجاوز الرفاه والتعليم: كيف يمكن للجامعات السودانية أن تتحول إلى قاطرة اقتصادية؟ كيف يمكن أن تعيد تعريف العلاقة بين التعليم والإنتاج، بين المعرفة والنمو، وبين الجامعة والمجتمع؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب قراءة عميقة لدور الجامعات كمحركات لاقتصاد المعرفة، ورافعات لإعادة الإعمار، ومراكز لتأهيل رأس المال البشري الذي سيعيد للسودان مكانته، ويكتب الفصل الجديد من تاريخه، لا بالحبر وحده، بل بالإبداع والابتكار والمبادرة. في هذه المساحة من التأمل والتخطيط، يبدأ النقاش الجاد حول دور الجامعات السودانية في تشكيل الهوية الاقتصادية لسودان ما بعد الحرب.

الجامعات كمصدر رصيد بشري: بناء رأس المال المعرفي في سودان ما بعد الحرب

في مشهد اقتصادي واجتماعي يتطلب إعادة بناء من الجذور، تبرز الجامعات السودانية كحاضنات لرأس المال المعرفي، وقلاع لإنتاج الطاقات البشرية التي تمثل أساس النهضة المنشودة. فالمجتمعات الخارجة من الحرب لا تنهض فقط بالإغاثة، بل بالكفاءات، وبالعقول التي تعيد هندسة الواقع، وتخطط للمستقبل.

تنمية الموارد البشرية كمهمة وطنية للجامعات

تشير دراسات تطبيقية حديثة إلى أن جامعات سودانية مثل جامعة الفاشر كانت سباقة في توظيف مفهوم(تنمية الموارد البشرية) بوصفه مدخلاً تنمويا استراتيجيا، يستهدف تحسين كفاءة العنصر البشري لا كمجرد متعلم، بل كأداة إنتاج وتأثير في بيئته ومجتمعه. هذه النظرة تحمّل الجامعة مسؤولية تتجاوز التعليم الأكاديمي إلى بناء الإنسان القادر على التفكير النقدي، والعمل المنتج، والمساهمة في سوق العمل المحلي والدولي.

وفق دراسة منشورة في قاعدة بيانات (e-Marefa)، فإن البرامج الجامعية الحديثة لم تعد تقتصر على التخصصات التقليدية، بل بدأت تدمج مهارات معاصرة تشمل:

١. إتقان اللغة الإنجليزية كلغة اقتصاد وعلم عالمية.
٢. الحوسبة وتقنية المعلومات كأدوات ضرورية للمشاركة في الاقتصاد الرقمي.
٣. الوعي بسوق العمل وربط المقررات بالاحتياجات التنموية الفعلية للمجتمعات السودانية، خاصة في مجالات الزراعة، الريف، والطاقة.

الجامعات كمؤسسات لإنتاج رأس المال الوطني

لم تعد الجامعات السودانية ترى نفسها مجرد مؤسسات تمنح الشهادات، بل باتت تدرك أن مستقبل السودان يتوقف على مدى قدرتها على إعداد أجيال من الخريجين القادرين على تحمل عبء الإعمار، وخلق فرص العمل، وابتكار الحلول الاقتصادية. وهذا التحول في الرؤية يعكس تصاعد دور الجامعة في التحول إلى بيئة إنتاج للمعرفة، ومرتكز لاقتصاد ما بعد الحرب، خصوصًا في ظل تراجع دور الدولة المركزية وتنامي مسؤوليات المجتمعات المحلية.

الجامعات العريقة في السودان: رصيد تاريخي ومستقبلي

السودان يمتلك إرثاً علمياً وتاريخياً من الجامعات العريقة التي لطالما كانت جزءا من تكوين الهوية الوطنية، ومن أبرزها:

جامعة الخرطوم: أقدم الجامعات السودانية وأشهرها، والتي أسهمت في تخريج قيادات سياسية وفكرية واقتصادية منذ عهد الاستعمار البريطاني وحتى اليوم.

جامعة الجزيرة: تأسست لتكون حاضنة للنهضة الزراعية والتنمية الريفية، وتعتبر رائدة في ربط التعليم بالاقتصاد الزراعي والتنمية الصحية.

جامعة النيلين: واحدة من أكبر الجامعات من حيث عدد الطلاب، ولها إسهامات متعددة في مجالات القانون والاقتصاد والعلوم السياسية.

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا: مؤسسة أكاديمية تقنية تعتبر نواة للابتكار والإنتاج في مجالات الهندسة، التصميم، والطاقة.

جامعة أم درمان الإسلامية: بتاريخها العريق الذي يعود إلى أكثر من قرن، تعد منارة تعليمية وجسرا بين الأصالة والتحديث، حيث ساهمت في تخريج كوادر شرعية واقتصادية كان لها حضور فاعل في مختلف مؤسسات الدولة والمجتمع.

جامعة إفريقيا العالمية: تمثل نقطة التقاء للثقافات والجنسيات، ورافعة أكاديمية إقليمية، بما تضمه من طلاب من عشرات الدول، وأسهمت في مد السودان بخريجين ذوي تأهيل دولي في مجالات الاقتصاد، الدعوة، والتنمية الدولية.

جامعة الفاشر، نيالا، كسلا، سنار، كردفان، وشرق النيل: جامعات إقليمية شكلت شرايين التعليم في الريف والمناطق المهمشة، وأسهمت في توطين المعرفة وربطها بالواقع المحلي.

إن الجامعات السودانية، بتعددها وتنوعها، لا تمثل فقط رصيداً أكاديمياً، بل رأس مال استراتيجي لإعادة بناء الاقتصاد الوطني. إن تأهيل الموارد البشرية في هذه المؤسسات يجب أن يعاد النظر فيه كمشروع تنموي وطني، لا كمجرد مسار أكاديمي. فكل كلية وكل خريج يمكن أن يكون لبنة في بناء سودان جديد، إذا ما تم دعمه، وتمكينه، وربطه بالواقع الاقتصادي الذي يحتاج إليه أكثر من أي وقت مضى.

إعادة إعمار ما بعد الحرب: الجامعات كمراكز مقاومة للدمار وفرص للنهوض

في إطار وطني مثقل بالجراح، حيث تبدو آثار الحرب ممتدة من المباني إلى النفوس، لم تكن الجامعات السودانية بمنأى عن نيران الدمار. فقد نالها من الخراب ما نال مؤسسات الدولة والمجتمع، من تفكك إداري وتدمير للبنية التحتية، إلى نزوح جماعي للطلاب والأساتذة، وضياع الموارد البشرية والمادية. ومع ذلك، برزت بعض الجامعات - خاصة الإقليمية منها - كرموز صمود، بل وأحياناً كمراكز مقاومة ناعمة للانهيار.

مرونة الجامعات الإقليمية: التكيف في قلب الأزمة

بحسب تقارير صادرة عن معهد Chr. Michelsen Institute (CMI) وورقات بحثية منشورة على منصات مثل ResearchGate و ScienceDirect، فإن بعض الجامعات تمكنت من التكيّف رغم النزاعات الطاحنة، عبر آليات مبتكرة ساعدتها على الاستمرار:

نقل بعض الخدمات التعليمية إلى المنصات الرقمية ولو بشكل جزئي، في ظل ضعف الإنترنت وانقطاع الكهرباء.

عقد شراكات مع منظمات إغاثية وإنمائية لدعم البرامج التدريبية أو توفير الموارد البديلة، مثل المعدات والكوادر المؤقتة.

تبني خطط تعليم مرنة مثل تقويمات زمنية غير موحدة، واعتماد التعليم المدمج (Blended Learning) حيث أمكن.

هذه المرونة لم تنقذ فقط سمعة المؤسسات، بل حافظت على جذوة الأمل في أعين آلاف الطلبة الذين كان من الممكن أن يتسربوا من التعليم بشكل دائم.

الجامعات كمحاور لإعادة الإعمار وإعادة تأهيل المجتمع

ما يجعل الجامعات السودانية مؤهلة للعب هذا الدور المحوري في مرحلة ما بعد الحرب هو قربها من النسيج المحلي للمجتمعات المتأثرة، وقدرتها على تصميم استجابات معرفية وواقعية لحاجات تلك المجتمعات. ومن أبرز القطاعات التي يمكن أن تلعب فيها دورا قياديا:

١. الزراعة والتنمية الريفية: حيث يمكن لكليات الزراعة والاقتصاد الزراعي أن تسهم في إعادة تأهيل الأراضي، وتحسين سلاسل الإمداد الغذائي.

٢. إعادة بناء البنية التحتية: عبر كليات الهندسة والتخطيط العمراني، التي يمكنها تقديم حلول تصميمية مرنة ومنخفضة التكلفة.

٣. الصحة العامة: من خلال كليات الطب والتمريض والصيدلة التي يمكن أن تمد المناطق المتأثرة بكوادر ميدانية مدرّبة.

٤. الإدارة المحلية والتنمية المجتمعية: تأهيل كوادر للعمل في المجالس البلدية، والمنظمات المحلية، وحوكمة ما بعد النزاع.

هذا الدور يضع الجامعات في قلب معادلة إعادة الإعمار، ليس فقط من حيث تدريب الأيدي العاملة، بل كجهات تصنع الرؤية وتوجه السياسات التنموية.

دور الجامعات في نشر ثقافة السلام والعدالة الانتقالية

في مجتمعات ما بعد النزاع، لا يمكن للسلام أن يتحقق بالاتفاقيات فقط، بل يحتاج إلى تحول ثقافي ومعرفي طويل الأمد. وهنا تبرز الجامعات كمراكز ثقافية قادرة على:

١. تدريس مساقات في العدالة الانتقالية، المصالحة الوطنية، والتنوع الثقافي، بما يعزز مناعة المجتمع ضد العودة إلى العنف.

٢. فتح منتديات حوار طلابية وشعبية، تتجاوز الانتماءات العرقية والسياسية، وتبني جسور الثقة بين المجتمعات المنقسمة.

٣. إنشاء مراكز بحثية تعنى ببناء السلم الاجتماعي وتوثيق الجرائم والانتهاكات بطريقة علمية يمكن أن تسند العملية السياسية لاحقا.

في هذا السياق، تصبح الجامعة فاعلاً اجتماعيا/حضاريا، وتعيد إنتاج معنى «الوطن» في أذهان الشباب، لا كمكان للنزاع، بل كأفق للتعدد والتشارك والبناء.

الجامعات والتنمية الاقتصادية: من التعليم إلى سوق العمل

ليست الجامعة نهاية المطاف، بل هي بداية رحلة التحول من المعرفة إلى الإنتاج، ومن القاعة إلى المصنع، ومن الكتاب إلى الميدان. وفي سودان ما بعد الحرب، الذي يحتاج إلى إعادة تركيب اقتصاده من الأساس، تبرز الجامعات كحلقة وصل استراتيجية بين التعليم وسوق العمل، وكروافع اقتصادية حقيقية إذا ما تم تفعيل أدوارها بذكاء ومرونة واستمرارية.

(أ) مناهج تواكب السوق وخريجون يصنعون الفرق

تنتج الجامعات السودانية آلاف الخريجين سنويا في مختلف التخصصات، لكن التحدي ليس في العدد، بل في مدى ملاءمة هذه الكفاءات لحاجات سوق العمل. الجامعات اليوم مطالبة بتطوير مناهجها لتدمج:

المهارات الرقمية والتقنية (ICT)، تحليل البيانات، إدارة المشروعات.

ريادة الأعمال والاقتصاد التشاركي، بما يحفز الخريجين على خلق فرص العمل لا انتظارها.

التدريب العملي والتطبيقي، عبر برامج التدريب الميداني في مؤسسات حقيقية، خصوصا في الزراعة، الصناعات التحويلية، الطاقة، والخدمات الصحية.

(ب) البحوث التطبيقية كأداة لتجديد الاقتصاد

غالبا ما تتهم البحوث الجامعية بأنها بعيدة عن الواقع ومجرد أوراق أكاديمية، لكن في واقع السودان اليوم، هناك فرصة فريدة لتحويل هذه البحوث إلى مصانع أفكار تدعم

● تطوير الزراعة الذكية لمواجهة تغير المناخ.

● ابتكار حلول محلية للبنية التحتية منخفضة التكاليف.

● تقديم نماذج اقتصادية بديلة تناسب الاقتصاد غير الرسمي، والقطاعات المتأثرة بالحرب.

● دعم القطاعات الإنتاجية بالتحليل الإحصائي، ودراسات السوق، وتصميم سلاسل القيمة.

هذا الدور لا يتحقق إلا إذا تم ربط الجامعات مباشرة مع الوزارات، والمؤسسات الاقتصادية، والقطاع الخاص، في إطار شراكات استراتيجية دائمة.

(ج) الجامعات والقطاع الخاص: شراكات النهوض الاقتصادي

الربط بين الجامعة وسوق العمل لا يقتصر على التدريب والتوظيف فقط، بل يجب أن يمتد إلى:

● شراكة في تصميم المناهج: بحيث يشارك أرباب العمل في تحديد المهارات المطلوبة.

● دعم البحث العلمي من قبل القطاع الخاص: لرعاية بحوث تطبق في مصانعهم، ومزارعهم، ومشاريعهم.

● حاضنات أعمال داخل الجامعات: لتشجيع الطلاب على تطوير مشاريعهم وتحويل أفكارهم إلى شركات ناشئة.

(د) الجامعات وأهداف التنمية المستدامة

تشير دراسات منشورة في المجلة الأمريكية للبحوث الأكاديمية (AJRSP) إلى أن التعليم العالي السوداني قادر على أن يلعب دوريا مركزيا في تحقيق أهداف التنمية المستدامة (SDGs)، خصوصا في:

١. القضاء على الفقر عبر التعليم والتدريب المهني.

٢. تحقيق المساواة الجندرية بتمكين الطالبات في المجالات التقنية.

٣. العمل المناخي من خلال البحوث البيئية المحلية.

٤. رفع مستوى النمو الاقتصادي الشامل وبعيد الأمد عبر الابتكار المحلي.

وبهذا، لا تصبح الجامعة فقط مصنعاً للشهادات، بل محركا للإصلاح البنيوي والاقتصادي، ومركز إنتاج حقيقي للثروة الوطنية في شكل أفكار، وابتكارات، ومبادرات شابة.

إن الجامعات السودانية إذا تم ربطها بالاقتصاد الفعلي، وتحويلها إلى منصات شراكة مع المجتمع والقطاع الخاص، يمكن أن تقود اقتصاد البلاد نحو نموذج جديد. نموذج لا يعتمد فقط على النفط أو المعونات، بل على المعرفة والابتكار وريادة الأعمال.

وهكذا، تتحول الجامعات من أسوار أكاديمية، إلى جسور عبور نحو سوق عمل ديناميكي، واقتصاد مرن، وسودان أكثر عدالة وقدرة على البناء الذاتي.

التحديات الواقعية التي تواجه الجامعات وما يجب تجاوزه

في خضم الجراح التي خلفتها الحرب، لم تكن الجامعات السودانية بمنأى عن الكارثة، بل كانت من أكثر المؤسسات تأثرا، نظرا لموقعها الحيوي في بناء الإنسان وإنتاج المعرفة. فالدمار لم يكن ماديا فقط، بل طال أيضا البنية الفكرية والتنظيمية، ما يهدد استمرارية الدور الوطني والتنموي لهذه الجامعات في المستقبل القريب.

آثار الحرب المباشرة: دمار مادي ونزيف بشري

بحسب دراسات منشورة في مجلات علمية مرموقة مثل SAGE Journals و ResearchGate، فإن الجامعات السودانية شهدت تدميرا واسعا طال:

١. مباني القاعات الدراسية والمختبرات والمكتبات.

٢. مراكز البحوث وقواعد البيانات الأكاديمية.

٣. سكن الطلاب وسكن الأساتذة ومرافق الحياة الجامعية.

إضافة إلى ذلك، أدت الحرب إلى نزوح آلاف الطلاب والأساتذة إلى ولايات أو دول أخرى، أو إلى مناطق لا تتوفر فيها بيئة تعليمية آمنة أو مستمرة. وقد صاحب ذلك تراجع حاد في تمويل التعليم العالي، مما أثر على استقرار العملية التعليمية وكفاءة الإدارة الجامعية.

ضعف التمويل وتأثيره البنيوي

إن تدهور جودة البنية التحتية التعليمية والتقنية، غياب الحوافز المالية والمعنوية للأساتذة، مما دفع الكثير منهم للبحث عن فرص بديلة خارج السودان، إضافة إلى توقف مشاريع تطوير المناهج والخطط الدراسية، الأمر الذي جعل البرامج الأكاديمية بعيدة عن متطلبات السوق، ومتخلفة عن التحديثات العالمية، كلها تحديات واجهت ولا تزال تواجه الجامعات السودانية. وأن الأزمة الحالية بالسودان ليست ظرفية، بل هيكلية، لأنها تمس جوهر العملية التعليمية في الجامعات السودانية، وتحاصر قدرتها على الأداء بفاعلية، خصوصا في زمن تتزايد فيه الحاجة للجامعات كقاطرة تنمية لا مجرد مؤسسة تعليمية.

غياب التدريب المستمر وتجمّد المناهج

من أبرز المشكلات التي تؤثر على جودة الخريجين في السودان هو تأخر تحديث المناهج الأكاديمية، وضعف التركيز على التدريب المستمر للكوادر الأكاديمية. هذا الوضع نتج عنه: فجوة متزايدة بين ما يتم تدريسه في القاعات وما يحتاجه سوق العمل، وغياب المعارف التكنولوجية والمهارات العملية في التخصصات التطبيقية، إضافة إلى إحباط لدى الطلاب، خصوصا في التخصصات التقنية والطبية والهندسية، الذين يشعرون أن تعليمهم لا يعدهم لمستقبل وظيفي حقيقي.

ما يجب تجاوزه: إصلاح هيكلي وشراكات استراتيجية

لإعادة تموضع الجامعات السودانية في مرحلة ما بعد الحرب، هناك مجموعة من التحولات الضرورية التي لا غنى عنها:

١. إصلاح هيكلي شامل يشمل إعادة هيكلة الإدارات الجامعية، تحديث التشريعات، وضمان استقلالية القرار الأكاديمي والمالي.

٢. شراكات مع القطاع الخاص المحلي والدولي، تسمح بدعم مالي مستدام للبحوث والابتكار والتطوير.

٣. الانفتاح على المجتمع الدولي والمنظمات المانحة من خلال مشاريع تعاونية لإعادة بناء الجامعات وتحديث مناهجها.

٤. تحفيز البحث العلمي والتطبيق العملي، بما يشمل إنشاء حاضنات أعمال جامعية، ومراكز تدريب وتأهيل، وبرامج دراسات عليا مرتبطة مباشرة بسوق العمل الوطني.

٥. اعتماد الرقمنة والتحول التكنولوجي، لتجاوز محدودية الإمكانات المادية وخلق بيئة تعليمية أكثر مرونة وابتكارا.

إن الجامعات السودانية تقف اليوم أمام مفترق طرق: إما أن تنهار تدريجيًا تحت وطأة التحديات المتراكمة، أو أن تعاد صياغتها لتكون قاعدة انطلاق لنهضة اقتصادية ومجتمعية حقيقية. ولا سبيل إلى ذلك إلا عبر رؤية إصلاحية شاملة تعيد للجامعة دورها التاريخي، وتعزز من قدرتها على مواكبة تحديات العصر وإعادة بناء الوطن من قلب القاعات والمختبرات.

رؤية مستقبلية: الجامعات رافعة للهوية الاقتصادية والنهضة الوطنية

إذا ما تم تفعيل دور الجامعات السودانية بشكل منهجي وقوي، يمكن تصور:

١. جيل جديد من المهنيين في الطب، الزراعة، الهندسة، الإدارة، التعليم، يضخون في الاقتصاد السوداني طاقات وكفاءات ملموسة.

٢. نهضة زراعية وصناعية محلية مدفوعة بخريجين أكفاء، أبحاث تطبيقية، وشراكات بين الجامعات والقطاع الخاص.

٣. مراكز بحث وابتكار تهتم بما يخص إعادة الإعمار، التكيّف مع التحديات البيئية، التنمية المجتمعية، والتحول إلى اقتصاد المعرفة.

بناء مجتمع مدني قوي، مرتكز على تعليم ذي جودة، تنوير فكري، ومسؤولية مجتمعية مما يعيد صياغة الهوية السودانية في بعد اقتصادي وتنموي.

بهذا تتحول الجامعات من بورصات أكاديمية إلى محطات انطلاق لسودان جديد، أكثر مرونة، إنتاجية، وعزما على استعادة مكانته.

خاتمة

في خضم خراب الحرب والدمار، قد تبدو الجامعات ركاما بلا حياة، لكن حقيقتها - حين يتم منحها الفرصة والدعم - قادرة على أن تصبح منارات للنهضة. الجامعات السودانية، بتاريخها ومعاناتها، تبقى رصيد الأمة ورأس مالها الأوثق. إن استثمارها اليوم ليس رفاهية، بل استثمار في الإنسان، في الكفاءة، في المستقبل. ومن هنا أدعو الدولة، المجتمع، المانحين، والخريجين أنفسهم إلى جعل الجامعات ركيزة في إعادة بناء السودان: اقتصاديا، اجتماعيا، وذا هوية اقتصادية واضحة وراسخة، لأن السودان بعد الحرب لا يحتاج فقط إلى بناء حجارة، بل إلى بناء الإنسان، وبناء الأمل، وبناء هويته الاقتصادية الجديدة..

* اختصاصي تحليل بيانات وخبير إحصاء - عضو هيئة تدريس بالجامعة العربية المفتوحة بدولة الكويت

همس الحقول
تصدر عن حركة السودان الأخضر

حكاية وطن أخضر

٣ من ديسمبر من كل عام .. يوم يتجدد

أصحاب الهمم نور السودان الأخضر

إعداد: م. معتصم تاج السر

○ في هذا اليوم المفعم بالإنسانية وفي هذا الصباح الذي يشع بضياء قلوبكم البيضاء تهديكم حركة السودان الأخضر خالص محبتها وأزهار تقديرها واعتزازها.

إلى أصحاب الهمم في السودان وإلى أرواحكم الشامخة التي تسطر أروع دروس الصبر والجمال أنتم الضوء الذي لا ينطفئ وأنتم المعنى العميق للقوة الحقيقية التي تولد من الروح حين تتشبث بالأمل لا من الجسد وحده.

أنتم الدرس الذي تهمس به الحياة لكل من يمرّ بها بأن القوة الحقيقية في العزيمة والصمود والجمال الذي ينبع من الداخل.

يوافق احتفال العالم باليوم العالمي لأصحاب هذا العام الأربعاء ٣ ديسمبر وقد اختارت الأمم المتحدة له شعارا يحمل عنوان «تعزيز المجتمعات الشاملة لأصحاب الهمم لدفع التقدم الاجتماعي» رسالة واضحة لكل شعوب الأرض بأن الشمولية هي مفتاح التقدم والازدهار.

في يومكم العالمي نقف أمامكم وقفة إجلال ونحيّي مسيرتكم ونبارك عزائمكم التي تشق الصعاب كما تشق السواعد حجارة الأرض لتمنحها لمسات خضراء.

إننا في حركة السودان الأخضر نؤمن بأن المجتمعات التي لا تحتضن أصحاب الهمم تفقد جزءاً من روحها وأن التغيير الإيجابي الإنسيابي الإبداعي الأخضر يبدأ من توفير بيئة عادلة وكريمة، مُلهمة لكل أبناء الوطن بلا استثناء حيث يجد كل فرد مكانه ليزهر ويبدع.

الأبطال الخُضر.. قمم من نور وقلوب لا تُهزم

حين يشرق العالم على اليوم العالمي لأصحاب الهمم، تنفتح القلوب على أروع صورة من صور الإنسانية، حيث تتوهج القمم الخضراء لأصحاب الهمم، ويُكتب فيها أرقى المعاني (الصبر، والإبداع، والعطاء).

نحن لا نرى في أصحاب الهمم مجرد فئة تحتاج للدعم، بل نرى قممًا أخضرية، قلوبًا تزهر رغم العواصف، وأنوارًا تتلألأ في سماء الإنسانية.

كما قال الشاعر:

«قلوبكم الأخضر تزهر رغم الجراح، ونوركم يضيء ما عجزت عنه الظلال.»

إن اختيار الأمم المتحدة لشعار هذا العام «تعزيز المجتمعات الشاملة لأصحاب الهمم لدفع التقدم الاجتماعي» ليس مجرد شعار، بل هو دعوة للعالم كله لإعادة رسم الطريق نحو الشمولية، نحو العدالة، نحو مجتمع يرى كل قلب أخضر قيمة لا تقاس بقدرة جسدية أو عجز مؤقت، بل بفيض المحبة والإرادة والعطاء.

حقيقة الأرقام والتحديات

تُقدّر نسبة الأشخاص أصحاب الهمم في الدول العربية بما بين ٥٪ و١٥٪ من مجموع السكان — أي ما بين ٢٢,٥ و٦٧,٥ مليون إنسان — كل منهم يحمل قصة صبر وعزيمة، وكل منهم قلب أخضر يروي للعالم دروسًا في الإصرار والتفاؤل.

تختلف نسب الإعاقة من دولة لأخرى حسب الظروف الاقتصادية والسياسية، ومدى استقرار الدولة، والأزمات الحياتية المختلفة، بما في ذلك الحروب والكوارث الطبيعية، وانتشار الأمراض المزمنة، وارتفاع نسب الفقر والأمية.

ووفق تقرير المنصة العربية للإدماج الرقمي التابعة للإسكوا، تعد الإعاقة الحركية الأكثر انتشارا، تليها الإعاقة البصرية، في حين تظل أشكال الإعاقة الأخرى تتراوح بين الاختلافات الفردية والبيئية.

ورغم الجهود المبذولة خلال السنوات الأخيرة لتحديث التشريعات وتحسين البنية التحتية، يظل الدعم غالبًا عاجزًا عن تلبية كل الاحتياجات، مما يجعل أصحاب الهمم أكثر حاجة للعناية والاحتفاء، وأكثر استحقاقا لنداء الإنسانية والعدل.

«نؤمن أن القوة ليست فيما تملك، بل فيما تمنحه للآخرين من ضياء.»

وأصحاب الهمم، بهذا المعنى، هم من يمنحون العالم ضياءهم، ويمتد نورهم إلى كل قلب مظلم، ليزرع الأمل في النفوس.

رؤية السودان الأخضر لأصحاب الهمم

ترى حركة السودان الأخضر أن أصحاب الهمم ليسوا فئة مهمشة، بل ركيزة أساسية لبناء السودان الجديد، سودان المستقبل الأخضر، الذي لا يكتمل إلا حين تنصف كل الأرواح، ويجد كل فرد مكانه العادل، ويعيش بكرامة، ويشارك في صناعة وطنه بكل فخر وإبداع.

تتبنى الحركة قضايا الشرائح التي عانت الإهمال والجحود لعقود طويلة، وتدفع نحو إصدار تشريعات توطد الحق والكرامة لكل:

- كبار السن
- الأشخاص أصحاب الهمم
- أصحاب الأمراض المزمنة
- المرأة والطفل
- اللاجئين والنازحين
- السودانيين في المهاجر والاغتراب

«من زرع قلبا أخضرا حصد أمة من نور.»

فالسودان الأخضر يرى في أصحاب الهمم الأبطال الحقيقيين، الذين يزرعون الأمل بصبرهم، ويخلقون الجمال من الألم، ويثبتون أن الإنسان حين يكون قلبه أخضر، يضيء العالم بأسره.

ركائز رؤية الحركة لشريحة أصحاب الهمم في سودان المستقبل

١. سودان بلا عوائق

الطرق، والمواصلات، والمرافق العامة، جميعها مصممة لتسهيل حياة أصحاب الهمم، لضمان استقلاليتهم، وكرامتهم، وسلامتهم النفسية والجسدية.

٢. تعليم أخضر شامل

برامج تعليمية متطورة، تحوّل التحديات إلى قدرات، وتعلم الأطفال والشباب أن كل صعوبة يمكن تحويلها إلى إبداع، وأن كل قلب أخضر يمكنه أن يضيء دروب الآخرين.

٣. اقتصاد شريك ومثمر

إشراك أصحاب الهمم في المشاريع الإنتاجية، والزراعية، والعضوية، والبيئية، ليكونوا شركاء فعليين في بناء السودان الأخضر، لا مجرد متلقين للدعم، بل صناع نجاح وازدهار.

٤. منظومة صحية متكاملة

رعاية طبية ونفسية وتأهيلية شاملة تضمن الاستقرار الصحي، وتمكنهم من العيش بكرامة، وتدعم أسرهم في رحلتهم اليومية.

٥. صوت سياسي وقانوني مؤثر

تشريعات تمثلهم في مواقع اتخاذ القرار، لضمان حقوقهم، ومشاركة فعالة في رسم مستقبل السودان.

٦. مجتمع يقدّر القدرة لا القصور

ثقافة جديدة ترى في أصحاب الهمم قوة وإبداعًا، وليس قصورًا أو ضعفًا، ويصبح كل شخص رمزًا للأمل والتحدي.

٧. اندماج كامل في كل مبادرات السودان الأخضر

مدارس إبداعية، مشاريع عضوية، حملات توعية، مبادرات بيئية، كل ذلك لضمان مشاركة كاملة وفاعلة، وتعميق شعور الانتماء والفخر الوطني.

«القمم الخضراء لا تنهزم، فهي التي تحوّل الظلام إلى ضياء، والصمت إلى نشيد حياة.»

الأبطال الخُضر.. قمم من نور وقلوب لا تُهزم

أصحاب الهمم هم الأبطال الحقيقيون في السودان الأخضر، هم من يكتبون قصص الإرادة الكبرى، ويثبتون أن الروح الخضراء لا تنكسر، وأن القلب حين يكون أخضر ينهض، ويبدع، ويواصل الطريق.

هم نجوم مضيئة في سماء الوطن، وركائز أساسية في بناء سودان المستقبل الأخضر: سودان العدالة، والمحبة، والجمال، وسودان يحتفي بالقلب قبل كل شيء، وسودان يجعل من كل تحدٍ فرصة، ومن كل ابتسامة إشعاعًا ملهمًا.

«من حمل الأمل، صنع مجد وطن، ومن زرع الحب، جنى نور الأجيال.»

الوعد والمنى

نَعِدُكم، أيها الأبطال الخُضر، أن يكون السودان القادم سودانكم أولًا، حيث يُكرَّم كل قلب أخضر، ويُحتفى بكل بذرة عطاء، ويُفتح لكل همّة طريقها بلا عراقيل.

ونَحن نحلم، معكم، بسودان يتحول فيه كل تحدٍ إلى فرصة، وكل قصة صبر إلى إنجاز، وكل ابتسامة إلى إشعاع يُلهم الأجيال القادمة.

هذه هي المنى الخضراء: سودان يليق بكم، ويكرمكم، ويحتضن قلوبكم، ويجعل من كل يوم فرصة جديدة لتكونوا الأبطال الخضر... قمم من نور، وقلوب لا تهزم.

«من زرع قلبا أخضرا حصد أمة من نور».

هشاشة العظام:
اللص الصامت الذي يسرق كثافة عظامك

○ إعداد : دكتور عصام صالح

ما هي هشاشة العظام؟

● هي حالة يقل فيها بناء العظم الجديد مقارنةً بالفقد الطبيعي للعظم القديم، مما يؤدي إلى:
عظام ضعيفة
سهولة الكسر
انحناء العمود الفقري مع الزمن
نقص الطول تدريجيًا
العظام تُشبه "الخلايا الحية"، تُبنى وتهدم يوميًا. في سنّ الشباب يكون البناء أسرع، لكن بعد الأربعين يبدأ الهدم في التفوق تدريجيًا، خاصة عند النساء بعد انقطاع الدورة الشهرية.

أسباب هشاشة العظام

تتعدد الأسباب بين عوامل طبيعية وأخرى مرتبطة بنمط الحياة أو الأمراض:

1. نقص الكالسيوم وفيتامين D
وهو الأكثر شيوعًا، حيث يؤدي عدم حصول الجسم على ما يكفي من هذه العناصر إلى ضعف العظم.
في السودان، رغم وجود الشمس، يعاني الكثير من نقص فيتامين D بسبب:
تجنب التعرض للشمس
قلة مصادر الغذاء الغنية به
لون البشرة الداكن يقلل الاستفادة من أشعة الشمس
2. التقدم في العمر
كلما زاد العمر قلت كثافة العظام طبيعيًا.
3. العوامل الهرمونية
عند النساء: نقص الإستروجين بعد سن اليأس.
عند الرجال: نقص التستوسترون في عمر متقدم
4. أمراض مزمنة
مثل:
أمراض الغدة الدرقية
أمراض الكبد والكلى
أمراض الأمعاء التي تمنع امتصاص الكالسيوم (مثل السلياك)
5. الأدوية
بعض الأدوية الطويلة الأمد تسبب هشاشة، أهمها:
الكورتيزون
أدوية الصرع
أدوية السيولة
بعض أدوية السرطان
6. نمط الحياة
قلة الحركة
التدخين
شرب الكحول
انخفاض الوزن الشديد

عوامل الخطورة

يزداد احتمال الإصابة إذا وُجدت أحد العوامل التالية:
عمر فوق 50 سنة
تاريخ عائلي لكسور العظام
بنية جسم نحيلة جدًا
المرأة بعد انقطاع الطمث
الرجال بعد سن 70
سوء التغذية
نقص فيتامين D
عدم ممارسة الرياضة

أعراض هشاشة العظام

الغالبية لا يشعرون بأعراض، ولهذا تُسمى "المرض الصامت".
لكن مع الوقت قد تظهر:
1. ألم الظهر
بسبب كسور الفقرات الانضغاطية.
2. نقص تدريجي في الطول
نتيجة انحناء العمود الفقري.
3. كسر في المعصم أو الورك
عادة بعد سقوط بسيط.
4. انحناء الظهر (الكوزة)
خاصة عند كبار السن.

مضاعفات هشاشة العظام

هي الأخطر لأنها تؤثر مباشرةً على نوعية الحياة

كسور الورك: قد تسبب إعاقة دائمة أو مضاعفات خطيرة عند كبار السن.
كسور العمود الفقري: تسبب ألمًا مزمنًا وانحناء الظهر.
تراجع القدرة على الحركة
الاكتئاب والقلق بسبب فقدان الاستقلالية
في السودان، تُعد كسور الورك مشكلة كبيرة بسبب تأخر الوصول للمستشفى وضعف خدمات العلاج الطبيعي.

تشخيص هشاشة العظام

يعتمد التشخيص على:
1. قياس كثافة العظام (DEXA Scan)
هو الفحص الذهبي، ويقيس كثافة العظم في:
الفخذ (الورك)
العمود الفقري
الكتف أحيانا
2. تحاليل الدم
فيتامين D
الكالسيوم
وظائف الغدة الدرقية
وظائف الكلى
مؤشرات الالتهاب
3. تقييم السقوط والخطر fracture risk
باستخدام أدوات مثل FRAX.

علاج هشاشة العظام

أولاً: تغيير نمط الحياة
تحسين التغذية
الإقلاع عن التدخين
ممارسة الرياضة بانتظام
المشي والتمارين المقاومة
ثانيًا: المكملات الغذائية
الكالسيوم: غالبًا يحتاج البالغ 1000–1200 mg يوميًا.
فيتامين D3: الجرعة تعتمد على التحليل، وقد تتراوح بين 1000–4000 IU يوميًا.
ثالثا: الأدوية
تعتمد على شدة الحالة ونوع المريض:

البيسفوسفونات مثل Alendronate
Denosumab
Teriparatide (للنوع الشديد)
العلاج الهرموني للنساء في حالات محددة
رابعًا: العلاج الطبيعي
يساعد على تقوية العضلات وتحسين التوازن لمنع السقوط.

الوقاية من هشاشة العظام

الوقاية هي الأسهل والأفضل، وتشمل:

1. التعرض للشمس
يُفضل 15–20 دقيقة يوميًا في الصباح.
2. التغذية السليمة
مصادر الكالسيوم:
اللبن والزبادي
السارדين
البروكلي
السمسم
البقوليات
3. الحركة
المشي السريع، تمارين المقاومة، صعود السلم.
4. الحفاظ على الوزن الصحي
5. التوقف عن التدخين
6. فحص دوري بعد سن الخمسين

أمثلة من الواقع السوداني

الحالة الأولى
امرأة في منتصف الخمسينات، توقفت دورتها قبل 3 سنوات، وتعاني من آلام الظهر. بعد سقوط بسيط أثناء تنظيف الحوش، حدث لها كسر في المعصم. بعد فحص DEXA، تبيّن أنها تعاني من هشاشة متقدمة. السبب الرئيسي:
نقص فيتامين D، وعدم تناول الكالسيوم، وقلة الحركة.
الحالة الثانية
رجل سبعيني من الخرطوم يعاني من انحناء الظهر ونقص في الطول. يعمل مُزارعًا، ولكنه لا يتعرض للشمس بشكل كافٍ بسبب ارتداء ملابس طويلة. بعد الفحص، ظهرت هشاشة شديدة في الفقرات.
الحالة الثالثة
شاب عمره 30 عامًا يتناول الكورتيزون لفترة طويلة بسبب مرض مناعي، ظهرت لديه هشاشة مبكرة، مما يوضح أن المرض لا يقتصر على كبار السن فقط.

هل يمكن الشفاء من هشاشة العظام؟

لا يمكن "الشفاء التام"، ولكن يمكن إيقاف التدهور، وتحسين الكثافة، ومنع الكسور بنسبة ممتازة عند الالتزام بالعلاج.

خلاصة

هشاشة العظام مرض صامت لكنه خطير، ومع ذلك يمكن الوقاية منه بسهولة عبر:
التغذية الجيدة
فيتامين
الحركة
الفحص المبكر
علاج الحالات المعرضة للخطر

في السودان، الحاجة لرفع الوعي أكبر، لأن الكثيرين يخلطون بين "ألم الظهر العادي" وبين "كسور انضغاطية بسبب الهشاشة".

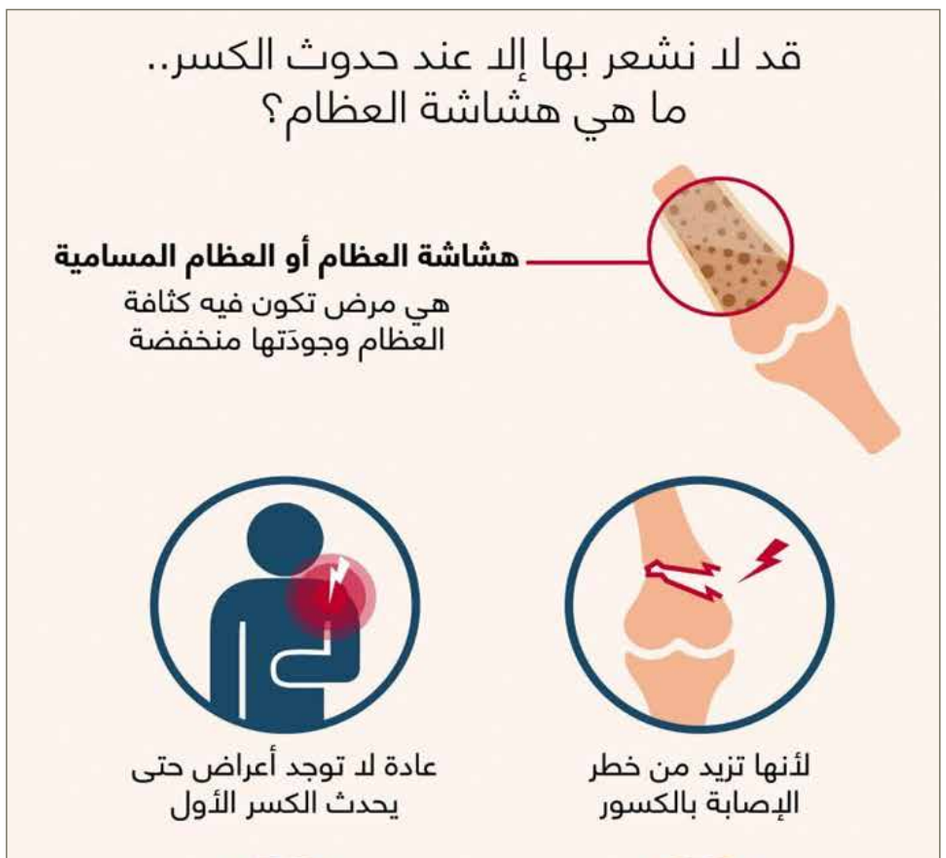

VOICE of sudanese community

السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

الجزيرة ارتبطت بأساطير عديدة أسهمت في تعزيز جاذبيتها السياحية

سواكن ..

مدينة الحجر المرجاني وبوابة السودان إلى الحجاز واليمن

○ سواكن - احمد السيد «الجزيرة»

● سواكن مدينة ساحلية في شمال شرق السودان، وهي من أقدم الموانئ التاريخية على البحر الأحمر، وارتبطت منذ العصور القديمة بحركة التجارة بين وادي النيل وبلاد بونت والحجاز واليمن. ازدهرت مكانتها في العصور المملوكية والعثمانية بوصفها ميناء رئيسيا ومحطة لِلحجاج، فترك ذلك إرثا معماريا فريدا شُيِّد أغلبه من الحجر المرجاني.

الموقع والجغرافيا

تقع مدينة سواكن في شمال شرق السودان على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتبعد عن مدينة بورتسودان مسافة ٥٤ كيلومترا وعن العاصمة الخرطوم نحو ٦٤٢ كيلومترا غربا. وتضم المنطقة جزيرتين مرجانيتين دائريتين في حوضها الضحل، إحداهما مهجورة تماما، بينما تشكل الأخرى -وهي جزيرة سواكن- مركز المدينة التاريخية المتصل بالبر عبر جسر صناعي.

ويغلب على سواكن مناخ حار وجاف عموما، مع تقلبات موسمية، إذ تتراوح درجات الحرارة بين ٢٦ درجة مئوية في يناير/كانون الثاني وفبراير/شباط، وتبلغ ذروتها في يوليو/تموز بنحو ٤٢ درجة. كما تهطل الأمطار في أشهر عدة من العام، ويُعد نوفمبر/تشرين الثاني أكثرها مطرا.

التسمية

سواكن في اللغة العربية لفظ قريب من السكنى بمعنى الإقامة، ويقال: سكن يسكن فهو ساكن، وسواكن جمع ساكنة، كما يُحتمل أن تعني الهدوء والسكينة.

واختلفت الروايات في أصل التسمية، ومن أبرزها ما ذكره الكاتب المصري الشاطر بصيلي، الذي ذهب إلى أن لفظ سواكن من أصل مصري قديم هو «شواخن» ويعني محطة-شوا. وشوا هو اسم مملكة إسلامية بالحبشة (١٠٦٣-١٢٧٩).

ووفق رأي بصيلي، فإن تحول كلمة شواخن إلى شواكن أو سواكن يعود إلى خلو لغات البجا من حرف الخاء الذي غالبا ما يُقلب كافا أو هاء في بعض لهجاتها.

وتوجد رواية أخرى ذات طابع أسطوري تقول إن اسم سواكن مشتق من لفظ «سجون» الذي حُرف بمرور الزمن إلى سواجن ثم سواكن. وترتبط الرواية المكان بسجون يُقال إن الملك سليمان عليه السلام كان يودع فيها الجن والعصاة والمجرمين.

ويرى آخرون أن الاسم عربي الأصل ومشتق من كلمة «السوق»، ويستدلون على ذلك بوصول مهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى المنطقة واستقرارهم في الضفة المقابلة لموقع سواكن، حيث ازدهر النشاط التجاري هناك.

وتحول الاسم -وفق هذا الرأي- من سواق أو أسواق إلى سواكن. ويدعم هؤلاءِ هذا الطرح بالاسم الذي يطلقه شعب البجا على سواكن وهو «أوسوك» ومعناه السوق في اللغة البجاوية.

ويشكل البجا السكان الأصليين للمنطقة، إلى جانب مجموعات عربية ومحلية أخرى. وقد استقطبت سواكن عبر تاريخها الطويل تجارا من اليمن والحجاز ومصر وشرق أفريقيا، مما أكسبها طابعا متعدد الثقافات.

التاريخ

وفقا لمصادر مختلفة، فإنه لا يُعرف تاريخ تأسيس مدينة سواكن بدقة، لكن شواهد أثرية تدل على أن المنطقة كانت مأهولة منذ القدم.

ويُعتقد أن قدماء المصريين، منذ عهد الأسرة الخامسة (حوالي ٢٤٩٤-٢٣٤٥ قبل الميلاد)، استخدموا سواكن محطة في طريقهم إلى بلاد بونت في شرق أفريقيا لجلب الذهب واللبان، كما ارتبط ذكرها بالنشاط البحري والتجاري لليونانيين والبطالسة في العصر البطلمي.

وفي القرن الثامن الميلادي، ورد اسم سواكن في مؤلفات الرحالة العرب وعلماء الجغرافيا، وكانت تمر بها أسر أموية هاربة إلى مصر بعد مقتل الخليفة مروان بن محمد (آخر خلفاء بني أمية في المشرق) سنة ٧٥٠ ميلادية. كما ارتبطت المدينة بنقاط التبادل التجاري على ضفاف النيل، ومر بها الحجاج المسيحيون في طريقهم إلى بيت المقدس.

ومنذ بداية الهجرات العربية وحتى منتصف القرن الـ١٣، ظلت سواكن قرية صغيرة يعيش فيها البجا وجماعات محلية أخرى، مع نشاط بحري محدود.

ازدهرت سواكن في القرن الـ١٥ بعد تدمير ميناء عيذاب على الساحل الغربي للبحر الأحمر، في منطقة مثلث حلايب بين السودان ومصر، وذلك على يد السلطان المملوكي سيف الدين برسباي. ومع انهيار عيذاب، أصبحت سواكن الميناء الرئيسي على السواحل الأفريقية للبحر الأحمر، ومحطة عبور مهمة لحجاج بيت الله الحرام.

وفي القرن الـ١٦، خضعت سواكن للسيطرة العثمانية، وأصبحت مركزا إداريا لحكمهم على مدن الساحل السوداني. غير أن ازدهارها لم يدم طويلا، إذ شهدت المدينة تراجعا ملحوظا نتيجة تضييق الحركة التجارية وتزايد التهديدات الأوروبية في البحر الأحمر.

وفي القرن الـ١٧ أصبحت سواكن قاعدة عسكرية للحملة العثمانية على اليمن، ثم أجرت للوالي محمد علي باشا في القرن الـ١٩ مقابل جزية سنوية. وقد زاد عدد سكانها من البجا والعرب والتجار القادمين من مصر واليمن والهند وبلدان أخرى، لكنها تدهورت تدريجيا بعد استكمال السيطرة البريطانية والمصرية على السودان. وفي نهاية القرن الـ١٩، استخدم البريطانيون المدينة مركزا لقواتهم، ثم شرعوا في بناء ميناء جديد في بورتسودان بداية القرن الـ٢٠، مما أدى إلى نزوح السكان وفقدان سواكن أهميتها التجارية. ومنذ ذلك الحين، أصبحت المدينة شبه مهجورة، محتفظة بآثار حضارتها البحرية والتجارية القديمة.

المعالم

تمتاز مدينة سواكن بتراث معماري فريد تشكل عبر قرون من النشاط التجاري والبحري، وتضم بقايا منازل وآثار من القرون الوسطى شيدت بالحجر المرجاني وزينت بالخشب المنقوش، مما يجعلها واحدة من أغنى المناطق الأثرية في شرق أفريقيا.

ومن أبرز معالم سواكن:

المركز التاريخي للمدينة، وهي جزيرة مرجانية انهارت مبانيها وتحولت إلى أطلال تُجسد تاريخا بحريا ازدهر قرونا طويلة. بُنيت مبانيها بطراز معماري فريد يجمع بين التأثيرات التركية والمملوكية والبريطانية، ومعظمها مكون من طابقين أو ٣، ومشيدة بالحجر المرجاني الأبيض ذي الشرفات الواسعة والنوافذ الكبيرة.

كانت الجزيرة ميناء طبيعيا بارزا، يتوغل فيه لسان بحري نحو الداخل ليتكون حوض محمي بطوق من الشعاب المرجانية. وقد زارها عدد من الرحالة والمؤرخين مثل ابن بطوطة وصمويل بيكر، وكذلك قادة وزعماء أبرزهم الخديوي عباس حلمي والجنرال البريطاني اللورد إدموند ألنبي.

وقد ارتبطت الجزيرة بأساطير محلية عديدة، أبرزها قصة «سوا-جن» التي تزعم أن الجن هم من شيدوا مبانيها العملاقة، إضافة إلى الحكايات الشعبية عن قطط سواكن ذات العيون اللامعة التي تضيء الليل، وهي أساطير أسهمت في تعزيز جاذبيتها السياحية.

وشهدت الجزيرة اهتماما كبيرا بعد زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لها في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧، إذ أعلن عزم بلاده دعم عملية ترميم المدينة الأثرية، وهو ما لاقى تأييدا من السلطات المحلية.

الجزر والشعاب المرجانية

تضم المدينة أيضا جزيرة الحجر الصحي الواقعة على بعد ٥,٨ كيلومترات من سواكن، وكانت تستخدم قديما مركزا للحجر الصحي للقادمين بحرا، إضافة إلى جزيرة الرمال التي تبعد حوالي ٣٢ كيلومترا وتعرف بشواطئها ومواقع الغوص القريبة منها.

وتمثل سواكن إحدى أغنى مناطق البحر الأحمر بالشعاب المرجانية، ومن أبرزها شعاب داموث والمدخل وقاض إيتود وبيرنس، وتجذب هواة الغوص لما تتميز به من جمال وتنوع بيولوجي

الحصون والبوابات التاريخية

تقع معظم هذه المعالم في منطقة القيف، وتشمل بقايا سور المدينة وآثار الحقبتين العثمانية والبريطانية. ومن أهمها بوابة اللورد هربرت كتشنر -المعروفة ببوابة شرق السودان- إضافة إلى حصون مهاجر وأبو الهول وطوكر والسودان والأنصاري واليمني. وتمثل هذه الحصون شواهد على مراحل النفوذ المتعاقبة في المنطقة.

متحف هداب

أكبر متحف في شرق السودان، وقد أسسه محمد نور هداب، أحد أعلام سواكن. يضم مقتنيات تاريخية تمثل عصورا مختلفة من تاريخ المدينة، تشمل قطع الأثاث والأزياء والصور والوثائق القديمة.

ويحتوي المتحف على مقتنيات تعود للأمير عثمان دقنة، أحد أبرز قادة الثورة المهدية في شرق السودان، من بينها الزي الذي كان يرتديه ووثائق من تلك الحقبة. كما يعرض نماذج من العمارة التقليدية وفنون سكان سواكن وشرق السودان.

آثار أخرى

تشمل بقايا المباني القديمة في الجزيرة والساحل، وهي عمارة مميزة شيدت من الحجر المرجاني وتعكس الازدهار الذي شهدته سواكن عبر التاريخ، ومن أبرزها:

قصر التاجر محمد علي الشناوي المبني بالنمط المصري.
منزل خورشيد أفندي.
مبنى الجمارك القديم.
مبنى البنك الأهلي المصري.
المسجد الشافعي.

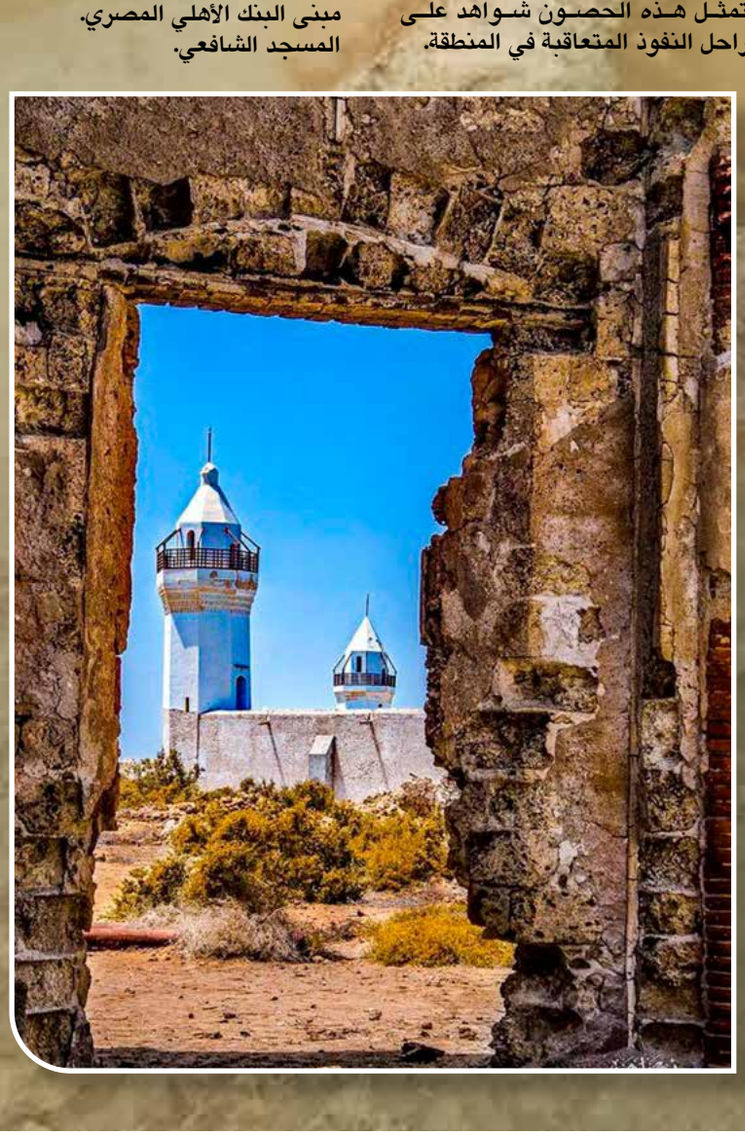

أسئلة الحداثة في الرواية السودانية

عز الدين ميرغني

(قدمت هذه الورقة ضمن فعاليات معرض الخرطوم)

○ تنبأ هيجل في كتابه (محاضرات في الاستيطيقا) , بظهور الرواية , بوصفها نثر الحياة الحديثة , التي يعبر عن انكسار الوحدة التي تربط الفرد بالمجتمع ووحدته الكلية التي ينتمي إليها , وتزايد شعور الفرد بالاغتراب , فالشعر كما يقول الدكتور رمضان بسطاويسي في كتابه (عن الرواية الحديثة في دولة الإمارات) . بعنوان : (الخطاب الثقافي في الإبداع الأدبي في الإمارات قراءة في القصة والرواية – البنية والأسلوب) . فالشعر كان تعبيرا عن توحد الفرد بالجماعة وارتباط بالكل وتعبيرا عنه , ولذلك فإن تقنيات الشعر المعاصر , في تعبيره عن زمانه الخاص , تقدم تعريفا جديدا لشعرية الشعر , مثلما تحاول القصة والرواية تقديم المعنى الأدبي للحياة .

لقد بدأ التاريخ الأدبي للرواية السودانية في خمسينات القرن الماضي , وقد بدأت مثلها والرواية العربية بداية متواضعة , أقرب إلي التقليد لنمط الرواية التقليدية المصرية . والتي كانت بدورها تقليدا لنمط الرواية الغربية والتي كانت هي نفسها تحاول التخلص من هذا النمط التقليدي والذي بدأ في أوربا منذ رواية (دون كيشوت) , ورواية (موبي ديك) , وغيرهم . ومحاولة تطور الرواية في أوربا , والذي وصل إلي ما يسمى بالرواية الحديدة , (Le roman nouvel) , ظهر ت محاولات التجديد منذ ظهور الثورة الصناعية الكبرى . وهذه الرواية الجديدة ظهرت في سبعينات القرن الماضي . وحسبما ذكرنا فإن ظهور الرواية السودانية قد ارتبط بالنمط التقليدي , حيث ظهرت كتابات خليل عبد الله الحاج وفؤاد عبد العظيم , وملكة الدار محمد , والتي كانت تكتب الواقعية وبطلها الايجابي الذي لا يتمرد على المجتمع . وهي روايات ظهرت في عهد الاستعمار , فما حاولت أن تكتب أشواق الأمة في التحرر منه . وحتى بعد الاستقلال لم تستطع كتابة النضال الذي توج الاستقلال . فهي لم تكتب بطولات على عبد اللطيف , وعبد الفضيل الماظ , وغيرهم . لقد طغت القصة القصيرة على الرواية , لقدمها ورسوخها لأكثر من قرن مضى . حتى بداية الستينات وما بعدها بظهور الروائي الراحل الطيب صالح , والذي أتاح له السفر والعمل خارج الوطن مع مهنة الإعلام والثقافة الأنجلوفونية , أن يواكب تطور الرواية الأوربية وانعتاقها من قيود الشكل الكلاسيكي القديم . في أن يحدث الشكل

والمضمون في رواياته . فجاءت متضمنة لكل شروط الشكل والمضمون الحداثوي في الرواية . لقد استخدم تقنيات السينما في الرجوع والعودة والاستباق , ثم المونتاج السينمائي بحيث يلملم الأحداث المتفرقة ويربط بينها بخيط سردي قوي .

ورغم أن الطيب صالح لم يقلد ما جاءت به الرواية الفرنسية الجديدة , والتي كان من عمدها ومؤسسيها (آلان روب جرييه , وناتالي ساروت , وميشيل بوتور (والذي توفي هذا العام) , لقد اهتمت هذه الرواية فيما اهتمت بلفظ ما يسمى بمفهوم البطل , والمعرفة المهيمنة للمؤلف (موت المؤلف) , والانسجام النفسي للشخصيات , ومفهوم الانعكاس مع الواقع , كما تخلوا عن الخطة الزمنية , والحبكة التقليدية , واهتموا أكثر بالحياة الداخلية للفرد والذي أصبح مركز عملية السرد . ولذا فقد كان ذكيا في ذلك لان من قلدوا الرواية الجديدة في العالم العربي قد وقعوا في فخ كتابة اللا معنى في النص , وأصبحت الكثير من النصوص الروائية نصوصا منبتة ولا تحمل بطاقة أو هوية سردية . نصوصا بلا رأس تارة , وتارة بلا ذيل , حكايات بلا حكاية , , ولغة بلا روح ولا معنى , كما يقول الناقد المغربي سعيد بو كرامي . (مجلة الدوحة عدد أكتوبر الأخير) .

لقد فتح الطيب صالح الباب واسعاً للتجديد والتحديث في الرواية السودانية والعربية , وهذا التجديد والتحديث لا يشمل الشكل فقط , وإنما الشكل الحداثوي الذي يحمل مضموناً جديدا يحفر في فجوات الواقع وثمرات التراث السوداني في التصوف وفي الحكايات القديمة والأساطير المنسية في الثقافة السودانية (دومة ود حامد , بندر شاه , وضو البيت) . لقد توقفت الرواية السودانية بعد الشهرة التي نالها الطيب صالح , منذ نهاية الستينات وحتى بداية الثمانينات , والتي وقف فيها الروائي السوداني خائفاً من تقليده أو من عدم الثقة في اختراق سقفه الذي ناله بشهرته . رغم ظهور روايات إبراهيم اسحق , والذي كان واثقاً من نفسه وأدواته السردية ومضامينه ولغته التي تختلف عن لغة الطيب صالح السردية . وانفتح الباب واسعاً في نهاية الثمانينات , لتظهر روايات على الرفاعي , (نال هذا العام جائزة كتارا للرواية غير المنشورة , رواية جينات عائلة مورو) والروائي بشرى هباني , والفاتح علي مهدي , والحسن محمد سعيد , وفيصل مصطفى ,وجمال محمد إبراهيم , وضحية , وأبكر آدم إسماعيل , والعباس علي يحي العباس , وعبد العزيز بركة ساكن , ومنصور الصويم , والحسن البكري , والزين بانقا ,وأمير تاج السر , ومحمد هارون وأحمد الملك , وضحية , وصلاح سر الختم . وغيرهم . ومن الكاتبات زينب بليل , وبثينة خضر مكي , وليلي أبو العلا , وملكة الفاضل . وشامة ميرغني , ونفيسة زين العابدين , وأميمة عبد الله , وسارة حمزة الجاك . وغادة عبد العزيز .

لقد أتاح التعدد الثقافي للمجتمع السوداني في أن يثري المضمون والمحمول الثقافي للرواية السودانية , ويجعل الحداثة ليست هي الشكل فقط وإنما الأخذ الجيد للواقع الثقافي السوداني المتفرد عن بقية المجتمعات العربية والإفريقية . وهذا التعدد الثقافي خلق تعددا فنيا متنوعا في الفن الروائي . وقد كشف في الكثير من الروايات الحديثة وخاصة عند الشباب , عن وجود الكثير من التراث الحياتي الذي لم يدون .

ومن الخامة التاريخية التي لم تكتشف . والذي أغرى بعض من كتاب الرواية للتخييل في داخله مثل الروائي الحسن البكري , وأمير تاج السر , وجمال محمد إبراهيم , وحمور زيادة .ومنصور الصويم . وكتابة صور الحياة اليومية في الماضي والحاضر , وصور الموروث الشعبي , كما في روايات إبراهيم اسحق , والحسن البكري , وجماليات المكان , كما في روايات على الرفاعي . والكيانات الإجتماعية التي تقع على أطراف الخريطة الاجتماعية والسياسية والجغرافية , كما في روايات عبد العزيز بركة ساكن , وأبكر آدم اسماعيل , وعادل سعد . ولقد أظهرت كتابات الأجيال الجديدة والتي فازت أو طبعت خارج الوطن , الثقافة الصامتة , أو المسكوت عنها , بل انفتحت على كتابة الإنسان دون تحديد المكان كما في روايات عباس على عبود وعمر الصائم , ومحمد خير عبد الله . وضياء الدين حاج عثمان .

لقد استفاد الجيل الجديد من كتاب الرواية في السودان , من ما سبقوه , فلم يكن الطيب صالح سقفاً خافوا من تجاوزه , وإنما رائداً ومستكشفاً ساروا على نهجه في مغامرة التجريب والتجديد . بحيث تنامي الوعي الجمالي والأدبي عند الكثيرين منهم . وغامر البعض منهم باستخدام الواقعية الصوفية والترميز العيني الذي يستنطق الأشياء كما في روايات عبد الغني كرم الله , ويغامر بدخول عالم الجن وسحره كما في رواية علي الرفاعي , والتي نال بها الجائزة في مسابقة (كتارا) . ورواية (مسرة) للراحل الدكتور (بشرى هباني) . وأكثر من صور مآسي الغربة والضياع فيها الروائي عماد البليك , والروائي السوداني الذي يعيش خارج السودان ويكتب بالإنجليزية جمال محجوب , وقد صور في رواياته مشكلة الإنسان الهجين وغربته , وطفولته التعيسة . لقد استفاد أغلب هؤلاء الكتاب , من التقنيات الحديثة , المواكبة للرواية العربية والعالمية , حيث تعدد الأصوات السردية داخل النص , والتي يطلق النقد الحديث عليها مصطلح (البوليفونية) , وتقنية الراوي العليم , الذي قد يهيمن على كل العملية السردية , أو يتبادل السرد التناوبي مع صانعي الحدث داخل النص الروائي .

وفي كتابة المرأة السودانية للرواية , والتي بدأتها القاصة والروائية ملكة الدار محمد في روايتها (الفراغ العريض) , مبكرا ثم توقفت الرواية النسائية بعدها لمدة حتى يتهيأ وضعها للكتابة بحسب تحولات المجتمع الجديد , بعد الاستقلال , فقد كانت كتاباتها تحمل سمة الحداثة في الشكل من حيث تقنيات الكتابة الحديثة , وهي في فترة التوقف هذه قد استوعبت كل تجارب الكتابة في الداخل وفي الخارج , حيث انتشار التعليم والجامعات , ووسائل الاتصال الحديثة . لقد انحصر التجديد والتجريب عند الرائدات الأوائل من جيل المدرسات (زينب بليل , بثينة خضر مكي , ملكة الفاضل) , في كتابة الهموم العامة للمرأة , حيث تطرح قضايا الجندرة العامة , وليست هموم الذات الخاصة . حتى جاء جيل الروائيات الجديد , والذي استفاد من الحداثة في كتابة الرواية في الشكل والمضمون , وقد أتاحت له ذلك انتشار الرواية وسط القراء , وحرية المشاركة والمنافسة في المسابقات , والتي تقبل التجديد والحداثة ومغامرة التجريب في الرواية .

وقد أصبحت أكثر جرأة في الكتابة والتعبير عن أشواق العاطفة والجسد عند بطلات رواياتهن . وقد وجدت الكاتبة ما بعد عهد التسعينات , الفرصة لمواجهة قضايا الإنسان الحية , ثم الدخول إلي محارة الذات , لتكتشف الواقع الجديد للمرأة السودانية , دون أن تنقله كما هو , وإنما أن تعيد صياغته من جديد . فهي لا تستكين لما هو جاهز في الرؤى وإنما تكتب الوجع الداخلي الخاص , والذي لا يستطع الرجل أن يكتبه نيابة عنها . وهذا الوجع يظهر حتى في عناوين الروايات والتي تمثل عتبة النص الأولى . (ليتك تعلم) لغادة عبد العزيز , فالبطلة تتوجع منذ العتبة الأولى والآخر لا يعلم , و (خيانتئذ) , لسارة حمزة الجاك , حيث رائحة الخيانة تفوح منذ عتبة الدخول , و (الغابة السرية) , للروائية ليلى صلاح , حيث الفضاء المكاني غابة سرية , ندخلها منذ البداية , و (حجر الدم) , لشامة ميرغني , حيث إدانة العنوان منذ البداية لظاهرة الختان الفرعوني .

والكتابة لدى الكاتبة التي تنتهج منهج الحداثة والتجريب , يعني كتابة الألم والمعاناة , وحدة الوعي , ويقظة التخيل , فلا تنداح الأشياء , وإنما تتشكل فالتفكيك للتجربة المعاصرة , يعني تقديمها في صياغة مركبة , وليست معقدة , إلا لمن ير مستوى واحدا للأشياء , بينما للحياة مستويات متعددة .

كلمات متمردة

بكم تشتريني؟!

سارة عبدالمنعم *

○ على تلك الجلسة الممهورة بنفاق وجوهٍ تتجمّل بضحكات أرستقراطية، وأواني الشاي مهلَلة ببرودتها، وبقربٍ طاولةٍ تنتظر موعد انقضائها لتلملم وجه وحدتها دثارًا تنام عليه.

كل هذه التكاليف من أجل ضيوف هذا اليوم، أقصد من يريدون قربي. سأكتشف غرابتهم بعد أعوام أصير بينهم فاقدة لنجومية هذه اللحظة!

كعبُ حذاء عال يكفيَ لإطالة قامتي، وأحمرُ شِفاه أمنع به لسان ضجري عن لعقها، وأسدال خصلاتي يُغنيهم عن فضول قياس شعري، وعطر باريسيّ ينبئهم عن سِحر مسامي المتعبة. وهذا الفستان جدير بكشف ساقي لنيل إعجابهم.

قليل من التَرنّح لخط ظهري كفيل بهزّ ردفٍ يُثير إعجابهم بهذا الجسد، جسد يتفقون عليه جميعًا بعيون تفحّص لا تغيب.

أَين كُحلي! يجب على هذا السواد أن يُبرز حدقاتي لتلائم اتساع بياض أضاجعه برمش خجل ودلال. أدهن يديّ جيدًا، بلا شك يجب أن تكونا ناعمتين عند المصافحة.

ليت بابي يُقرع الآن! ليأخذوني من وجه طاولتي، لينتهي هذا المساء المرهق سريعًا.

أحنّ لهيئتي دون تكلّف، لشعري المنكوش، لفستان مثقوب الإبط، لفنجان قهوة يُجلسني مزاجه أرضًا بقرفصائيتي.

أحتاج إلى صوتي الضاج دون قيود تحجب رنّات ضحكاتي الصاخبة بنظرات تكبّل حباله.

أين ذهبت قطّتي! لا يحق لها الغياب الآن، بل خيرًا فعلت بذاك الفرار الذي أتمناه.

وبضع خطوات، بعض ابتسام، صوت خفيض، هؤلاء ما يجب اصطحابهم للخروج على جمهور يترقبني، وتحذير بصوت أمي من رعونة أفعالي. لا وقت لنقاش واعتراك، أومئ برأسي، يرفض عقلي فكرة هذا المشهد وتمثيل دوره.

وهذه المرأة تسرق أساورها المذهّبة نظرات الجميع وتحتويني بقوتها، وتلك الفتاة تُثير بأحاديثها تَصدّعي. أتساءل بيني وبيني: «أترى تقلد إحدى فتيات التلفاز؟»

أراقب وجه رب أسرتهم، صمته يُشعل أنفاسًا ويُطفئ أخرى، وامرأته تمارس دور الواعظ بأن التدخين ضار بالصحة، وأنه لا يستمع إليها... وأنه... وأنه...

فنجان قهوتي يراقبني باشتياق من بعيد، أظن أن أحمر شفاهي لا يثير إعجاب تقرّبه. أمارس حديث شوقي إليه، أكاد أنهض لتناوله، تُصبّ جليساتي نظراتٍ مانعة، أشير بصمت: إنه فنجان قهوتي!

تبدأ الخُطبةً، لا أعلم ما الذي فاتني فيها، لكن صوت الفتاة حدّثني عن أسرتها وأملاكهم، وأصلهم وفصلهم، ودول أسفارهم.

كنت منشغلة بوجه التناقض بيني وبينها، بل تعدّى المشهد إلى تفَرّس نظراتي في وجهٍ وسيم.

هل أكلت قطتي لسانه بحضورها؟!

عمّ الصمت الجميع، وأمي لا تقوى على إخراجي من تمعّني بنحنحتها. كان جميلاً جدًا، فارع القوام، بين سُمرة مكتسَبة بالتنعّم، ولون لحية سوداء تعانق شاربًا مهذبًا، تجلت أسنانه المرصعة بنوائب فضية.

كنت هناك سارحة، غضّ طرفه ملؤه الحياء، هكذا همست أمه تمدحه.

لم أكترث لمحاولتها إيقاف فعلتي التي بلا شك سأتهم بالفجور بها.

أخيرًا تفيقني قطتي بمؤازرة حضور، أصرخ بها فرحًا: أين كنت مني! يستعيد المجلس بروتوكولاته التي خرقتها.

لم يكن وجهه يُقدني اتزاني، ولا يملك سحرًا يذهب عقلي. أردت شيئًا فيه لا أعلمه، سوى: هل يناسبه رؤيايَ بعاداتي المعتادة دون هذا التكلّف؟ بل لم ينادِ قطتي لمداعبتها، وهي أيضًا لم تحبه.

و...

«نريد تحديد موعد الزواج!»

أخيرًا هذا الأحمق يُسمعني صوت حديث، ينظّف أذني من حروف معطّشة بين أمه وفتاتها التي نقلت عدواها إلى ألسنة نسوة الحضور.

كان هناك القرار قراري، رغم أنه مبرم بين الجميع، لكنها كلمات جوفاء تهب الفتاة مجرد ترديد رأيهم كبريستيج يدّعي الحرية.

قلت له:

«هل تُصلّي الفجر؟ وأين؟

أيمكنني إيقاظك الثالثة فجرًا لتناول قهوة في شارع بيتنا؟

هل تتغاضى عن مساحيق وجهي حين أخرج برفقتك لسهرات أُنسك؟

لا أعرف الطبخ، ولن تخدمني خادمتك. أيمكن لأمك أن تعلمني إيّاه؟

ولن أتخلى عن قطتي.

ولعلمك، لم يكن قلبي بتولاً، غير أن حمقاء مثلي لا تملك من الحياة سوى الجنون، ذات الجنون الذي جاء بك لطلب يدي.

لا شيء نلتَ به إعجابي سوى هذا الوجه وجسده.

هل تسمّونه زواجًا؟!

لا تحددوا وقته، بل قل لي: بكم تَشتريني؟!»

* كاتبة روائية.

قصيدة جديدة

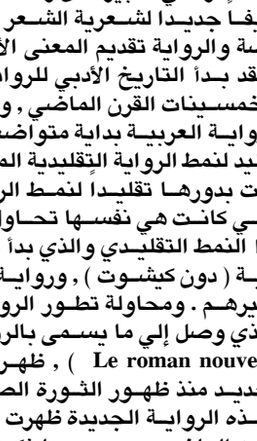

كيف .. انساك

عبدالوهاب هلاوي - أسوان

○ (الذكرى الثانيه لرحيل زوجتي الحرم حسين ٢٠٢٣/١٢/٤ بأسوان. ولا حول ولا قوه الا بالله)

كيف انساك .. وانت معاي
مكان ما كان
زمان ومكان
كيف انساك .. إذا النسيان
محتاج نفسو ..
لي نسيان

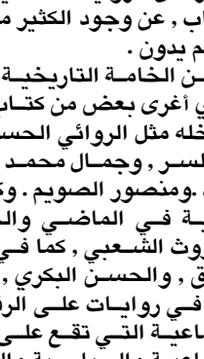

وياتو عيون تساعد عيني
شان تنساك
حنين وحنان ..
وكيف انساك ..
إذا النسيان ..
محتاج عندي
لي نسيان ..
تصور زول صبح في نفسو

ذاتو دموع
إذا لاح الفرح .. ممنوع ..
إذا الايام بقت
ما كان ..
وانت معاي .. وين
ما كان ..
بين الضحكه والاحزان ..

بين أولادنا
والحبان ..
منو البعرف يوصف لي
طريق نسيان ..
وياتو عيون .. تساعد عيني
شان تبكيك ..
حنين .. وحنان ..
واذا النسيان .. محتاج نفسو
لي نسيان ..

ذكريات جوّية (2)

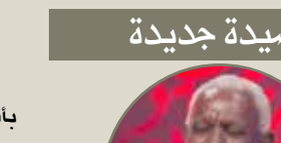

بقلم : زين العابدين الحجّاز

○ في شهر مايو من العام ١٩٦٩ أخبرني أحد الأصدقاء بأن هناك اعلانا من القوات المسلحة لاستيعاب طلبة حربيين كطيارين في سلاح الطيران على الطائرة الروسية المقاتلة من طراز ميج – ٢١ فقدمت طلبا مرفقا بالشهادات اللازمة و سلمته لمكتب شئون الضباط في القيادة العامة . بعد فحص الطلب و مرفقاته طلب مني الضابط المسؤول الحضور للمعاينة أول الاسبوع بسلاح المظلات في شمبات . ذهبت في الموعد المحدد مع آخرين لمقابلة لجنة المعاينة برئاسة العميد محمود عبدالرحمن الفكي مدير شئون الضباط و عضوية الرائد طيار محمد عثمان همرور من سلاح الطيران و النقيب سليمان حسن سليمان من شئون الضباط . جاء دوري و دخلت عليهم ومكثت معهم حوالي نصف ساعة أمطروني خلالها بوابل من الأسئلة بنفس حازم و صارم ثم أخبروني بأن المقابلة قد انتهت و طلبوا مني المغادرة و مراجعة شئون الضباط في القيادة العامة نهاية الاسبوع لمعرفة نتيجة المعاينة ..

خرجت و في نهاية الاسبوع ذهبت الى شئون الضباط فأخبروني بالموافقة على تعييني و طلبوا مني الحضور بعد يومين للسلاح الطبي بأم درمان للخضوع الى فحوصات طبية .

ذهبنا الى السلاح الطبي بأم درمان و أجريت علينا الفحوصات اللازمة و بموجب نتيجتها تمّ استبعاد عدد منا . أخبرونا بأن فريق طبي سوف يصل من الاتحاد السوفيتي لإجراء فحوصاته علينا . انتظرنا أكثر من شهر حتى وصل الفريق و قام بالفحوصات اللازمة . نجحت في اجتياز تلك الفحوصات و تقلص عددنا الى خمسين منهم الملازم عبدالرحمن مبارك الذي أصبح مشرفا على دفعتنا و في نفس الوقت متدربا بالاضافة الى ستة آخرين من طلبة الكلية الحربية . ذهبنا الى محل ترزي الجيش عابدين عوض عند شارع الجمهورية بالخرطوم الذى جهّز لنا البدل العسكرية و زوّدنا بملحقاتها الى جانب قماش البدلة المدنية للسفر . تمّ تحديد يوم المغادرة الى الاتحاد السوفيتي الأول من يناير عام ١٩٧٠ فعملت توكيلا لعمي محمد حجّاز سليمان لصرف راتبي من القيادة العامة و تسليمه شهريا الى والدتي و اقتطاع جزء منه لصديقي الطالب الجامعي المحتاج . في عصر يوم المغادرة الى الاتحاد السوفيتي ذهبت الى مطار الخرطوم و كنت آخر من حضر من الدفعة فقد وصلت متاخرا و الجميع و كأنهم كانوا في انتظاري بما فيهم وزير الدفاع اللواء خالد حسن عباس الذي حضر لوداعنا فبادرني قائلا : (جابي ليه ما كنت ما تجي !!) . استغلينا بعدها طائرة الكوميت الى القاهرة و بالنسبة لي فقد كانت تلك أول مرة في حياتي أركب طائرة . كان في صحبتنا النقيب مصطفى عبادي فوصلنا القاهرة و قضينا هناك ليلة من ذات الليالي في فندق سميراميس ثم غادرنا الى مطار موسكو في الصباح و تركنا عبادي في القاهرة. وصلنا موسكو في صقيع و جليد و برد قارس كاد أن يسحن عظامنا لولا أن أسعفونا بطواقي و معاطف برد روسية . في المطار استقبلنا الملحق العسكري اللواء مبارك عثمان رحمة والقى علينا بعض كلمات في صرامة متناهية ختمها بكلمة " انصراف " . اقلتنا طائرة عسكرية الى مدينة " تاكماك " بجمهورية كرغيزيا جنوب الاتحاد السوفيتي وهناك جهّزوا لنا سكنا في داخلية ملحقة بالقاعدة الجوية . سبقتنا الى هناك مجموعة من السودانيين من فنيي سلاح الطيران و لحقت بنا مجموعة من الطلبة للتدرب على الطائرات المروحية و الملاحة الجوية تم استيعاب عدد منهم بواسطة شئون الضباط ممثلة في مندوبها النقيب سليمان حسن سليمان و ذلك من الجامعات الروسية و الدول الاشتراكية الأخرى و تمّ ارسالهم الى مدينة " كانت " المجاورة لنا كذلك كان معنا في نفس القاعدة مجموعة من الطلبة الطياريين من اليمن و السنغال و الجزائر . تواصلت فحوصات اللياقة الصحية وأذكر من ضمنها أن أدخلونا في غرفة مخصصة في داخلها يتم رفع مستوى ضغط الهواء تارة و يخفض تارة أخرى مما عرّض بعضنا الى دوخة أو رعاف . نتيجة لتلك الفحوصات تم تحويل بعض الطلبة للملاحة الجوية أو للتدرّب على قيادة الطائرات المروحية المقاتلة بدلا من الطائرات النفاثة المقاتلة التي تحتاج الى لياقة صحية عالية .

بدأنا الدراسة بتعلم اللغة الروسية في مجموعات منفصلة تحت مدرسات روسيات الى جانب دراسة علوم أخرى مثل الطبوغرافيا و المترولوجيا و الأسلحة النارية تحت مدرسين متخصصين و ذلك بواسطة مترجمين أحدهم أذكر كان اسمه إدريس عمل مترجما لفترة في جنوب السودان وهو لا يقصّر اطلاقا في استخدامه للغتنا الدارجة و أحيانا الشوارعية في ترجمته الفورية . في تلك الأشهر شرّفنا اللواء الباقر أحمد ومعه العميد مصطفى أورتشّي في زيارة سريعة و أيضا قامت بزيارتنا مجموعة من طياري سلاح الطيران من ضمنهم الرائد صبري أرباب وذلك بغرض التنوير. تم وضع لوحة امام مدخل داخليتنا عليها صور فوتغرافيا للمتوفقين من الطلبة و كنت من ضمنهم .

انتهينا من تلك الفترة التي امتدت الى ستة أشهر و بعدها تمّ تحويلنا الى مدينة " جامبول " بجمهورية كازاخستان . هناك بدأنا دراسة علوم الطيران شملت نظرية الطيران و الملاحة الجوية و الاتصالات اللاسلكية و محركات الطائرة و هيكل الطائرة ذلك بالاضافة الى مادة جانبية تحت مسمى التجهيز العام و تعنى في غالبها بالسياسات و النظريات الاشتراكية . مدرّس مادة الطيران كان يشبه الفنان محمد وردي فاطلقت عليه اسم وردي فسار عليه بين زملائي و معظمهم لا يعرف اسمه الحقيقي حتى الآن . في سبتمبر من العام ١٩٧٠ الضابط الروسي المناوب وهو مدرّس مادة التجهيز العام جمعنا الى طابور استثنائي وهو يلف شارة سوداء حول ذراعه وألقى علينا في كلمات مقتضبات نبأ رحيل الرئيس جمال عبدالناصر وأمرنا بعدها بالإنصراف ثم انصرف ودخل في نوبة من البكاء والنحيب زادت قلوبنا حزنا وألما وطفقنا جميعا ننتحب ونتحسّرعلى فقدنا الجلل . في نوفمبر من نفس العام لحقت بنا مجموعة صغيرة من الطلبة الطيارين الدفعة ٢٤ للتدرّب على الطائرة النفاثة المقاتلة .

خلصنا من تلك الفترة في ظرف ستة أشهر و عدنا مرة أخرى الى مدينة تاكماك حيث القاعدة العسكرية و بها المطار و ذلك لبدء التدريب العملي على قيادة الطائرات النفاثة من طراز إل – ٢٩ . تواصلت الفحوصات الطبية وبموجبها تمّ استبعاد عدد منا من ضمنهم الملازم عبدالرحمن مبارك و حل محله النقيب حسّان عبد الرحمن مشرفا على الدفعة و الذي أصبح لاحقا وزيرا للدفاع .

الرومانسية بين المصطلح والمفهوم (1-2)

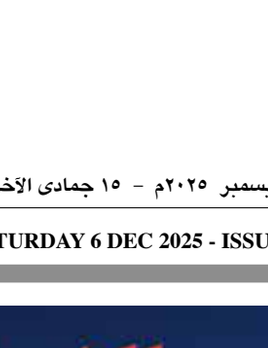

د. أسامة خليل

○ تعتبر الرومانسية من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلاً واسعا عند نقاد الأدب ودارسيه في تعريفها على وجه التحديد والدِّقة، وذلك لاتساع المعنى الذي تدُور عليه كلمة الرومانسية كمصطلح ذي مفهوم محددٍ في النقد الأدبي، مما جعل بول فاليرِي يصرح ساخرا ة«لابدَّ أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانسية».

وقد أشار الدكتور محمد غنيمي هلال إلى صعوبة هذا الأمر لتوافر التعريفات التي وقف عليها في هذا المنحى حتى قال:«من العسير أن تُعطي تعريفا قصيرا لهذا المذهب الأدبي المعقد الجوانب، وكثيرا ما يؤدي تعريف الأشياء على هذا النحو إلى تنكيرها والتضليل في مفهومها». بينما ترى الناقدة ليليان فيرست:«قصور التعريفات الواسعة والمحددة على السواء من حيث إن بعضها يعتبر صحيحا بالنسبة إلى أعمال معينة بينما لا يعتبر صحيحا بالنسبة إلى أعمال أخرى».

وتعلل جيهان صفوت أن:«صعوبة الوصول إلى تعريف محدد للرومانسية يعودُ بالدرجة الأولى إلى طبيعةِ الحركةِ الرومانسية ذاتها، فهي حركة فنية أدبية معقدة متعددة المظاهر والاتجاهات. ولذا فإنه من العبث محاولة صياغة تعريف محدد في عبارة مقتضبة للرومانسية بعامة ومن الأفضل أن نحاول فهم الرومانسية على أنها مذهب أدبي من أخطر ما عرفته الحياة الأدبية العالمية، سواء في فلسفته العاطفية ومبادئه الإنسانية أم في إثاره الأدبية والاجتماعية دون أن نحاول تعريفها تعريفا دقيقا».

من هنا تتضح صعوبة الوصول إلى تعريف محدد للمصطلح من خلال المحاولات التي جرت من قبل بعض مؤرخي الأدب في عام ١٩٢٥م، الذين أحصوا أكثر من مائة وخمسين تعريفا في سبيل وضع تعريف محدد للرومانسية. وقد سبقتها محاولة أخرى على يدِ الألماني شليجل الذي:«جمع محاولات تعريف الرومانتيكية في مائة وخمس وعشرين صفحة»، ولم يكن الأمر في مجمله إلا اجتهادات غاية ما وصلت إليها أنها وضعت الخطوط العريضة للمصطلح.

وعلى الرُّغم مما يعترض مصطلح الرومانسية من مشكلات تفوق الحصر أرى أن دراسة هذا الموضوع يتطلب إلماما بالظروف التاريخية والعوامل الاجتماعية التي نشأ في ظلها هذا المذهب؛ لأن كثيرا من أسماء المذاهب والنظريات الاجتماعية أو الأدبية تتخذ لنفسها علاقة وثيقة إن لم تكن لصيقة بالظروف والبيئة التي نشأت في ظلها.

ويتطلب تعريف المصطلح الذي اتخذه هذا الاتجاه أو تلك النظرية الرجوع إلى أصل الكلمة، أو إلى ما كانت تنطبق عليه، وإلى مدلولاتها المختلفة سواء في الماضي أو الحاضر، ومن هنا يمكن الانطلاق لبحث الجانب الموضوعي، وإبداء وجهات النظر المتباينة فيما يمكن أن يندرج تحتها من مذاهب واتجاهات.

ولكي نصل إلى نتيجة منطقية في بحثنا لهذا الموضوع سنتناول الرومانسية بالتحليل، ثم نتعرض للظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية التي أدَّت إلى ظهور هذا الاتجاه، يستلزم ذلك أن نتناول شيئا من ملامح الأدب الكلاسيكي وتحليله؛ لأن الرومانسية في الواقع ما ظهرت إلا لأن الكلاسيكية كانت سائدة، ثم نتعرض بشيء من التحديد والتفصيل إلى السِّمات والخصائص العامة التي ميَّزتِ هذا المذهب.

وينبغي أن نشير إلى أن اللاحقة «إزم- ism» في اللغة الإنجليزية عند إضافتها إلى الكلمة تعني اتجاها أو عقيدة أو مذهبا، والغالب أن تضاف اللاحقة «إزم – ism» إلى الصفة لا إلى الاسم، إذا فكلمة «رومانس Romance» اسم و«رومانتيك-Romantic» الصفة المشتقة منه، وأضيفت علامة الحركة أو الاتجاه«إزم» إلى هذه الصفة فأصبحت «رومانتيسزم Romanticism-» بينما نجد كلمة «رومانس Romance» اسم وصفة. وقد ورد في تعريف الرومانسية في موسوعة المصطلح النقدي: « الرومانس: اسم وصفة، يشير إلى نمطٍ من التأليف الشعري أو النثري، تعنى بقصص البطولة أو المغامرة والعجائب، عما نجده في قصص ألف ليلة وليلة وبطولات الزير سالم. لذلك لا يمكن ترجمة الكلمة إلى مقابل دقيق في العربية، ويحسن تعريبها، والإبقاء عليها اسما وصفةٍ، كما جرى في اللغات الأوربية عامة».

كما وردت الكلمة في الكتب والبحوث الأدبية المختلفة بمسميات مختلفة لنفس المصطلح فتارة تأخذ مسمى الرومانسية وتارة أخرى تطلق عليها الرومانطيقية أو الرومانتيكية، وقد وقع اختيارنا على كلمة «الرومانسية»، وهو المصطلح المعرَّب الذي أجمع عليه أغلب الدَّارسين. وفي محاولة لتحديد مصطلح «الرومانسية» ينبغي أن نتبع الجذور اللغوية لهذه الكلمة حتى نقف على أرض صلبة تمكننا من الانطلاق إلى معرفة المصطلح ومفهومه وماهيته.

اختلفت الآراء في تأصيل المصطلح من حيث تأريخه وماهيته، فتشير بعض المصادر إلى أن أصل كلمة رومانسية مشتقة من «رومانيوس» التي أطلقت على الآداب التي تفرعت عن اللاتينية باعتبارها إحدى اللغات المبتذلة آنئذ، ثم انتقلت إلى الفرنسيين فاستعملت على غير معنى، وعلى حقب متباعدة لكنها حافظت على معنى الحنين والحزن، وفي الإنجليزية حملت معاني الخيال والمغامرة، ذهب إلى هذا الرأي عددٌ من النقاد من بينهم محمد بنيس في كتابه عن الرومانسية العربية في قوله:«ولنا أن نقترب قليلاً من بعض المعطيات التي أنتج في ضوئها مصطلح الرومانسية، إنه التأريخ اللغوي لأوربا حيث كانت اللغات الرومانسية في العصور الوسطى كلها تعتبر لغات مبتذلة، وينظر إليها كلغات مشتقة من الرومانسية المعارضة للاتينية رجال الكنيسة والمثقفين. ولكن هذه اللغات انتزعت شرعية نصوصها الأدبية، في الفترات اللاحقة، ثم أصبحت لهذه النصوص أشكالها المتميزة بتسميات «Romant» و«Romanze» و«Romancero»، وتبعاً للوضعية التاريخية للأدبين الألماني والإنجليزي فإن تسمية «Romantick» و«Romantisch» كانت تدل على القيمة المحتقرة لنوع الأدب العجائبي كما لأدب الفروسية والأحاسيس الجموحة والمتوقدة. ومع ظهور فلسفة الحماسة أصبح هذا المصطلح يأخذ قبولا وصفيا أو إيجابيا أحيانا، وهو ما يربط تأريخ مصطلح الرومانسية بالفلسفة من حيث الوعي بقضايا العقل الحديث وعلم الجمال».

بيد أن أغلب المصادر التي وقفتُ عليها، تعود بالمدلول الاشتقاقي للرومانسية إلى الكلمة الفرنسية القديمة «رومانتس»، والتي كانت تدل في العصور الوسطى على قصة من قصص الخيال والمغامرات شعراً أو نثرا، ومن هذا الجذر تفرعت وتطورت كلمات وأوصاف أخرى في مختلف اللغات الأوربية، وقد اقتبستها اللغة الإنجليزية عن الفرنسية، فحملت فيما بعد معنى الخيال والمغامرة، وحينما استعملت هذه الكلمة لأول مرة في اللغة الإنجليزية كانت تدل على نوع من الإغراق في الخيال.

يؤكد هذا القول ما جاء في تعريف الرومانسية في دائرة المعارف البريطانية:«أنها كلمة انحدرت من الفرنسية القديمة وتطلق على الأعمال الخيالية خاصة في الملاحم النثرية. وهي في المعنى اللغوي تستعمل كمقابل للكلاسيكية، وتعني شيئا شعبيا مغامرا من غير تشكل، وتطورت الرومانسية في كل البلدان مسبوقة بانهيار المجتمعات الأرستقراطية وتوضيح الطريق والرغبة في النهضة لدى الطبقات الوسطى، كما ترتبط بسقوط الكلاسيكية والجانب المثير في الشعور الإنساني ليكون مؤكداً عليه».

والواقع أن ما جاء في دائرة المعارف من إشارة إلى سقوط وانهيار الكلاسيكية ما هو إلا دليل على أن سيادة مذهب أدبي ما في مرحلة تاريخية بعينها يعدُ مظهرا من مظاهر ارتباط الآداب بجوانب فكرية وعقدية وسياسية كانت تسودُ في تلك المرحلة.

قصيدة جديدة

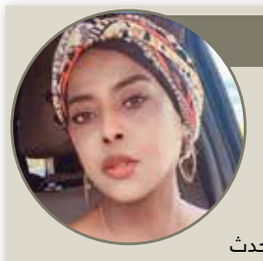

حرب ... وحبر

أمل عمر

○ كُنتُ أظن أن الحرب شيئٌ يحدث
لآخرين لا نعرفهم،
نراهم في نشرات الأخبار بنصف عين ، وبحزنٍ كامل.
لم أتوقع يوماً أن تُدخِل الحرب كاميراتها إلى دارنا وحيّنا ومدينتنا،
وأن نصبح نحن الخبرَ الرئيس،
نحن الذين يشاهدنا العالمُ بنصف عين وبحزنٍ كامل.
عندما دخلت الحرب بيتّنا وشرّدت أهلي، صاروا يحملون بطاقات "لاجئ" في بلادٍ غريبة.
حين دخل غرباءُ بيتّنا، خلعوا الأبواب ودنّسوا البلاط واتلفوا الزرع.
لم تُلجِم الحربُ قلمي،
بل شحذت سكينَ القصيدة داخلي،
فغاصت في لحم الوجع، وقالت عنه الكثير
.....
كُنتُ_أحسَبُها_خُرافة
-كُنتُ أحسَبُ أنّ الحربَ خُرافة..
شيٌ بعيد..
يحدثُ لأشخاصٍ غرباءَ في مدنٍ غريبة،
لا أعرف مواقعَها على الخريطة
تراجيديا أُشاهدُها في نشرات الأخبار ..
يجتاحُني الحزنُ للحظة
ينقبضُ قلبي، أُشيحُ بوجهي ،
أغيِّرُ القناةَ من الأخبارِ للموسيقى
و ينتهي الأمر..
-كنت أحسبُ أن بيتنا في أمدرمان
سيظلُ منتصباً هناك على ناصِيتِهِ المجيدةِ للأبد..
لابُد أن يظل..
لأنه شُيِّدَ من حبٍ و من حجر
ليس للمنطقةِ تأريخٌ في الزلازل
ليس بقربِ المنزلِ بحرٌ كثيرُ الاحتجاجِ يُرسِلُ لعنَاتِه حين يغضب
-كان أبي متحمساً ،وهو يضعُ حجرًا على حجرٍ على حجر
اتذكره بوضوح
يحتسي الشاي، يراقبُ الرجال يصنعون قلعَته
و يبتسم ..
يُشيرُ عليهمُ أن يفعلوا كيتَ و كيت..
بأن هذا الجانبَ من الحائط يناسبه الأزرق..
بأنه يريدُ نوافذَ أوسع
أبوابًا في كل إتجاه
-كنتُ أظنُ أن الشجرةَ أمام دارِنا
ستظلُ أعوامًا عديدة
مزهوةً بالخضرة و الذكريات..
خَططتُ للعودةِ عشرين مرة
أحداها في منتصفِ يونيو
أقسَمتُ أن كلّ يونيو سأعود
و أعود
لنتسامر تحت ظِلِ الشجرة
أنا و امي و أخواتي و الجارات..
و القهوة
نتَذَكّرُ ،
نرغي و نّزبِدْ بكلامٍ تافه
بكلامٍ ملآن
نحزن
نضحك..
-الى أن استيقظتُ ذاتَ صباح
شَغّلت التلفاز
ياللهول
كُنّا نحنُ ،الخبر الرئيس..
قلتُ كذبةٌ أبريليةٌ سَمِجة
سيمضي أبريلُ و تُفتَضح ..
و سيُعاقَبُ مخترعُها المستهترُ أيّما عِقاب..
-لكن الموت
الحُطام
النار
الهاربين
الصغار الجزعين تحت الأسِرة
اللصوص
أكاذيبَ الجنرالات
الجثثُ فاغرةَ الافواه على الطرقات
أخبرتني بأنها الحربُ بلا شك
ليس كما كُنت أتّمَنى، كذبة.
بأن بيت أبي مهدَّدٌ
بقذيفةٍ طائشة
بغرباءَ يستبيحون حُرمةَ نوافذه الكبيرة
جدرانه الزرقاء
صورة جدي الوحيدة في الصالون .
و الشجرة .

ديوان «فوانيس كفيفة» لفراس فرزت القطان

رومانتيكية الخطاب والمغامرة الشعرية

عامر محمد أحمد حسين

○ القاريء لديوان «فوانيس كفيفة» للشاعر السوري «فراس فرزت القطان» تستوقفه المقدمة العميقة والمختصرة للشاعر السوداني الراحل محمد محي الدين اذ تقف المقدمة على تقسيم الخطاب وفق قراءة وافية كافية وملتزمة بضوابط قراءة نقدية ابتعدت مع الاختصار عن الإبتسار. ويرى محي الدين أن صاحب الديوان التزم الاخلاص للموروث الشعري العربي وللمغامرة الحداثية وتميزت هذه القصائد التي بين يدي القاريء باهتمامها بموسيقى الشعر بصورة قربتها من قصائد الرومانتيكيين العرب» الرومانتيكية حسب تعريف المفكر البريطاني الراحل من الأصول الروسية «إيزايا برلين ١٩٠٧-١٩٩٨م» وهو قد عرف كمنظر سياسي ومؤرخ بالدرجة الأولى واشتهر بدفاعه عن التعددية وهجومه على التعصب الفكري. يرى «أزايا برلين» في كتابه «جذور الرومانتيكية» أن الرومانتيكيةتمثل احتجاجا على قيم عصر التنوير, بعقلانيته وتوازنه وإصراره على قابلية جميع الأسئلة للاجابة اذا استطاع الانسان الوصول الى المنهج الملائم, وان الرومانتيكية يعتبرها «أزايا برلين» التحول الأعظم في الوعي الغربي منذ عصر التنوير ويشمل التاثيرات الايجابية والسلبية. وحركة الرومانتيكية مثلها مثل عصر التنوير كانت ذات تاثير عالمي»(١) وتاثيرها على العالم العربي كان كبيرا وان أشار الكتاب الى أن تأثير الرومانتيكية على تحولات الوعي في العالم العربي وان كان يراها مختصرة على الآثار الفنية والأدبية لدارسيها العرب مع إحالات ثابتة وغير مساءلة.

وقد يرى القاريء العجب في ربط الرومانيكية كمدرسة أدبية لها اشاراتها المعروفة والمرموزة باشارات قراءة ديوان «فوانيس كفيفة» إلا أن الخط العام الذي يشير للديوان يراه يستوحي الخيط الناظم للرومانتيكية في مناجاة الطبيعة ببشرها وحجرها وشجرها لقراءة داخلية لمأساة انسانية تشير لها الأيادي بمأساة سوريا. ويقول «أزايا برلين» «لقد خلقت مجالات الأخلاق والسياسة فوضى استثنائية كان من الواضح تماما في ذلك العصر التنويري كما هو الآن أن الناس لم يعرفوا الاجوبة على أسئلة العصر, كيف ينبغي لنا أن نحيا؟ هل الجمهوريات أفضل من الملكيات هل من الصواب السعي وراء المتعة أو أن يقوم المرء بواجباته؟ أو هل يمكن التوفيق بين تلك التعارضات؟ هل من الصواب أن نبقى زهادا أو أن نكون شهوانيين؟ هل من المناسب أن نطيع نخبة يعرفون الحقيقة»(٢) ان ديوان «فوانيس كفيفة» تنوع في خطابه بين الاحتجاج على عصرنا الحديث, الألفية الثالثة وما يراه زمنا كله أسى وحسرات دون أن يستطيع الشاعر تغيير ما حوله من نفوس تعيش في متاهة وتعاسة وشقاء, ولعل مالم يصرح به الديوان «فوانيس كفيفة» تمثل في هذا التضاد المبهر والباهر بين الفانوس ورمزية النور والرؤية والرائي والعمى وخروج البصر والتبصر عن دائرة التأثير لوجود الظلم. هذه الثنائية الظلام والنور يوازيها الشر والخير والمفارقة أن العنوان في استراتيجيته لم يبتعد عن الرومانطيقة من اعتماد الخيال والعاطفة منطلقا للرؤية الفنية وهذا يناسب تماما رؤية الشاعر واعتماده حوار الطبيعة في ظل صراع الانسان مع واقعه ومع السلطة المجتمعية والسياسية ويؤكد نقاد في دراسات مختلفة أن العنوان لا ينفصل عن مكونات النص ومراتبه القولية وان اختياره لا يخلو عن مضمونه وأنه مفتاح تأويلي» المفكر الفرنسي جيرار جينت في كتاب «عبثات».

مضمون الخطاب

ويرى الدكتور عصام حفظ الله واصل في كتابه تحليل الخطاب الشعري - دراسات سيميائية «أن الجمل البدئية تمثل مفاتيح العتبات النصية التي تسهل عملية تلقيه وقد تسهم في تفكيك شفراته»(٣) والمثال في ديوان «فوانيس كفيفة» هو نص «هتلر الرسام» في هذه القصيدة تستمر الروح الرومانتيكية في استنطاق التاريخ وكلنا يعلم أن الفوهرر «ادولف هتلر» كان رساما فاشلا لم يجد الشهرة في الفن فأتجه الى المجتمع من أجل تحميله ثمن هذا الفشل والعمى في الألوان «لو أن هتلر ظل رساما يحاصرنا بألوان من الأزهار تنكر كذبة الأمجاد, لا تاريخ يكتبه سوى بالسيف من ساسوا من ألف جوكندا وتاريخ يخلد كل دافنشي. على مرأى من الانقاض تسخر من وصايا الحرب, تزهر ألف بيكاسو..

هتلر الرسام هذا لو أنه بقي في محاولة الرسم ومكابدة الفشل لما دفعت المانيا ثمن هذا النمساوي, تسخر من وصايا الحرب, تزهر ألف «بيكاسو» ثنائية الجمال والقبح, النجاح والفشل «هتلر - بيكاسو» مع تلازم الجيوكندا مع دافنشي إلا أن اتحد الأدنى انسانية بحدث عن تاريخ لم يكتبه سوى السيف وأمجاد كاذبة. في مفتتح القصيدة نقرأ

«لا زال في دمنا كليب
كلما هز الوصايا العشر فينا
اشعلتنا شهوة الثأر المرابط
في حنايا زيرنا المشتاق للحرب الفناء
ولما لبى الوصايا
عاد بشرعها مدى الطوفان جساس
وفي ختام القصيدة:
في الليل فينا هتلر الرسام
يرسم صورة الطفل اليتيم مدللاً
ما بين أحضان الطبيعة والتسكع
بين أرصفة المنافي»
ثم يصحو في الصباح لكي يزاول مهنة أخرى
ويكبر طفلنا
في الماء.. صورتنا كليب واضح
وعلى مرايا الماء - جساس انعكاس

لعل في اكتمال الصورة في تجليات دائرية النص في مزج صورة هتلر, بالزير, جساس, بالثأر باللوحة, ما أراه صورة احتجاج على دائرة العنف المرئي واللا مرئي اذ أن الاقتداء بصورة البطولة عند الرسام أو الزير, أو جساس هو القيد في توصيف منظومة الرموز داخل العقل الجمعي والدعوة هنا لتأسيس رؤية مختلفة عن ماهو محقق داخل مواثيق التراث اذ كان تاريخ الحرب العالمية أو تاريخ حرب البسوس ما بين روح الرسام العنيفة والفارس والشاعر الباحث عن الثأر.

الوعي بالمأساة

قصيدة «من أبجدية الحرب» ينطبق عليها الصرخة ضد جوهر الحرب وتكاليفها وكلفتها الباهظة في اخراج حرية الفرد والجماعة من الاستقرار النفسي والاجتماعي والجسدي الى متاهة المأساة واللا استقرار. ومقام الابجدية دائما السلم والتصالح إلا أن الشاعر «فراس فرزت» يسعى لتأسيس التضاد وفق رؤية شعرية تأخذ من روح الفلسفة الاصرار على قراءة الوعي الداخلي وتصويره في دائرة الضمير وفقا لرسالة وروح الفنان الرافضة للعنف والمحفزة على الحب والكرامة والعزة والحرية الكاملة..

غاب القناص ثلاثة أيام
عن موعده الرسمي
وضج الناس
امرأة قالت:
بغيابه غير روتين الوجع الواحد فينا
غاب الناس عن الاحساس
الاستثناء ليس حضور «القناص» وما يسببه من مأساة وقتل عبثي ولكنه غيابه, وهذا يوضح صورة الحرب في أبجديتها السورية, وسابقا اللبنانية والعراقية والفلسطينية, هذا القناص هو أداة من أدوات القهر النفسي والقتل الجسدي وتقييد العقل والوجدان, بحبال الخوف والترقب والتوجع وصورة الصياد الانسان لم تترك للحيوانية ابجدية تتكيء عليها

طفل «قال»
«غدا لن ينقص تلميذ آخر في الدرس
والطفلة قالت:
والبائع سوف يبيع الحلوى
والشعراء على الأطلال بكوا
كان المشهد فوق العادة شعرياً
فمشوا في جنازته ثم رثوه
وضعوا إكليلاً من آس
«والطير على الأنقاض تغرد هازئة
فالأرض يباس
والعرافة تقرأ في الفنجان المقلوب
سوف يؤوب
الجرح عليك هو المكتوب
يا وطني
ورفاق القنص وشت لهم
أحوال الحي وما يروى
وبصوت لا يقبل لبس
قال الناس
لابد تنكر
وهو اليوم «يرافقنا»

تميز هذا النص بروح هازئة رافضة وساخرة وهي ترى الموت «قنصا» كل يوم والصورة تمثل النموذج الواضح للحرب وفتنة القتل والعبث بالأرواح, بالناس بالطفولة بالأمل, بتغييب العدالة كليا بل قتلها وتحول الانسان الى وحش له بندقية, وروح صياد في غابة من الوحوش الضارية. سريالية الصورة تعكس صورة الغابة وليس الأرض الناس. هل يتجلى المكان الشعري في بحثه عن الخلاص وأولوية رفض الحرب ووقف القتل والعودة بالانسان الصياد الى انسانيته.

بقايا حوار

اشتمل الديوان على قصائد لم تخرج من طابعه الذي اختاره في كل القصائد السابقة من حيث الخطاب, الفكرة, الرؤية, وهذه القصائد على رأسها «أفعلتها» وهي قصيدة فيها الحزن المقيم عند الشاعر على «فقد» كبير مر به..

فلا فسحة في العمر عادت
لا.. ولا وقت بديل
قلبي.. فهامش عمرنا كذب
وهامشنا على الأنقاض أضغاث
كأني ما سمعت الليل ينهرني
صدى الأحباب مثل الزيت في القنديل
ايقاع خجول وكذلك قصيدة «خارج ايقاع الألوان» وهي خفيفة الايقاع..

هو لون لا يهوى المدح
معنى لا يحتاج الشرح
هو ظل الألوان جميعا
يصمت.. يصمت حد الفضح

وكذلك قصيدة «غفران» التي لم تخرج من ذات المنوال. إلا أن قصيدة غزل «ابنتي» وهي قصيدة مناجاة لطفلته..

يابرعم أحلامي الأجمل
يانخلة ظلي
شرنقتي

اغترف الشاعر من معين الشعر الرومانسي العربي جزالة اللفظ وقوة المعنى وارتضى أن يأتي بالنموذج القديم في استحضار المعنى من بين آلاف المعاني في كلمات بسيطة تخاطب الضمير والعقل والعاطفة لتواجه العصر الجديد ومآسيه وحروفه, وتتشكل داخل هذه القصائد صراعات الواقع والانفجار المضاد ضد الازدواجية في الهوية الانسانية التي تعاني ما تعاني من ويلات العصر.

الذاكرة

هناك قصائد عديدة ذات رؤية وروح متأملة منها قصيدتي وظالم العينين وأخرى متفلسفة مثل ديكارت وهي صوفية تأملية عن الشكوى والارتياب والخوف. في كتاب «الرومانسية» يقول «مارشال براون» «ان السيادة الشاملة للخيال في نظرية التحديث وكذلك تصدر المخيلة الشعرية والنقدية الجديدة ولذا عند «بودلير» طريقة حياة كثيرة التطلب بكل ما فيها من قيود ومتاعب ومتع أيضا ويضيف «سعى بودلير لفهم جوهر هذا التحديث كيف نعيشه وكيف نتخيله وكيف نكون أبطاله ورسله وفي خلال هذه العملية يظهر الوعي المتضمن أحيانا والصريح أحياناً أخرى في كل من الرمزية والسريالية»(٤) والقاريء لديوان فوانيس كفيفة يرى في ثنايا النص روح الوعي المضمن كل ما يحيط بالشاعر من رمزية اللغة التي تعالج العنف بالكلمة والسخرية أحيانا وسريالية المشهد وما يتضمنه من وجود «قناص» يغيب فيفتقده الصغير والكبير وكان الأصوب أن يكون «معدوم المكان غائب عنه «ومستتر في عنفهم».

وتخلص الورقة الى الآتي:

١/ تميز الديوان بخطاب تراسلي واقعي ارتبط بروح شفافة في مخاطبة الكون مع درجات حضور صوفي, وبرهان على أن العصر الذي نعيشه يحتاج خطابا رومانتيكيا في مناجاته مع رؤية عميقة للعصر عبر الكشف عن القيم العاطفية في مواجهة طغيان المادية.

٢/ استلهم الشاعر روح الرائي المحايد في كتابة بعض القصائد كأن لا صلة بينه وبين الواقع هذا ليعرضه على القاريء مع قصائد خاصة تتضح معالمها من حدود شخصيته والحياة التي يعيشها.

٣/ لم يخرج الديوان من القالب الشعري المعتاد الذي نعرفه في القصيدة العربية الحديثة وتسعى للتجديد عبر الخطاب الشعري في ايجاد مكانة رمزية تحقق له التوسع في قراءة ما حوله غير الشعرية المتدفقة.

٤/ استند على التضاد في ايجاد الكلمة ونقيضها وهذا واضح من العنوان ودرجة الإبصار في رؤية غير بصرية يختفي فيها الوضوح ويظهر الغموض والتجليات الباطنية والنظر بالقلب والعقل مع ادراك أن الخيال والحلم والوهم تساهم جميعا في تخفيف القراءة الكاملة للواقع.

٥/ يعطي الديوان المثال على أن الشعر العربي لا تزال موسيقاه الداخلية تلعب دورا في تصور القراءة ومخاطبة الجمهور وأن الشعر الجيد يعيش وينتصر بغض النظر عن قالبه الذي يخاطب به العصر.

٦/ الصورة الشعرية في الديوان على الرغم من ما صاحبها من رؤية باصرة ومبصرة للواقع إلا أن الفكرة قد طغت أحيانا على الصورة ولم يعطها الديوان ما تستحقه من مشهدية ورمزية لقراءة الواقع بزيادة رقعة الخيال في تصور ما وراء الحروف إلا أن الديوان في خطابه قد أشار أكثر الى أهمية اعلاء قيمة الفكرة مع شاعرية قوية في ملامحها.

المراجع:

١/ جذور الرومانتيكية - ايزايا برلين» - ترجمة «سعود السويدا» - جداول للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠١٢م - بيروت لبنان - ص ١٦
٢/ نفس المصدر السابق ص ٦٣
٣/ في تحليل الخطاب الشعري - دراسات سيميائية د. عصام حفظ الله واصل - دار النوير الجزائر طبعة أولى ٢٠١٣م
٤/ كتاب الرومانسية - تحرير - مارشال براون - ترجمة ابراهيم فتحي - لميس النقاش - موسوعة كمبردج في النقد الأدبي - المجلد الخامس - الرومانسية - الطبعة الأولى ٢٠١٦م
٥/ ديوان - فوانيس كفيفة - الناشر الشركة السودانية للهاتف السيار «زين» الطبعة الأولى ٢٠١٥م

● ورقة قدمت في ندوة العلامة عبدالله الطيب في ندوة قراءات في الدواوين الشعرية الفائزة في الدورة الخامسة لجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي..

النبض الإبداعي

إشراف - محمد نجيب محمد علي

عن أعمال عمر فضل الله الروائية

بقلم: أحمد محمد عوض

○ منذ السنوات الأولى التي أمسكت فيها بالكتابة، كنتُ أبحث عن صوت أدبيّ يوقظ شيئًا في داخلي، عن كاتب لا يقدّم رواية للتسلية فقط، بل يفتح أمامي أبوابًا جديدة للفهم والمعرفة. حتى وقعتُ على أعمال الدكتور عمر فضل الله، ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلتي معه — رحلة قارئ يتعلّم، وكاتب يتشكّل، وإنسان يعيدُ اكتشاف هويتهُ الكتابية وعمقه.

لم أكن أتوقع أن تقودني قراءة رواية إلى هذا القدر من التحوّل، لكن مع كل عمل له، كنت أجدني أمام عالم جديد، ورؤية مختلفة، وتاريخ لم يسبقْ أن رأيته بهذا الجمال وهذا الاتساع.

كنتُ في البداية أظن أنني أقرأ رواية، فإذا بي أقرأ الأرض نفسها؛ تاريخا، ذاكرة، بشرًا، تقاليد، مدنا، حضارات، صراعات، ونبضا إنسانيًا يسير بين السطور كأنما حياة كاملة بُعثت من جديد.

وحين انتهيت من «أطياف الكون الآخر» و«رحلة طيف»، أحسست أنني لا أقرأ سردًا، بل أعبر بوابة معرفية إلى حضارات الأرض، أتنقل بين أمم وثقافات، وأتفكّر في الإنسان قبل أن أتفكّر في الحكاية.

ثمّ جاءت «ترجمان الملك» — تلك الرواية التي لن أنسى أثرها — لتكشف لي أن التاريخ ليس مجرد معلومات تُحفظ، بل حياة كاملة تعاش، وأن الكاتب الحقيقي لا يروي الماضي، بل يُحييه.

وقفتُ أمام «ترجمان الملك» طويلاً. قلت في نفسي: كيف تمكّن من هذه المعرفة الدقيقة؟ كيف استطاع أن يُعيد بناء «علوة» المسيحية بهذا الإتقان؟ كنتُ لو قرأت ذلك في كتب التاريخ لمللت، ولكن السرد جعلني أشعر بأنني أعيش داخل القصّة، أسمع صهيل الخيول، وأشم رائحة المدن القديمة، وألمسُ الحجارة التي مرّ عليها الزمن.

حينها أدركت سرّ قوة عمر فضل الله: إنه لا يكتب التاريخ، بل يستحضره.

ثمّ جاءت «أنفاس صليحة»... رواية لو أراد قارئ أن يحصل على ربع معلوماتها، لاحتاج عامًا من القراءة المتفرقة في المراجع والكتب. لكنها جاءت مركّزة، ممتلئة، سلسة، تتجوّل في المغرب، والصحراء، وبلاد النوبة، وتصف النبات والطير والحيوان والقبائل والوباء والسفر، كأنها رحلة معرفية وروحانية في آنٍ واحد.

وجدتني أسافر مع «صليحة» وكأني أمسك يدها، أعبر معها المخاوف، وأرى العالم بعينيها. تلك الرواية وحدها جعلتني أؤمن بأن الكاتب يمكن أن يكون باحثًا ومؤرخًا وفيلسوفًا في الوقت نفسه

وفي «تشريقة المغربي» اكتشفت مملكتي سنار والعهد السناري بوجهٍ لم أقرأ له مثيل. كأن الرواية ليست نصًا، بل وثيقة حية. تعلّمت منها عن الشلوخ، وعن المناظرات، وعن النظام القبلي، وعن مؤامرات القصور والمكائد، وعن الإنسان قبل كل ذلك.

وهنا، أدركت لأول مرة علاقة الرواية بالهوية: كيف يُمكن لكاتب واحد أن يعيد لك الفخر بتاريخك، وأن يفتح عينيك على تاريخ أجدادك بغير الخطب ولا الشعارات

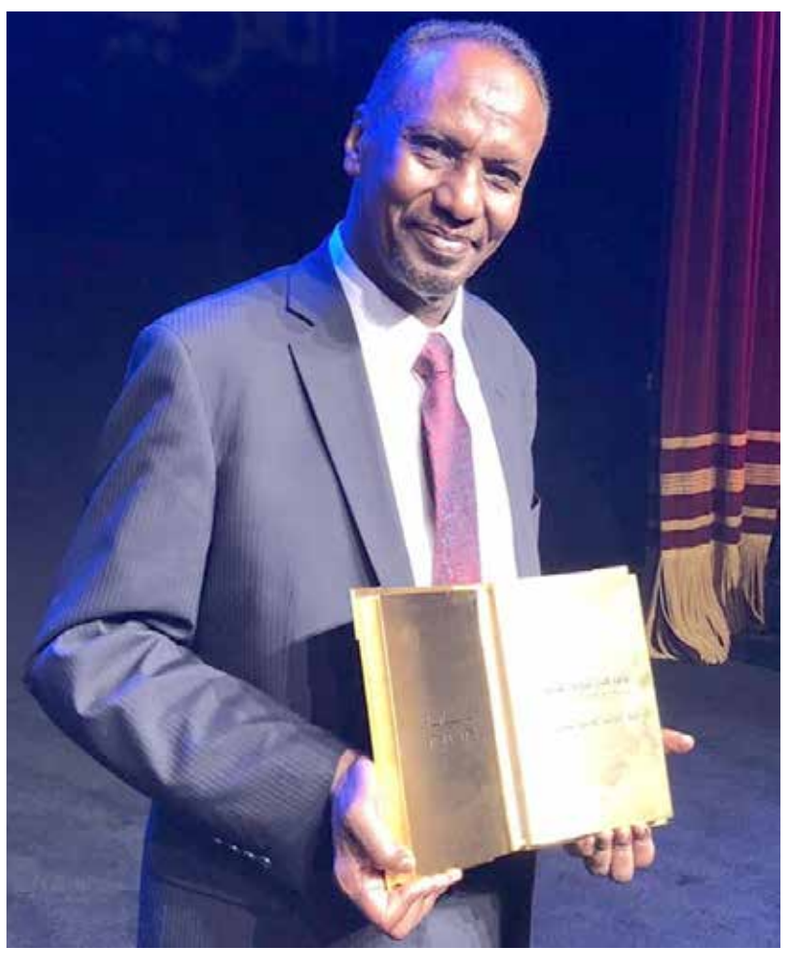

جاءت بعد ذلك «في انتظار القطار»، فاهتزّ قلبي لها. ليس لأنها قصة حب رقيقة بين سعد وسعدية فقط، بل لأنها كانت نافذتي على زمن الغزو التركي المصري للسودان.

قرأت مشاهد الوحشية، والبكاء، والنهب، ورأيت كيف كانت البلاد تحت القهر، وكيف قاوم الناس، وكيف تغيّرت الخرطوم.

ولأول مرة شعرت بأن التاريخ ليس شيئًا بعيدًا عني، بل هو شيء من دمي ومن روحي.

ثمّ قرأت «رؤيا عائشة» — ذلك العمل الذي يروي الدولة المهدية من منظور لا يعرفه كثيرون — منظور فيه الإنشاد الروحاني، فيه الشعر، فيه الحس الإسلامي العذب، وفيه إعادة تشكيل صورة زمن بكامله.

وفي «آدم أسود وحواء بيضاء» رأيت سقوط الدولة المهدية ومعركة كرري بعيون بشر، لا بعيون كتب. عشت المعاناة، والدمار، والفقر، الظلم، وكأن الرواية تعيد إليك المشاعر التي لا يمكن للتاريخ أن يوصلها مهما حاول.

ثم جاءت «نيلوفوبيا» — إحدى أغنى الروايات النفسية التي قرأتها — لتكشف لي عالمًا آخر: عالم المرض النفسي، الخوف، فقدان الصديق، أثر الصدمات على الطفولة، وكل ذلك داخل إطار اجتماعي وسياسي واقعي ودقيق.

وأخيرًا... «نافذة في سماء الكهرمان» — رواية علمية فلسفية عن ميكانيكا الكم والسفر عبر الزمن — جعلتني أحرّر ذهني، وأصدّق أن الرواية يمكن أن تجمع العلم والفلسفة والخيال والمعرفة في قالب واحد جميل.

ومع كل رواية، كنت أشعر أنني أتغير. أنني أتثقف دون أن أشعر. أنني أتعلم دون أن أبحث. أن ذائقتي ترتقي، وأن لغتي تنمو، وأن رؤيتي للكتابة تتحسن.

تعلمت منه أن الرواية ليست سردًا فقط، بل إعادة تركيب للوجود.

تعلمت أن الكاتب لا يكفي أن يكون صاحب خيال، بل يجب أن يكون صاحب معرفة.

وتعلمت أن الكتابة مسؤولية، وأن الكلمة قد تُحيي التاريخ وقد تُميته.

والأهم: تعلمت أن السرد الحقيقي ليس زخرفة لغوية، بل صدق وعمق وبناء حضاري.

ولهذا... حين أقول إنني أركز على عمر فضل الله، فليس ذلك ضيقًا بي ولا ضعفًا في سعة قراءاتي، وإنما لأن التجربة التي وجدتها عنده لم أجد مثلها مجتمعة عند غيره.

هو أستاذ، وقدره عندي عظيم، وأنا — مهما كتبت — فلن أصل مرتبه فأن أعتبره سقف للرواية العربية. لكن تأثري به ليس تقليلاً من نفسي؛ بل العكس. إنه وعيٌ بأن الإنسان يتعلم من العمالقة، لا من العابرين.

وهذا التركيز ليس تقييدًا لروعتي، بل هو الضوء الذي ساعدني أن أرى طريقي بشكل أوضح. فتأثري به كان جزءًا من رحلتي نحو امتلاك صوتي السردي الخاص — صوتٌ يتغذى من معرفته، لكنه لا يتقمّصه؛ يستفيد من طريقته، لكنه لا يكررها؛ ينطلق من أثره، لكنه يشق دربه وحده.

وفي كل مرة أعود إلى رواياته، أعود لأتذكر لماذا أحببت الكتابة، ولماذا يستحق الأدب أن يُكتب بإخلاص، ولماذا يجب على كل كاتب أن يقرأ له:

لأن قراءته ترتقي بك... وتعيد تشكيلك... وتفتح فيك أبوابًا لم تكن تعرف أنها موجودة.

قصيدة عامية

كلام لي زينب بت محمود

محمد نجيب محمد علي

ساكت ساي
بتامل في الفات والجاي
ومتألم جد يا زينب بت محمود
وانا لا غناي
... لا بعرف أعزف عود
لكين وحياة الخلق العالم
وسط العالم أنا موجود
ومبلغ عني
بأني
من يوم ميلادي
وأنا مفقود
والأعجب
عنواني مدون تحت بلاغ الفقدان
وصورتي الشمسيه
وسيرتي الشخصيه
حتي وحاجاتي السريه
مما قمت لحد الآن
تذكري يا زينب بت محمود
دقيت على بابك دقيت
وفتحتي الباب
عاينت لقيت الباب مسدود
وسمعتك بتقولي حباب
اتفضل
ماعرفت الصوت طالع من وين
واتلفت شمال ويمين
وطلعت عشانك سلم من دورين
بحلقت عيوني ولكن آه
ما قدرت أشوف
كنت بشم في ريحة الخوف
ريحة الخوف ذي الفانوس لما يبقبق
ذي انسان شارد من ضلو ومتعلق
ذي قلب مجرح ومخطوف
يا أول حلم بيكسر قيد الدمعه الجوه الجوف
يا آخر دمعه بتبني طوابق من آحزان
أنا حيران
ما عرفت بداية السكه
وين يازينب باب الضحكه
وأنا وين ما أعاين أشوف دخان
أسكت
للحيطان آذان
أصوات من جوه براها بتتكلم
أنا ما مجنون يا زينت
لكن حاسس أنو العالم بتألم
حاسس بي حاجات جواي
تناطح في حاجات
ما عارف ليه
والمارد محبوس
ما عارف المارد محبوس في إيه
وما عارف كيف
انو الدنيا شتا
وأنا حاسس أنها صيف
وأنو عيوني بقت ما تعاين لي قدام
إتغير شكل العالم بره وجوه
الخوه بقت ما خوه
وكل صقور الدنيا بقينا نشوفها حمام
حتي الحرب
بقينا نسمي الحرب سلام
وكلو تمام
وأنا يا زينب
لما رميت سنارة الصيد ما صادت
وحتي جدادة البيت
الكان بتبيض
ما باضت
وديكنا الكان بيأذن في كل يوم
بقي بينوم
آآخ يا زينب آآآآآخ
آخ من زمنا فينا ومافي
وآآخ من ولدك لابس وحافي
وآآآخ من وطنا واسع وشاسع
لما يكون لي ناسو منافي
كوب اللبن الصافي اتعكر
ولسه نقول اللبن الصافي
كبرت فينا أحزانا وشابت
ولون الشيب ما أبيض أسود
والأحزان جوانا تعمر
وكل العمر معاها اتبدد
عندك حل
لو عندك حل يا زينب قولي
أنا قدامك واقع طولي
خمسه في خمسه بقت عشرين
وخمسه وخمسه بقت اتناشر
ووين يازينب فاطنه السمحه
ووين يازينب حسن الشاطر
شوفي الجونا يبيعوا المويه
ونحن النيل بنسوي حفاير
ونحن ونحن الشرف الباذخ
وما بنبيع مركوب الفاشر
آآخ يازينب

قصة قصيرة جديدة

حديقة الأصوات

عمر الصايم

○ دائمًا ما كنتُ أخطّطُ للهروب! أن أبترَ علاقتي بالمكان الذي زرعني فيه الله. تصطدم خططي بالواقع المرير، بأسرتي التي كونتها لحظةَ صفاء وتفاؤل، تحديدًا بزوجتي التي قذفت بها الأقدار إلى عزلتي أوان استكانةً مني لمراحل نمو الإنسان.. المهم يا سادة أنّني لم أهرب أبدًا! صحيح أنّني قفزتُ فوق الأسوار عديد المرات؛ لأرى ما يحدثُ في الجوار، لكنني سُرعان ما عدتُ منطويًا في جوف المكان.. أقبعُ هنا حيثُ ينتابني قلقُ العالم، احتراق الغابات، سقوط الطائرات، الحروب في البر والبحر، لغط الحكومات، وخيبات الشعراء.

كُلُ شيء يُداهم سريري، وأنا أتقلّبُ على جمر قضايا أجهلُ نهاياتها تمامًا. مُنذُ أن بلغتُ الخمسين من عمري وأنا أشعرُ بالقلق، على عكس ما يزعم البعض أنها سنوات القناعة وطمأنينة النفس، أقيسُ عمري بمنجزاتي، بما تبقّى من سنوات قد تطول أو تقصر، وأتساءل إذا ما كان مخزوني يكفيني لاستكمال الرحلة، رُبّما ألقى حتفي تاركًا ورائي واقعًا معلّقًا من الأحلام.. أتحسرُ على السجن الذي أدخلتُ فيه نفسي، على اللحظات التي أجهزتُ عليها في المناقشات السّمجة. ماذا لو أنّ هذه الفوضى المُريعة أخذتني غفلة إلى براثن الغياب، كُلُ ما حولي يثير القلق، ولأنني أعلم تأثير ذلك جسدي؛ فإنّه يتحتم عليّ إيجاد طريقة تحميه من السرطانات الغادرة.

الخوف يقرعُ طبوله في الخارج، وبين قلاع جسدي الذي أعوّل عليه في الإفلات من مصير الموت سدىً، أتقلب في سريري بينما يدور العالم في مساره الكئيب. أستخدمُ حيلًا متنوّعة، بها أستجلبُ النوم إلى أجفاني.. أغمضُ عينيّ لبرهة، أرخي جسدي، أتنفسُ عميقًا، وسريعًا الغطُ أهاتي، ثُمّ أخيرًا أدخلُ حديقة الأصوات، أدخلها أصلع الرأس، أكاد أسمعُ خرير الدم في جداول روحي، ألجُ حديقتي من سمّ الخياط الكوني الضيق، ببدنٍ مُسترخٍ وآذان صاغية، أغرقُ في بحيرة الظلام، تنتفي كل الموجودات من حولي، وتبقى الأصوات صادحة ومزهرة. أسمعُ صوت طائرٍ مجهول، حذاء يضرب الأرض في ممرات البيت، نُباح كلب يأتي من مكان بعيد، دمدمة انفجار لإطار سيارة، ضحكات ضفدعة، وبكاء صرصورٍ وحيد.

في حديقة الأصوات، ألتفُ هادئًا حول نفسي، أتمعّنُ خامة الأصوات، وأتحسسُ ملمسها حتّى أنام. هذه المرة أحسستُ بانزياحات ما قبل النوم بصورة فادحة، أغمضتُ عينيّ، من أسفل بطني أخذتُ نفسًا عميقًا، حبسته لبضع ثوانٍ، ثم زفرتُه بفمي، خرج ساخنًا. شعرتُ بشفتيّ وهما تكبران من زخّة البخار، تتمددان بسرعة فائقة.. تتهدّل من فراشي نحو الأرض، تتشقّقُ شفتي السُفلى من حرارة أنفاسي، تتحول العليا إلى كومة جبلية، كنتُ أحسُ بكُلّ شيء ومع ذلك تعمدتُ ألّا أفتح جفنيّ، سأغمضهما فلطالما كان العالم يحترقُ، ولطالما كانت شفتاي هادئتين في الصباح وعلى أهبة الحديث. طفقتُ أتسرّقُ السمع.. أذناي تعملان على نحو ممتاز، صوت تُصفّق بأجنحتها، يليها مواء قطط، يبدو أنّها أفزعت الحمائم بغير قصد وهي تمارس حياتها الليلية. صوت جارتنا وهي تتأوّه بأكاذيبها المعتادة، خطوات واثقة يمشيها لصّ في الأزقّة، أتوقّع سماعَ نُباح كلب، لكنه يخيب ظنّي، ربما سيكتفي بلعق مؤخرته.. أتوغل أكثر في دغل الظُلمة، وفيافي ذاتي الموحشة، نهرٌ من القراءات والذكريات ينسابُ من رأسي إلى شقوق شفتي السُفلى، يزدادُ ثقلها كإسفنجة ممتلئة بالماء، تكادُ تُسقطني عن فراشي؛ فأطويها عاقدًا عليها ذراعي، تتمددُ في الفضاء كهراء شيطانيّ.

أسمعُ أصواتًا بشريّة تخرجُ من مكانٍ لا أراه، ولا أدرك ماهيته.. يقول صوتٌ حزين

- إنّ الذي خرجتَ تطلبه، تركتَه حيثُ أتيت.

أقولُ له متضجّرًا

- أنا لستُ شجرة.

- ليتَكَ كُنتَ شجرة..!

ينسحبُ الصوت في هدوء، أزيدُ من تشديد قبضتي على شفتيّ المُتعمّلقة، يدهمُني صوتٌ قادم من معتزلٍ قديم، يقول لي

- خُفّفْ الوطء، وهَوّن عليك..!

- وكيف أهوّن علي يا حكيم..؟

- لا ترغبْ في ازدياد؛ الأمر بسيط جدًا.

خُفت الصوت تاركًا صداه يرنُّ في داخلي. كيف لا أرغبُ وأنا ترس في ماكينة العرض والاستهلاك؟ التقطُ صوتٌ حمار ينهقُ من مكانٍ قريب، كأنّه يختبئُ تحت سريري. أغفلُ عن شفتي؛ فتشدُني للأسفل، أنازعها لأبقى في الأعلى. يتوغل في أذنيّ صوتٌ باردٌ وقور..

- آن أوان هروبك؛ لتحتفي بحياتك وبالرب المجيد..

أقولُ له متوسلًا

- ألا ترى أنّ الوقت مُبكّرًا يا مولاي سيد الهاربين؟ أنا لم أزل في مُنتصف العقد الخامس.!

- لا تقع في ذات خطأي وتهرب في الثمانين، ساعتها لن يقوى جسمك، ولن تستمتع بحياتك لأكثر من أسبوع.

قلت له هاتفًا بأعلى صوت

- هل أنت ليف تولستوي..؟

لم أسمع شيئًا، ظلّت الأصواتُ تتوارى بعيدًا عن أذنيّ، تحلُ صورتي وقد تجاوزت الثمانين، لحيتي كثّة، عيناي غائرتان، فمي يخلو من الأسنان، والتجاعيد تصطفُ على جبيني، أقف متوسطًا المئات من أحفادي، هازئًا بالموت ونداءات الرحيل. شعرتُ أنّ شفتاي تصغران بخطى حثيثة، النُعاس يلفُني بأكفانه ناصعة البياض، ثُمّة عطرٍ يحاولُ اقتحام أنفي، وهي ترفض أن تتعرف عليه. أنا قريبٌ من مخرج حديقة الأصوات إذن..! سأغطُ في نومٍ عميق، تاركًا ما للصباح للصباح.

كأنها حلم

مريم الشكيلية - سلطنة عمان

○ ثلاثون يوماً أعادت لي ترتيب وقار فكري حين وجدت نفسي في محيط إختبارات الحياة الأكثر ألما.....

أدركت إن كثيرين يكبرون بعد موتهم ،ثقل رحيلهم ،وغيابهم الخاطف يعيد إلينا شريط ذكريات حتى الفرح منها يدخل في إنهيار بكاء ،وإنكماش نفس ....

هل تعلم الجهد الذي أبذله في هذه اللحظة وأنا أكتب غيابك الذي كان بمثابة وقع الدهشة بعد تلك الإرتدادات ،والهزات التي لا تقاس حتى على مقاساتٍ أرضية ؟!

ليس سهلاً علي أن أرثيك في سطور الورق بعد أن كنت الحياة في حياة ممتلئة بك ،ومعك....

ليس سهلاً أن أعيد توازن نبضي بعد فاجعة رحيلك حين كان القدر يعده على مهل ،وأنت ترقد على شراشف المشفى الباردة وعلى تلك الأجهزة الصوتية ....

كأنها حلم مرت ثلاثين يوماً دونك ،ودون صوتك ،ونبضك ...

أصبح مكانك خاليا منك سريرك الأبيض ،وكل أشيائك التي شاخت معك حتى السبعين فصلاً ،ونحن تتغير ملامحنا حين كنا ننظر إليك وأنت تذبل بعد أن كنت كنخل شامخ يقف في وجه تغيرات الحياة ومزاجياتها المتقلبة .

دافوري المناطق VOICESPORTS

السبت من كل أسبوع

دافوري جدة

الكريبة وعمر يقودان الفريق الأخضر لانتصار مثير

○ جدة - محمد صلاح باكا

● شهدت مدينة جدة، مساء أمس، مباراة كروية حماسية جمعت بين الفريق البرتقالي ونظيره الأخضر، في لقاء انتهى بفوز الأخير بنتيجة عريضة (٧-٣) في شباك منافسه، في مباراة شهدت تسجيلاً مكثفًا للأهداف وتألقًا لافتًا لنجوم الفريق الفائز.

تشكيلتا الفريقين

الفريق البرتقالي: رضا (حارس مرمى)، أحمد البساتنا، مصعب فتيل، طلال الجميح (الدفاع)، وائل، أزهري، تجاني، أسامة منقستو (الوسط)، سعيد، ناصر (الهجوم). الاحتياط: نصر الدين خليفة، بكري سانتو.

الفريق الأخضر: أبو طويلة (حارس مرمى)، فارس، محمد عبد الباقي، عابر، عبد الحي (الدفاع)، موايد العمد، غياث، نصر الدين أدروب (الوسط)، عمر الكريبة، معتز الباب (الهجوم). الاحتياط: حسن العمد، دكتور عمر.

أحداث الشوطين

انطلقت المباراة بوتيرة سريعة، وتمكن عمر الكريبة من تسجيل الهدف الأول للفريق الأخضر. لكن رد الفريق البرتقالي جاء سريعًا بتعادل ناصر (المعروف بـ «ناصر ود الأحمر») لتصبح النتيجة ١-١.

بعد ذلك، أحرز الفريق البرتقالي التقدم للمرة الأولى في المباراة، عندما حول مصعب فتيل كرة مباشرة إلى مرمى الفريق الأخضر ليصبح النتيجة ٢-١. ولم يمهله فريق الأخضر طويلاً، فعاد عمر الكريبة ليسجل هدف التعادل الثاني لفريقه (٢-٢).

مع دخول اللاعب دكتور عمر من مقاعد البدلاء، تحولت موازين اللقاء. فسجل الهدف الثالث للفريق الأخضر ليضع فريقه في المقدمة (٣-٢)، ثم تابع عمر الكريبة تألقه بهدفه الشخصي الثالث (الرابع لفريقه) ليعلي النتيجة إلى ٤-٢.

لم يستسلم الفريق البرتقالي، فاستغل هجوماً مرتداً أكمله بكري سانتو بتسجيل رائع ليقترب بالنتيجة إلى ٤-٣. لكن سيطر الفريق الأخضر عادت بقوة، حيث أنهى دكتور عمر المباراة بشكل شخصي تقريباً، مُحرزاً هاتريك سريع (الهدف الخامس، والسادس، والسابع لفريقه)، ليُسدل الستار على النتيجة النهائية ٧-٣.

نجوم المباراة

تميز من الفريق الأخضر: غياث في الوسط، ودكتور عمر (هاتريك)، وعمر الكريبة (هاتريك)، وحارس المرمى فارس. فيما برز من الفريق البرتقالي: وائل في الوسط، وناصر ود الأحمر الهداف.

أدار المباراة بحكمة الحكم مهند

اتكاءة مع باكا

ثم ماذا بعد التعادل مع الجزائر؟

محمد صلاح باكا *

○ بعدما تأهل السودان إلى البطولة العربية بعدما انتصر على شقيقه اللبناني وفي أولى مبارياته بالبطولة العربية استهل المنتخب الوطني السوداني مشواره بالتعادل السلبي أمام شقيقه الجزائري.

في مباراة اتسمت بالقوة والأداء الرجولي من جانب منتخبنا الوطني، إذن نقطة سطر جديد ونفتح صفحة مباراتنا القادمة بمشيئة الرحمن مع منتخب البحرين الشقيق.

وأعتقد أن السودان سيدخل هذه المباراة وفي ذهن المدرب أيضاً المباراة الأخير مع المنتخب العراقي الشقيق، والتي بكل الحسابات تعتبر من أقوى المواجهات.

لذا اتركوا المنتخب العراقي الشقيق الآن جانباً، ونفكر بصوت مسموع وصوت عالٍ، ونركز بمباراة يوم السبت ضد المنتخب البحريني الشقيق.

أعتقد أو أكاد أجزم بل أتمنى أن يدخلها المدرب هجومية بتوازن، بحيث أنه لا مناص من كسب تلك النقاط، حتى نكون من المنافسين على التاهل لدور الثمانية.

من أهم مباريات المجموعة وليس المنتخب فحسب، خاصة بعدما فاز المنتخب العراقي الشقيق وتصدر المجموعة في أولى جولاته علي شقيقه المنتخب البحريني، ليصبح المنتخب العراقي متصدراً بعد فوزه على المنتخب البحريني وتعادل منتخبي الجزائر والسودان بنتيجة سلبية

عطفاً على ما سبق وتم ذكره، نأمل ونتمنى أن يخوض الجهاز الفني باعتبار أن هذه المباراة هي مباراة التأهل، ويا حبذا لو اجتهد اللاعبون في إحراز أكبر عدد من الأهداف، تحسباً للجوء إلى الحسم بالأفضلية للأهداف حالما تساوى فريقان أو أكثر في النقاط.

سيلتقي المنتخب العراقي الشقيق بشقيقه المنتخب الجزائري والنتيجة قابلة لكل الاحتمالات، خاصة أن الفريقين من الفرق الكبيرة، ومن الفرق التي لها سمعتها القارية والعالمية منذ أن كانت تمتلك أسماء كبيرة كأحمد راضي، وليثي حسين من العراق، ورباح مادجير ولخضر بلومي من الجزائر... لذا أعتقد أن الجمهور موعود بمباراة كبيرة بمشيئة الرحمن.

أتمنى على المنتخب الوطني السوداني وقيادته الفنية السعي لكسب نقاط المباراة، لأنها الأمل الوحيد للمنافسة للتأهل إلى دور الثمانية.

حسابياً جهازنا الفني والجمهور يتمناها تعادلية أو فوز العراق لضمان المنافسة لخطف ورقة التأهل لدور الثمانية.

المنتخب وعلى رغم ما يعانيه من عدم وجود دوري منتظم للظروف التي تمر بها البلاد، إلا أنه يقدم مستويات لم نشهدها حتى في زمن الاستقرار.

لن نرفع سقف الآمال والطموحات عالياً، مع أنه حق مشروع ولكن للأسباب آنفة الذكر نتطلع إلى تقديم مستويات ترضي عموم الشعب المتلهف لانتصارات المنتخب الوطني، والتي كان قد بدأها في تصفيات كأس العالم، والتي لم يحالفه الحظ بالصعود إلى نهائياتها بأمريكا وكندا والمكسيك، بينما في تصفيات أمم أفريقيا حالفه الحظ والتوفيق، واستحق الصعود، وسيشارك في تلك البطولة والتي ستلعب في دولة المغرب في الفترة من ٢١ ديسمبر ٢٠٢٥م إلى ١٨ يناير ٢٠٢٦م بدولة المغرب.

مع مودتي،،،

* كاتب صحفي.

دافوري نجوم مدني بالرياض

البرتقالي يتغلب على الأخضر

○ الرياض - مجاهد جوجو

● ضمن اللقاءات الأسبوعية التي يجتمع فيها نجوم مدينة ود مدني بالعاصمة السعودية الرياض، شهد ملعب «الأمل» طريق إسكان الخرج، يوم الخميس الموافق ٥ ديسمبر ٢٠٢٥، مواجهة مثيرة في إطار دافوري (ديربي) الأسبوع.

جمع التحدي بين فريقين قادهما النجمين هشام وأنس. حيث ضمت تشكيلة فريق هشام (الفريق الأخضر) كلا من: صلاح، علي الهادي، علي العشرة، حذيفة، مأمون، راشد، عروب، وحليم. بينما تكون فريق أنس (الفريق البرتقالي) من: كوك، أواب، أمين، مصعب، أبوبكر عوض، وائل كاس، أحمد جمعة، وأبوبكر موكا.

انطلق اللقاء بوتيرة سريعة من الطرفين، مع سيطرة منقسمة على الكرة، وتميز بتنظيم دفاعي محكم من كلا الفريقين حدّ من الخطورة الحقيقية على المرميين. تركزت معظم الأحداث في وسط الملعب، حتى وقع مدافحو الفريق الأخضر في خطأ داخل منطقة الجزاء، نفذه بنجاح النجم مصعب ليسجل الهدف الأول للفريق البرتقالي. ووسّع أنس قائد الفريق الفارق بهدف ثان. قبل نهاية الشوط، نجح هشام في تقليص الفارق لفريقه بعدٍ هجمة مرتدة سريعة، لتنتهي الأشواط الأربعين الأولى بنتيجة ٢-١ للبرتقالي، في شوطٍ حافل بالندية والتمريرات الجميلة والتفاعل المشهود من الجمهور الحاضر.

الشوط الثاني.. وائل كاس وأنس يطيحان بأمل الأخضر: حافظ الشوط الثاني على نفس الإيقاع التكتيكي المتميز، مع زيادة في جودة التمريرات القصيرة. ومع إحكام كلا الدفاعين الخناق، قلت الفرص واعتمدت الهجمات على التسديدات من خارج المنطقة. من إحداها، أطلق وائل كاس قوة صاروخية استقرت في الشباك معلناً الهدف الثالث لفريقه.

حاول الفريق الأخضر العودة، ونجح علي الهادي في تسجيل الهدف الثاني لفريقه (٣-٢)، ليضفي على اللقاء مزيداً من التشويق. لكن حسم صاحب التحدي أنس المباراة بتسجيله الهدف الرابع والأخير لفريقه، لتنتهي المواجهة بفوز الفريق البرتقالي بنتيجة ٤-٢.

أدار المباراة بحكمة الحكم محمد حسن قلص، بمستوى نال استحسان الحضور. فيما نال لقب نجم المباراة الدولي أحمد جمعة، تقديراً لأدائه الرفيع بعد عودة قوية له إلى الملاعب.

بعد نهاية الصافرة، توجّه الجميع بمشاركة الكابتن علي فرحته بمناسبة زواجه، مع تمنيات القلب لهم بحياة زوجية سعيدة.

غيابات بالجملة تضرب المنتخبات

● تشهد النسخة الجديدة من بطولة كأس العرب ٢٠٢٥ في قطر غيابات بالجملة للعديد من اللاعبين عن منتخباتهم، وذلك بسبب رفض أنديتهم الإفراج عنهم للمشاركة في البطولة، كونها تقام خارج أيام الاتحاد الدولي لكرة القدم (أجندة الفيفا)، هذا الأمر أثار جدلًا كبيرًا حول جدوى إقامة البطولات الإقليمية في غير توقيتات الفيفا، وأثر بشكل مباشر على قوة بعض المنتخبات المشاركة، كما فتح النقاش مجددًا حول التوازن بين مصالح الأندية والمنتخبات الوطنية.

عِشْقٌ سَرْمَدِيّ

لله درك يا هلال..
جماهير السودان في قطر وطنية شامخة قوية

هويدا الماحي *

○ العملاق الهلال سراج منير في القبل الأربعة.. سطع في لوبومباشي.. وهل في قطر عبر أقمار درر.. وتألق في كيجالي لا شكا من الغيابات ولا بكى من إرهاق السفر، كما لم يبخل على المنتخب بأحد عشر بدراً كالدرر.

○ ما جانا عشقك من فراغ.. العملاق الهلال نادي الوطنية والقيم والثوابت التي لا تتزحزح.. خطف «الكوره حقتنا و مبادئنا» (آي والله) البارحة ضرب العملاق مثلاً يدرس ويورث.. المحترف الليبيري (الأسطورة فلومو) خطف الأضواء بأداء استثنائي، توّج بإحرازه هدفي المباراة وتنصيبه نجماً لها، حيث قدّم مستويات رفيعة أسهمت في تفوق الأزرق داخل الملعب.. ورغم أحقية اللاعب بالجائزة المخصصة، رفض العملاق الهلال استلام الجائزة بعد أن تبيّن أنها مقدّمة من جهة راعية لمشروبات روحية، التزامًا بسياسات النادي وقيمه الرياضية والاجتماعية.

وأكدت إدارة الهلال تمسّكها بثوابتها، مشيرةً إلى أن النادي يقدّم نموذجًا لاحترام المبادئ دون التأثير على الإنجاز الرياضي أو الاحتفاء بالمستوى المميز للاعبين.

○ حدثوني عن نجاعة المنتخب في تصفيات المونديال وكأس العرب لأحدثكم عن عظمة الجماهير وهديرها، إنها تعويذة العملاق الهلال يا سادة على مر الدهور والأدهر، وهذا ما كان يرعب الخصوم في الجوهرة «المقبرة» بأمدرمان.. هلالٍ اليوم لا ينقصه سوى أهازيج العشاق اللهم رد السودان آمناً مطمئناً، ورد العملاق الهلال رداً جميلاً إلى نجوع أمدرمان.

○ قدّمت الجماهير السودانية في دولة قطر نموذجًا رائعًا في الالتفاف حول القوات المسلحة قبل المنتخب الوطني، حيث شهدت الدوحة حضورًا مميزًا ومساندة كبيرة لصقور الجديان.. مشهد أكد أن الانتماء يسبق المسافات، وأن صقور الجديان يجدون جمهورهم أينما ذهبوا.

○ بعد الزعيم الهلال شال ليهو التار من مجندله من التمهيدي سانت لبوبو تعرض المريخ لهزيمتين متتاليتين في الدوري الرواندي (عيب السواد والرماد).. قام العملاق الهلال جاب ليهو تار الهزيمتين بثنائية تأريخية في شباك وصيف الدوري الموريتاني على يد الشافع اليافع «فلومو» الود قلبه حار وقال لازم يسد تار المريخ.. وسداهو (آي والله).. قام البارح المريخ انتصر بفرد هدف على «روتسيرو» طيش الدوري الرواندي.. والهدف ذاتو فوقه قولان تحس بيهو تسلل تسلل (آي والله).

○ جمهور السودان شغفه غير... والصقور لعبوا بروح استثنائية بلغ الحضور الجماهيري لمباراة صقور الجديان ٣٧ ألف متفرّج في ثاني أكبر حضور بالبطولة، بينما عبّر رئيس الفيفا عن إعجابه قائلًا: جمهور السودان يمتلك طاقة لا تُصدق.. وأضاف مسؤول في اللجنة المنظمة:

«الحضور السوداني كان علامة فارقة... صنعوا أجواء تشبه المباريات النهائية.

○ نبض العشق السرمدي.. يكفي النيل أبونا والهلال سوداني.. يبقى العشق ما بقي الهلال (زرقاء العشق-أستراليا)

* كاتبة صحفية - أستراليا.

مدرب قطر يرد على «السيناريو المُقلق» في لقاء سوريا وفلسطين ويناشد «فيفا»

● بنهاية الجولة الثانية من مباريات «المجموعة الأولى»، ببطولة كأس العرب «فيفا ٢٠٢٥»؛ أصبحنا أمام سيناريو مثير للغاية، من أجل حسم بطاقتي التأهُل إلى ربع النهائي.

بطولة كأس العرب ٢٠٢٥ تقام على الأراضي القطرية؛ وذلك في الفترة من ١ إلى ١٨ ديسمبر الجاري.

وتضم «المجموعة الأولى» من البطولة العربية؛ منتخب قطر الأول لكرة القدم - صاحب الأرض والجمهور -، إلى جانب كل من «تونس، سوريا وفلسطين».

بعد نهاية الجولة الثانية.. يتصدر منتخب فلسطين الأول لكرة القدم جدول ترتيب «المجموعة الأولى»، من بطولة كأس العرب «فيفا ٢٠٢٥»؛ وذلك برصيد ٤ نقاط، من فوز وتعادل.

وتتفوق فلسطين بفارق الأهداف فقط على منتخب سوريا الأول لكرة القدم؛ الذي جمع هو الآخر ٤ نقاط، بفوز وتعادل في أول جولتين.

ومن ناحيتهما.. يمتلك كل من المنتخبين التونسي والقطري، نقطة وحيدة فقط؛ حيث تعادلا في لقاء وحيد، وخسرا في آخر.

منتخب قطر خسر أمام فلسطين (٠-١)، في الجولة الأولى من دور المجموعات ببطولة كأس العرب؛ قبل أن يتعادل (١-١) مع سوريا.

أما منتخب تونس.. سقط أمام سوريا (٠-١)؛ قبل أن يتعادل (٢-٢) مع فلسطين، في مباراة مثيرة بالجولة الثانية من دور المجموعات.

وسيلتقي منتخب تونس نظيره القطري، في الجولة الثالثة «الأخيرة»؛ بينما تضرب فلسطين موعدًا حاسمًا مع سوريا، لحجز بطاقة التأهل إلى ربع النهائي.

ويكفي منتخبا سوريا وفلسطين التعادل، في مباراتهما مع بعضهما البعض بالجولة الثالثة من دور المجموعات؛ لكي يتأهلا إلى ربع النهائي، دون النظر إلى نتيجة مواجهة قطر وتونس.

وعلى الجانب الآخر.. يحتاج كل من قطر وتونس، الفوز على الآخر في الجولة الأخيرة من دور المجموعات، مع عدم تعادل فلسطين وسوريا؛ ومن ثم التفوق بـ«فارق الأهداف».

رد مدرب قطر على «السيناريو المُقلق»

وفي هذا السياق.. تم سؤال الإسباني جولين لوبيتيجي، المدير الفني لمنتخب قطر الأول لكرة القدم؛ على إمكانية «اتفاق» سوريا وفلسطين، على التعادل في الجولة الأخيرة من دور المجموعات ببطولة كأس العرب «فيفا ٢٠٢٥».

وكما ذكرنا.. تعادُل سوريا وفلسطين - إذا حدث - في الجولة الأخيرة من دور المجموعات؛ يعني تأهُلهما معًا إلى ربع نهائي كأس العرب، مع خروج قطر وتونس مباشرة.

لوبيتيجي رد في المؤتمر الصحفي بعد التعادل (١-١) مع سوريا، مساء يوم الخميس؛ بخصوص تحذيرات التلاعب: «علينا أن نؤمن باللعب النظيف.. وسننتظر ما سيحدث بين سوريا وفلسطين».

وأعرب المدير الفني الإسباني عن ثقته بقيام الاتحاد الدولي لكرة القدم «فيفا»، بمراقبة مباراة سوريا وفلسطين؛ لتجنُب حدوث أي شيء غريب

وعن ذلك يقول لوبيتيجي: «أنا متأكد أن (فيفا)؛ سيكون على دراية لما سيحدث داخل أرضية الملعب بين سوريا وفلسطين»؛ في مناشدة صريحة للاتحاد الدولي لكرة القدم، للقيام بدوره.

يذكر أن المدير الفني الإسباني جولين لوبيتيجي تولى قيادة منتخب قطر الأول لكرة القدم، في شهر مايو من عام ٢٠٢٥.

ونجح لوبيتيجي في قيادة قطر، للتأهُل إلى بطولة كأس العالم ٢٠٢٦؛ وذلك للمرة الأولى في تاريخ العنابي، عبر التصفيات.

ولم يُشارك المنتخب القطري سوى مرة واحدة فقط في بطولة كأس العالم، قبل نسخة ٢٠٢٦ القادمة؛ حيث كان ذلك في عام ٢٠٢٢.

وقتها.. شارك منتخب قطر في بطولة كأس العالم ٢٠٢٢ كـ«مستضيف»؛ حيث كان هذا الحدث الأول من نوعه، الذي يُقام في دولة عربية.

موعد مباراة السودان والعراق في كأس العرب 2025

● يتزين ملعب 974، لاستضافة مباراة هامة تجمع بين منتخبي السودان والعراق في الجولة الثانية من مجموعات كأس العرب 2025-2026.

المنتخب العراقي يسعى للوصول للنقطة السادسة بعد الفوز المنطقي على البحرين في أولى المباريات، بينما يطمح السودانيون لتحقيق نتيجة إيجابية بعد التعادل المفاجئ أمام الجزائر.

موعد مباراة العراق والسودان في كأس العرب 2025، هو اليوم السبت 6 ديسمبر 2025، على ملعب 974.

وتنطلق صافرة بداية المباراة في السابعة مساء بتوقيت السعودية والعراق والسودان.

تنقل مباريات كأس العرب للمنتخبات 2025 عبر قنوات بي إن سبورتس القطرية، وذلك عبر قناتي beIN SPORTS HD و beIN Xtra 1

وأكدت المجموعة أن البطولة مذاعة على قنواتها بالمجان بشكل كامل دون أي اشتراك.

كما ستذاع أيضا مباريات بطولة كأس العرب 2025 عبر قنوات الكاس القطرية، دبي الرياضية، أبو ظبي الرياضية، والكويت الرياضية بصورة مفتوحة للجمهور العربي.

وستنقل مباراة العراق والسودان في كأس العرب 2025 عبر قناة بي إن سبورتس المفتوحة beIN SPORTS HD.

VOICE of sudanese community
السبت ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م - ١٥ جمادى الآخر ١٤٤٧ هـ
SATURDAY 6 DEC 2025 - ISSUE NO. 63

اعتراف خطير من الأميرة ديانا قبل أيام من وفاتها

● خلال حياتها، لُقّبت الأميرة ديانا بـ«أميرة الشعب» لسعيها الدائم لفعل الخير وتسهيل وصول الناس إلى النظام الملكي، إلا أن هناك أمرًا واحدًا في إرثها ندمت عليه قرب نهاية حياتها.

قبل عشرة أيام فقط من وفاتها المبكرة، أفصحت ديانا، التي توفيت بشكل مأساوي في حادث سيارة بباريس في ٣١ أغسطس ١٩٩٧، لأحد أقرب أصدقائها عن ندمها الشديد على ابنيها، الأميرين ويليام وهاري.

خلال عطلة في اليونان في آب ١٩٩٧، أفصحت ديانا لصديقتها المقربة روزا مونكتون عن ندمها على مشاركتها في مقابلة بانوراما التي لا تزال مثيرة للجدل عام ١٩٩٥، وتحديدًا بسبب تأثيرها الذي كانت تخشى أن يكون له على ابنيها.

قالت مونكتون لمجلة People عن اعتراف الأميرة الراحلة: «أخبرتني أنها ندمت على فعل ذلك لما اعتقدت أنه ألحقه بولديها». في لحظة صراحة وصفتها المجلة بأنها «تأمل نادر وشخصي للغاية في بث المقابلة في ٢٠ نوفمبر الذي وصل إلى ما يُقدر بنحو ٢٠٠ مليون مشاهد حول العالم».

ولم يكن قلق ديانا يتعلق برأي ٢٠٠ مليون مشاهد في المقابلة سيئة السمعة عنها، بل بالضرر الذي كانت تخشى أن يكون قد سببته لويليام وهاري، اللذين كانا في الخامسة عشرة والثانية عشرة من عمرهما آنذاك.

كتب لاسي في كتابه «معركة الإخوة: ويليام وهاري والقصة الداخلية لعائلة في حالة اضطراب»: «قبل انتهاء الدقائق الثماني والخمسين، كان ويليام يبكي»، مضيفًا أن مدير منزل ويليام في إيتون، الدكتور أندرو جايلي، وجد الأمير الشاب في حالة انهيار عصبي طفيف بعد أن شاهد المسلسل. «أخبر جايلي ديانا أنه وجد ابنها متهالكًا على الأريكة، وعيناه محمرتان من الدموع».

في مقابلتها مع بانوراما، كانت ديانا صريحة للغاية بشأن الصعوبات التي واجهتها خلال فترة وجودها في العائلة المالكة، حيث تحدثت بصراحة عن خيانة الأمير تشارلز آنذاك، وتأثير علاقته الغرامية (مع زوجته الحالية الملكة كاميلا) على زواجهما، بالإضافة إلى صراعاتها الشخصية مع الشره المرضي، وصعوبة تكيفها مع الحياة في العائلة المالكة بشكل عام.

في السنوات التي تلت بث المقابلة، تزايد الجدل حول مقابلة ديانا في برنامج بانوراما، لا سيما مع كشف النقاب عن أساليب الخداع التي استخدمها الصحفي مارتن بشير لتأمين المقابلة، ومدى معرفة بي بي سي بهذه الأساليب.

وأوضح مونكتون: «كانت ضعيفة، وهذا ما جعلها عرضة لبشير»، مضيفًا أن ديانا «كتمت كل شيء»، مما فاقم الأمور. «قال لها إنها لا تستطيع التحدث عن الأمر. ولذلك، ابتعدت عن الناس».

اكتشاف أثري غامض في السودان عمره 4000 عام

● عثر علماء الآثار على اكتشاف أثري نادر في السودان يظهر طقسا جنائزيا غامضا وغير معروف سابقا، كان يمارس قبل نحو ٤٠٠٠ عام في مملكة كرمة النوبية القديمة.

ففي قبر منعزل عثر عليه في صحراء البيوضة شمال شرق السودان، وجد علماء الآثار وعاء خزفيا مليئا ببقايا محترقة من نباتات وخشب وعظام حيوانات وحشرات، يعتقد العلماء أنها بقايا طعام من مأدبة جنائزية قديمة.

وقال عالم الآثار المشارك في الدراسة هنريك بانر: «لا نعرف أي حالة مشابهة لهذا الاكتشاف، وهذا ما يجعله غامضا وفريدا».

واحتوى القبر الذي يعود تاريخه إلى الفترة بين ٢٠٥٠ و١٧٥٠ قبل الميلاد، على هيكل عظمي لرجل في منتصف العمر، مع وعاءين خزفيين خلف رأسه و٨٢ خرزة زرقاء حول عنقه.

ووجد العلماء مجموعة متنوعة من البقايا المحترقة، تحتوي على حبوب وعدس وفول وخشب من أشجار السنط (أو الطلح) وعظام حيوانات وبراز متحجر وبعض الحشرات الصغيرة.

ويعد هذا القبر أول دليل على طقس جنائزي من مملكة كرمة، ما يفتح نافذة جديدة لفهم الحياة والتقاليد في هذه الحضارة القديمة.

قول الكاميرا:

بعدسة: فريعابي محمد أحمد

البيت الأبيض يمنع مشجعي إيران وهايتي من المونديال

● أثار القرار الرسمي الصادر عن البيت الأبيض بمنع دخول جماهير منتخبي إيران وهايتي إلى الولايات المتحدة خلال مباريات كأس العالم ٢٠٢٦، موجة واسعة من الجدل، بعدما اعتُبر من أشد القيود التي تُفرض في تاريخ المونديال على جماهير منتخبات متأهلة إلى البطولة.

ذكرت صحيفة The Times أن القرار جاء تحت مبرر "الأمن القومي"، فيما سيُسمح فقط لبعثات المنتخبين، من لاعبين وأجهزة فنية وإدارية وطبية، بالدخول إلى الأراضي الأمريكية وفق استثناءات خاصة تُمنح للفرق المشاركة.

وأوضحت: «يأتي هذا الإجراء في وقت تتوقع فيه الولايات المتحدة استقبال ما بين خمسة إلى سبعة ملايين زائر خلال البطولة، ما دفع الإدارة الأمريكية إلى تشديد الضوابط الأمنية المرتبطة بالتأشيرات والدخول عبر مختلف المنافذ.

وأشارت الصحيفة إلى أن قرار البيت الأبيض أدى إلى استياء واسع في الأوساط الرياضية والحقوقية، وسط تساؤلات حول مدى انسجامه مع قيم كأس العالم التي تقوم على الانفتاح وتسهيل مشاركة الجماهير من مختلف الدول، كما أحدث صدمة لدى جماهير إيران وهايتي التي كانت تستعد للسفر لدعم منتخبيها، خصوصاً أن هايتي تعود إلى الظهور في المونديال بعد غياب طويل، بينما تمتلك إيران قاعدة جماهيرية كبيرة اعتادت مرافقة المنتخب في البطولات الكبرى.

بريطانيا.. عامل حضانة يقر بارتكاب 26 جريمة جنسية بحق أطفال

● في واحدة من أبشع قضايا الاعتداء الجنسي على الأطفال التي شهدتها العاصمة البريطانية، أقرّ البريطاني فينسنت تشان (٤٥ عاما) بالذنب في ٢٦ تهمة جنسية خطيرة، بينها اعتداءات مباشرة على أطفال والتقاط صور ومقاطع جنسية لهم داخل حضانة كان يعمل بها في لندن.

وبحسب شرطة «متروبوليتان» فإن المتهم قد نفذ «٩ تهم بالاعتداء الجنسي على أطفال، و١١ تهمة بالتقاط صور غير لائقة أو صور مُزيفة، و٦ تهم بإنتاج مواد جنسية لفئات (A وB وC)، وهي تصنيفات تعتبر فيها الفئة A الأكثر خطورة».

من المقرر أن يصدر الحكم النهائي في ٢٣ يناير المقبل، وسط توقعات بعقوبات قاسية نظراً لطبيعة الجرائم ودرجة خطورتها.

كشف التحقيق أن تشان استغل وظيفته داخل حضانة في وست هامبستيد، حيث كان يسجّل الأطفال باستخدام جهاز آيباد خاص بالمؤسسة، قبل أن يشوه اللقطات ويضيف عليها موسيقى ونكات، ثم يشاركها مع زملائه.

ومع تقدم التحقيق، صادرت الشرطة ٦٩ جهازاً رقمياً من منزل المتهم والحضانة، عُثر بداخلها على موادٍ جنسية لأطفال، بعضها يثبت وقوع اعتداءات مباشرة أثناء وجوده منفرداً مع الأطفال.

وتم تحديد أربعة أطفال على الأقل كضحايا لاعتداءات جنسية أو تصوير غير لائق.

المحقق المسؤول، لويس باسفورد، وصف القضية بأنها «مروّعة»، مؤكداً أن التحقيق لا يزال مستمراً، وأن بلاغ موظف واحد كان الشرارة التي كشفت كل شيء، بقوله: «لولا شجاعة أول من تحدّث، لظل تشان يرتكب جرائمه دون رادع، معرضاً المزيد من الأطفال للخطر».

أُبلغت الشرطة عائلات الأطفال الذين تم التعرف عليهم وقدمت لهم دعماً نفسياً متخصصاً، كما جرى فتح خط مساعدة خاص من جمعية «NSPCC» لأي أسرة كانت أطفالها بالحضانة وقت وقوع الجرائم.

شركة أميركية تطلق أول خدمة عالمية لحفظ البيانات عبر الحمض النووي

● في خطوة توصف بأنها قفزة تاريخية في عالم تخزين البيانات، كشفت شركة أميركية متخصصة في التكنولوجيا الحيوية عن Atlas Eon 100، أول خدمة تجارية قابلة للتوسع تعتمد على الحمض النووي الاصطناعي لحفظ المعلومات الرقمية لآلاف السنين

الإعلان الذي جاء في ٢ ديسمبر من شركة Atlas Data Storage، المتخصصة في تخزين البيانات على الحمض النووي، يمضي نحو استبدال الوسائط التقليدية مثل الأقراص الصلبة والـ SSD والأقراص الضوئية، بتقنية تعتمد على شيفرة الحياة نفسها: A وC وG وT.

تعمل التقنية الجديدة على تحويل البيانات الرقمية المعتادة (0 و1) إلى شيفرة جينية تُخزن داخل DNA اصطناعي مُجفف، قادر على البقاء لعشرات الآلاف من السنين دون كهرباء أو صيانة، بحسب تقرير نشره موقع «interestingengineering». وللمقارنة، تحتاج أشرطة التخزين المغناطيسي إلى الاستبدال كل 7 إلى 10 سنوات، بينما يتدهور عمر الأقراص الضوئية بسرعة.

ويقول مؤسس الشركة بيل بانياي: «Atlas هي الشركة الوحيدة في العالم التي تقدّم منتجات تخزين قائمة على تقنية الحمض النووي على نطاق واسع، ما أعلناه اليوم هو حصيلة أكثر من عشر سنوات من التطوير والابتكار».

الميزة الأبرز للتقنية هي قدرتها على تخزين الصور والوثائق والفيديوهات والمحتوى الثقافي بكثافة تفوق الوسائط الحالية بـ 1000 مرة، مع موثوقية تصل إلى 99.99999999% بحسب الشركة.

بهذه الخطوة، يبدو أن العالم يدخل فعلياً عصر «الذاكرة الخالدة» حيث تصبح البيانات، بكل أنواعها، قادرة على النجاة لفترات تفوق عمر الإنسان وعمر التقنية ذاتها.

الحكم على طبيب الممثل الأمريكي ماثيو بيري بالسجن

● حُكم على الطبيب الذي غذى إدمان نجم مسلسل «فرينـدز» التلفزيوني ماثيو بيري، الذي توفي بسبب جرعة زائدة من الكيتامين في أكتوبر٢٠٢٣، بالسجن ٣٠ شهراً.

والطبيب سلفادور بلاسينسيا هو أحد الأشخاص الرئيسيين المسؤولين عن وفاة بيري والتي يحاكم خمسة أشخاص في إطارها، ولم يزود بلاسينسيا بيري بمادة الكيتامين، لكنه اعترف بأنه باعه حوالي عشرين عبوة من هذا المخدر الخاضع لرقابة شديدة، في الأسابيع التي سبقت وفاته.

وكان يواجه عقوبة تصل إلى ٤٠ عاماً في السجن، وقد تعهد بالتخلي طواعية عن ممارسة الطب، وفي بيان مكتوب قدم للمحكمة، قالت والدة الممثل سوزان بيري وزوجها كيث موريسون، إن الطبيب فشل في تأدية واجبه.

وأضاف البيان أن «تعافي ماثيو (بيري) كان يتوقف على قولك لا».

من جهتهم، قال محامو الطبيب في بيان: «هو ليس شخصاً سيئاً، هو شخص ارتكب أخطاء جسيمة في قراراته الطبية المتعلقة بالاستخدام غير المصرح به للكيتامين».

وصدمت وفاة ماثيو بيري الذي عُثر عليه فاقداً للوعي في حوض جاكوزي في شقته في أكتوبر ٢٠٢٣، جمهور مسلسل «فرينـدز»، وأعقبتها موجة من الإشادات بالممثل الراحل في هوليوود.

وكان الممثل الذي أدى دور تشاندلر بينغ في المسلسل الشهير، تحدث علنا عن مشكلاته مع الإدمان، وكان يتناول الكيتامين تحت إشراف طبي كجزء من جلسات علاج الاكتئاب. لكن هذا المخدر القانوني يُساء استخدامه أحياناً لأهداف منشطة أو ترفيهية، وقد عاد بيري إلى الإدمان في خريف ٢٠٢٣، وفق التحقيق.

لقاء مع الجدة يحول رجلا إلى مليونير!

● فاز رجل من ولاية إلينوي الأمريكية بمليون دولار في يانصيب باوربول بعد لقاء غير متوقع بجدته التي وصفها بـ«تميمة حظه».

ووفقا لليانصيب المحلي، اشترى اللاعب المجهول، الذي أطلق على نفسه اسم «جدتي هي تميمة حظي»، التذكرة الفائزة من متجر «رود رينجر» في روشيل، وطابقت أرقامها الخمسة: ١٣، ١٦، ١٨، ٢٠ و٢٧.

وذكر اللاعب أنه قبل اكتشافه الفوز، زار المتجر خلال استراحة غداء قصيرة لشراء التذكرة قبل سحب الجائزة الكبرى البالغة ٢٤٠ مليون دولار في ذلك المساء. ولدى وصوله، لاحظ سيارة تشبه سيارة جدته، لتتبين لاحقا أنها كانت داخل المتجر عند ماكينة الدفع.

وعند مسح التذكرة، ظهرت رسالة تفيد بربحه ١,٠٠٠,٠٠٤ دولار. وقال الفائز: «لم أصدق، فمسحتها مرة أخرى. عندها بدأت بالصراخ واللهاث. اتصلت بجدتي على الفور، وسألتني: هل أنت متأكد أنك فزت؟». قام بتأكيد الأرقام يدويا عبر الإنترنت ووجد تطابقا كاملا باستثناء رقم الباوربول.

وأكد الرجل عزمه على مشاركة جزء من الجائزة مع جدته، قائلا: «إنها تميمة حظي بالتأكيد»، كما يخطط لشراء سيارة جديدة. وبموجب قواعد اليانصيب، تلقى متجر «رود رينجر» مكافأة قدرها ١٠,٠٠٠ دولار (١٪ من قيمة الجائزة) مقابل بيع التذكرة الفائزة. ويأتي هذا الفوز ضمن ١٢ جائزة بقيمة مليون دولار أو أكثر فاز بها لاعبون في إلينوي خلال عام ٢٠٢٥. بينما ارتفعت قيمة الجائزة الكبرى القادمة لباوربول إلى ٦٨١ مليون دولار، حيث من المقرر إجراء السحب التالي.

رجل نيوزيلندي يبتلع بيضة فابرجيه المرصعة بالألماس... قصة كنز روسي يعود لعائلة رومانوف

● بعض البيض يمكن ابتلاعه، والبعض الآخر لا، كما حدث مع رجل نيوزيلندي وُجهت إليه تهمة سرقة بيضة مرصعة بالألماس عن طريق ابتلاعها.

هذا الكنز المبتلع، هو قلادة على شكل بيضة من صنع دار المجوهرات الروسية فابرجيه، تُقدر قيمتها بـ ٣٣,٥٨٥ دولارا نيوزيلنديا (أي ما يعادل ١٩,٣٠٠ دولار أمريكي). وقد أفادت الشرطة لوسائل الإعلام المحلية بأن هذه القطعة الثمينة لم «تُستعَد» بعد.

ووفقا لموقع دار المجوهرات الإلكتروني، فإن بيضة فابرجيه المسروقة مرصّعة بـ ٦٠ ماسة بيضاء و١٥ ياقوتة زرقاء؛ وعند فتحها تكشف عن أخطبوط مُصغر من الذهب الخالص عيار ١٨ قيراطا.

وقد أطلق على هذه البيضة «أوكتوبوسي»، أو «الأخطبوط»، استلهاما من أحد أفلام جيمس بوند الذي حمل الإسم نفسه عام ١٩٨٣، والذي تدور أحداثه حول سرقة مُحكمة لإحدى بيضات فابرجيه.

وتُصنع بيضات فابرجيه من الذهب والورنيش وأحجار الأورال والألتاي الكريمة، وتتراوح أشكالها بين التصميمات البسيطة والإبداعات الفاخرة المرصعة بالجواهر.

إحداها بيضة «الشتاء»، المرصعة بـ ٤٥٠٠ ماسة، وبيعت في لندن بسعر قياسي بلغ ٢٢,٩ مليون جنيه إسترليني (أي ما يعادل ٣٠,٢ مليون دولار) في ٢ ديسمبرالجاري.

وكان السعر القياسي السابق لبيع إحدى بيضات فابرجيه هو ٨,٩ مليون جنيه إسترليني، وذلك في مزاد أقيم عام ٢٠٠٧.

في عام ١٨٨٥، أهدى القيصر الروسي ألكسندر الثالث زوجته تسارينا ماريا فيودوروفنا بيضة بالحجم الطبيعي من المينا الأبيض النقي كهدية في عيد الفصح.

كان بداخل تلك البيضة صفار ذهبي، ينفتح ليكشف عن دجاجة ذهبية، وبداخل تلك الدجاجة كانت هناك مفاجأتان: مجسم مصغر للتاج الإمبراطوري مرصع بالماس، وبيضة ياقوتية صغيرة.

سُميت هذه البيضة «الدجاجة الأولى»؛ وهي الأولى من بين ٥٠ بيضة عيد فصح مزخرفة صنعها بيتر كارل فابرجيه للعائلة المالكة الروسية - المعروفة باسم آل رومانوف - في ورشته بسانت بطرسبرغ بين عامي ١٨٨٥ و١٩١٧.

وقد اشتهر هذا الصائغ روسي المولد بتصميمه البيضات الذهبية لخمس عشرة عائلة فقط بخلاف عائلة رومانوف.

ورغم أن حرفته كانت موضع إعجاب كبير، إلا أنها تعرضت لانتقادات من البعض بسبب مبالغتها وإفراطها في الفخامة.

وفي عام ١٩١٧ عندما تولى البلاشفة السلطة، قُتل القيصر نيكولاس الثاني وزوجته ألكسندرا وأطفالهما الخمسة بوحشية، ما وضع نهاية لتقليد توزيع البيض في العائلة.

وقام فلاديمير لينين، زعيم البلاشفة، بتأميم شركة فابرجيه عام ١٩١٨، ونفي بيتر كارل إلى سويسرا حيث توفي بعد عامين.

نتيجة لذلك، توقف إنتاج البيض الذهبي إلى الأبد، واختفت الشركة.

وبناءً على أوامر لينين، نُقلت جميع بيضات فابرجيه المسروقة والمُصادرة إلى جانب كنوز أخرى لعائلة رومانوف إلى مستودع أسلحة الكرملين.